قطف الثمر
في بيان عقيدة أهل الأثر

تأليف الفاضل العلامة الشريف النواب

محمد صديق حسن خان القنوجي

المتوفى سنة ١٣٠٧ هجرية

حقق وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له

د. عاصم بن عبد الله القريوتي

أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وبليه كتاب

مسائـل الجاهليـة

التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية

ألف أصلها الإمام شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ – ١٢٠٦ هـ)

وتوسع فيها على هذا الوضع علامة العراق

السيد محمود شكري الألوسي

بِسْمِ الله الرحْمَنِ الرحِيمِ

مقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد:

فلقد تميز منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة بسمات وخصائص جعلته المنهج الرائد على مر العصور، وهذا مصداق قول النبي ﷺ ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﴾ [(١)] ... .

ولهذا جاء الاختيار من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لكتابين من كتب أهل السنة والجماعة:

الأول : (قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر) للعلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة في شبه القارة الهندية الشريف أبي الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القِنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، وقد اعتمدنا على الطبعة التي حققها د. عاصم بن عبد الله القريوتي واستفدنا من تعليقاته، وما أضفناه جعلناه بين قوسين.

والثاني : (مسائل الجاهلية) للإمام المجدد محيي السنة وقامع البدعة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦ هـ) لتبصير المسلمين بأمور دينهم والأخذ بأيديهم إلى سلوك الصراط المستقيم.

والله نسأل أن ينفع بما المسلمين في كل مكان إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكالة المطبوعات والنشر

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (١٠) أحمد (٢٧٩/٥) .

بِسْمِ الله الرحْمَنِ الرحِيمِ

مقدمة المحقــق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فإن من نعم الله ﷻ على أمة محمد ﷺ أن أكمل لها دينها، وجعله محفوظًا إلى قيام الساعة. ولا يشك ذو لب أن أول ما يجب معرفته ويجدر علمه هو الإيمان بالله تعالى، ولقد صان الله العقيدة الإسلامية في الصدر الأول عن المفاسد والتشويش حتى ظهرت البدع والفرق المختلفة وأصبحت هنالك قواعد ومناهج فلسفية يُحكَّمُ بها على الكتاب والسنة بدل أن يُحكَّمَ بالكتاب والسنة عليها. ومن نتائج هذا الانحراف الخطير ظهر القول برد ما أجمع عليه المسلمون من الاحتجاج بخبر الآحاد الصحيح في العقيدة [1] والقول بالتأويل في الأسماء والصفات، لتصورهم المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق وزعمهم أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم.

ولهذا وجد من يؤمن بأسماء الله دون صفاته ومن يؤمن بصفات دون صفات وهذا كله انحراف عن الدين القويم وصد عنه وتحريف للكلم عن موضعه واتباع لغير سبيل المؤمنين المشهود لهم بالخير من سيد ولد آدم ﷺ والله ﷻ يقول: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [2] [النساء: ١١٥] قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في " مجموع الفتاوى " (٦ / ٣٩٤): " وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من

(١) انظر " مختصر الصواعق المرسلة " (٢ / ٤٣٣) وانظره أيضًا للرد على شبهاتم وراجع رسالة " خبر الآحاد حجة في العقيدة والأحكام " .

(٢) سورة النساء آية : ١١٥ .

الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المعروف ".

وكان من أولئك الذين لم يسلموا من مـ لق علم الكلام والمنطق في أول أمرهم العلامة الشهير محمد صديق حسن خان المتوفى عام (١٣٠٧ هـ)، ولكن بحفظ الله لدينه وبقيام عباده بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجع هذا الإمام الجليل إلى الجادة المشهود لها بالخير وصار إلى ما ذهب إليه سلف الأمة وأفضلها فصنف رسالته التي بين أيدينا " **قطف الثمر** في **بيان عقيدة أهل الأثر** ".

ولقد آثرت نشر هذه الرسالة لأمرين:

الأول : للمساهمة في نشر التراث السلفي حيث اشتملت الرسالة على جوانب كثيرة من العقيدة، وكانت هذه الرسالة قد طبعت عام (١٢٩٥ هـ) بالهند على عين مؤلفها ولكنها أصبحت في عداد المخطوطات فحصلت عليها من مكتبة شيخنا العلامة الزاهد أبي الطيب محمد عطاء الله حنيف - حفظه الله تعالى -.

والآخر : إبراز العقيدة التي انتهى إليها المؤلف خلافًا لما هو المشهور عنه في تفسيره " فتح البيان في مقاصد القرآن ". ولقد حققت بالوقائع التاريخية أن هذه العقيدة هي آخر ما كتبه المؤلف في هذا الشأن وهذا التحقيق لم أره لمن ترجم له وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكما شجعني على نشرها شيخنا محدث الحجاز حماد الأنصاري حيث أطلعته على رسالة المصنف وقرأها أكثر من مرة وأوصى بـا مع التعليق على بعض المواطن.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يفقهنا في ديننا وأن يهدي ضالنا ويرده إلى سواء السبيل إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب ذلكم

أبو صهيب

عاصم بن عبد الله القريوتي

طيبة الطيبة في ٤ / ٩ / ١٤٠٤ هـ

ترجمة المؤلف [1]

هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة النواب أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنوجِي البخاري نزيل بوبال ويرجع نسبه إلى زين العابدين بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب.

ولادته ونشأته

ولد في بلدة " بريلي " موطن جده من جهة الأم عام (١٢٤٨ هـ) ونشأ في بلدة "قِنْوج" موطن آبائه بالهند في حجر أمه يتيمًا على العفاف والطهارة وتلقى الدروس في علوم شتى على صفوة من علماء قِنْوج ونواحيها وغيرهم.

شيوخه وتلاميذه

درس المؤلف على شيوخ كثيرين من مشايخ الهند واليمن واستفاد منهم في علوم القرآن والحديث وغيرهما ومن أشهر شيوخه:

١ - أخوه الأكبر السيد العلامة أحمد بن حسن بن علي.

٢ - الشيخ الفاضل المفتي محمد صدر الدين خان الدهلوي.

٣ - الشيخ القاضي حسين بن محسن السبعي الأنصاري تلميذ العلامة محمد بن ناصر الحازمي تلميذ العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني.

٤ - الشيخ المعمر الصالح عبد الحق بن فضل الله الهندي.

٥ - الشيخ التقي محمد يعقوب المهاجر إلى مكة.

ولقد أجازه شيوخ كثيرون ذكرهم في ثبته [2] " سلسلة العَسْجَد في مشايخ

---

(١) لقد ترجم للمؤلف كثيرون واستفدت هذه الترجمة من ترجمته لنفسه في " أبجد العلوم " (٣ / ٢٧١ - ٢٨٢) " ومشاهير علماء نجد وغيرهم " (ص ٤٥١ - ٤٥٧) و " حركة التأليف باللغة العربية في شبه القارة الهندية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر " (ص ٢٧٤ - ٢٨١) ويقوم الطالب محمد أختر جمال بجامعة أم القرى بالكتابة عن " عقيدة صديق حسن خان " كما أرشدني شيخنا عبد الله الغنيمان . فعسى أن يستوعب ترجمته أو يفصل فيها إن شاء الله .

(٢) الثبت محركة الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه كما في " فتح المغيث " (ص ١٥٧) .

السند " [١] .

وله تلاميذ كثيرون درسوا عليه واستجازوه، منهم:

١ - العلامة المحدث يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الحازمي قاضي عدن.

٢ - الشيخ العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي مفتى بغداد.

زواجه

تزوج المؤلف ملكة بوبال: " نواب شاهجهان بيكم " عام (١٢٨٨ هـ) وعمل وزيرًا لها ونائبًا عنها ولقب بـ " النواب ".

عقيدته ومذهبه

كان الشيخ حريصًا أشد الحرص على العقيدة الصافية والدعوة إلى الكتاب والسنة وذم التقليد والجمود كما تدل على ذلك سيرته ومؤلفاته. وكتابه العظيم " الدين الخالص " يشهد له بذلك.

والمصنف - رحمه الله - كان أشعريا كما هو معروف لدى أهل العلم، وكتابه " فتح البيان في مقاصد القرآن " يدل على ذلك، ولقد يسر الله له الحج عام (١٢٨٥ هـ) ولا بد أنه التقى بعلماء أهل السنة في سفرته، وكما أن الشيخ العلامة حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد [٢] المتوفى عام (١٣٠١ هـ) كاتب المؤلف بشأن كتابه "فتح البيان" ووجه له نصيحة ذهبية فيها الشهادة له بالعلم والتحقيق وإعذاره فيما ذهب إليه وحثه على الاستفادة من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم كالكافية الشافية -النونية- والعقل والنقل، والتسعينية والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية ونحوهن من كتبهما، وبعد ذلك وفي عام (١٢٨٩ هـ) صنف المؤلف رسالته " قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر " واستفاد من نصيحة الشيخ العلامة حمد

(١) كتاب " سلسلة العسجد " طبع بالهند عام (١٢٩٣ هـ) كما في " مقدمة إتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه " (ص ١٣٨) .

(٢) له ترجمة في " مشاهير علماء نجد " (ص ٢٤٤) .

بن عتيق وانكب على كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم واغترف من كتبهما وكتب غيرهما من أهل السنة وحث على ذلك كما تراه في الرسالة (ص ٤٨) وكما صنف " قصد السبيل في ذم الكلام والتأويل ".

وأسوق إليك أخي القارئ رسالة [1] الشيخ العلامة حمد بن عتيق لما فيها من فوائد ذهبية، وحكمة بليغة في الدعوة وشهادة للمؤلف بالعلم، وتواضع من مرسلها، رحمهما الله وسائر علماء المسلمين.

بِسْمِ الله الرحْمَنِ الرحِيمِ

من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في ماله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام.

اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والإغلال. ثم وصل إلينا كتاب " الحِطة " و " تحرير الأحاديث "

في تلك الفصول فازددنا فرحًا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه - لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حملة على

(١) نشرت الرسالة في " مشاهير علماء نجد وغيرها " (ص ٢٤٥) في ترجمة الشيخ حمد بن عتيق وطبعت أيضًا في آخر رسالة " الدفاع عن أهل السنة والاتباع " للشيخ حمد بن عتيق بتعليق ومراجعة الشيخ الفاضل إسماعيل بن عتيق .

المذاهب الباطلة وجعلت السنة كذلك فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام. فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] [الكهف: ٦٥].

فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات فإن مَقَرنا في فلج اليمامة - ومنها خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم وكلهم أعداء قاتلهم الله - ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [2] - ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره وأن يجعلنا من أهله وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع ونسأله أن يَمُن بذلك فهو القادر عليه ولما رأينا ما من الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية ابن القيم المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية بين أيدينا ولنا بـا عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة وفيها مواضع محتاجة إلى البيان ولم يبلغنا أن أحدًا تصدى لشرحها غلب على الظن أنك تقدر على ذلك فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور وهي واصلة إليك إن شاء الله فاجعل قراها شرحها وبيان معناها وأصلح النية في ذلك تكن حربًا لجميع أهل البدع فإنا لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها فهذان مقصدان من بعثها إليك أحدهما شرحها والثاني الاستعانة بـا على الرد على أهل البدع لأن مثلك يحتاج إلى ذلك لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربة - فإن كنت حريصًا

---

(١) سورة الكهف آية : ٦٥ .

(٢) سورة الكهف آية : ١٠ .

على ذلك فعليك بكتاب العقل والنقل والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة والجيوش الإسلامية لابن القيم ونحوهن من كتبهما فإن فيها الهدى والشفاء - ولنا مقصد رابع مهم وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبًا ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك. والثاني أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتم بعضا بلفظه وبعضا بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال. وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره. وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد قلته وما هو أكثر منه وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل وأنه من ذلك القليل.

وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك. وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التنبيه ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل. ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير فرجوت أن ذلك عنوان توفيق جعلك الله كذلك وخيرًا من ذلك.

واعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير أو شرح حديث اختبرناه واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال فوجدنا

الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها - وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب فمن رزقه الله بصيرة ونورًا وأمعن النظر فيما قالوه وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السنة المحضة تبين له المنافاة بينهما وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار. فأعرض عما قالوه وأقبل على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها ففيه الشفاء والمقنع وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره - فلما اعتبرنا هذا التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقرره وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع فإنه لا خير في أكثره وما فيه من شيء صحيح فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور. وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني - رحمه الله - لما قيل له لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح ؟ قال ما معناه لآمن الإعراض عن الكتاب ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها ويعتني بها وأظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم، فإن الله قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله - والمقصود: أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ولنذكر بعض ذلك فمنه أني نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم. ومنه أن في الكلام تعارضًا - كقولكم في آية يونس: وظاهر الآية على أنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض لأن كلمة [ثم] للترتيب - ثم قلتم في سورة الرعد - وثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب لأن الاستواء عليه غير مرتب على رفع السماوات. وكذلك قلتم في سورة السجدة وليست ثم للترتيب بل بمعنى الواو.

فلينظر في هذا من وجهين - أحدهما أن ظاهره التعارض - الثاني: أن القول بأن ثم

لمجرد العطف لا الترتيب في هذه الآيات - إنما يقوله من فسر الاستواء بالقهر والغلبة وعدم الترتيب ظاهر على قولهم - وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع دليلًا على ثبوت الترتيب وردوا به على نفاة الاستواء وأبطلوا به تأويلاتهم كما هو معروف ومقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات. وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك فلعلك بنيت على قوله - وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة وآخر أمره الحيرة نرجو أنه تاب من ذلك ومات على السنة. فلا تغتر بأمثال هؤلاء - قال شيخ الإسلام رحمه الله في المحصل:

وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها مثل كتب الرازي وأمثاله وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين بل وجد فيها حق ملبوس بباطل - انتهى من منهاج السنة وقد قال بعض العلماء [1] في المحصل:

محصـل في أصـول الديـن حاصـله ... مـن بعـد تحصـيله أصـل بلا دين
أصـل الضـلال الشـرك المـبين وما ... فـيه فأكـثره وحـي الشـياطين

فكيف تسمح نفس عاقل أن يعتمد على مثل قول هؤلاء - ومن ذلك أنكم قلتم في سورة يونس أيضًا: استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوضين: وقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود انتهى. فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف. وهو أنهم يمرون الألفاظ ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا لها معاني تليق بالله أو أنهم لا يعرفون معانيها فهذا أكذب على السلف من النفاة وإذا قال السلف كما جاءت بلا كيف فإنما ينفون علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وأمروها كما جاءت بلا كيف فالاستواء لا يكون حينئذ

(١) جاء في حاشية " مشاهير علماء نجد " (ص ٢٥٢) أن هذه الأبيات لأبي حيان النحوي وقد تصرف فيها الشيخ حمد وحذف منها بعض الأبيات والظاهر أنه أملاها من حفظه دون مراجعة .

معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف الجر. وأيضًا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى. وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا ثبتت الصفات. هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ولا نشك أن هذا اعتقادك ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تتصور مرادهم فتنبه لمثل ذلك.

وأما قول القائل يتقدس الديان عن المكان فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات وهو من عبارات المتكلمين ومرادهم به نفي علو الله على خلقه لأن لفظ المكان فيه إجمال يحتمل الحق والباطل كلفظ الجهة والعلو والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم فارجع إلى ذلك تجده ولا نطيل به وحسبنا الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتاب والسنة كما قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث. ومن ذلك ما ذكرتم عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [1] [فصلت: ١١] وقد قيل إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ووجودها متأخر وقد ذكره جماعة من أهل العلم هذا جمع جيد يجب المصير إليه وفي حم السجدة - الجواب أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل عبارة عن التقدير أيضًا - والمعنى (قضى) أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء والجواب المشهور أنه خلق الأرض أولًا ثم خلق السماء بعدها ثم دحا الأرض وحدها والأول أولى - ففي هذا نوع تعارض.

ومن ذلك قولكم على البسملة: والرحمة إرادة الخير والإحسان لأهله. وقيل ترد عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه فهو على الأول صفة وعلى الثاني صفة فعل - انتهى - وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع يردون هذه الصفات إلى الإرادة فرارًا مما فهموه حيث قالوا إن الرحمة ورقة القلب لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى - فقال لهم أهل السنة هذه رحمة المخلوق ورحمة الرب تليق بجلاله لا

---

(١) سورة فصلت آية : ١١ .

يعلم كيف هي إلا هو ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة. فإن الإرادة هي ميل القلب فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى وهو الحق في جميع الصفات وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل - والآفة دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق فذهبوا لينفوا ذلك. ويقابلونه بالتأويلات.

قال شيخ الإسلام: إنهم شبهوا أولًا فعطلوا آخرا - وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ونفوا عنه مشابهة المخلوقين فسلموا من التشبيه والتعطيل - ومن ذلك أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز حدث بعد القرون المفضلة ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان. والذي يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات هذا في اللغة ومراده أن هذا مما يجوز في اللغة لم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله ولا سيما أنهم قالوا: إن المجاز يصح نفيه فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك.

وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان الكبير بما كفى وشفى وذكر الآيات التي استدلوا بها وبعض الأمثلة التي ذكروها وأجاب عن ذلك بما إذا طالعه المنصف عرف الصواب وقواعده أن المجاز لا يدخل في النصوص ولا يهولنك إطباق المتأخرين فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه والعاقل يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال. ومن عرف غربة الإسلام والسنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت.

والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (1) ... الآية [الأنعام: ١١٦] ومن أبلغ الناس بحثًا في المعاني الزمخشري وله في تفسيره مواضع حسنة ولكنه معروف بالاعتزال ونفي الصفات والتكلف في التأويلات والحكم على الله بالشريعة الباطلة مع ما هو عليه من سبه السلف وذمهم والتنقص لهم وفي تفسيره

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦ .

عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة وقد قال فيه بعض العلماء:

ولكـــنه فـــيه مجـــال لقـــائل وزلات ســـوء قـــد أخـــذن المخانقـــا

ويشـــهد في معـــنى القلـــيل إشـــارة بتكـــثير ألفـــاظ تســـمى الشقاشـــقا

يَقـــول فـــيها الله مـــا لـــيس قـــائلا وكـــان مجـــا في الخطابـــة وامقـــا

ويشـــتم أعـــلام الأئمـــة ضـــلة ولا ســـيما إن أولجـــوه المضـــائقا

لـــئن لم تداركـــه مـــن الله رحمـــة لســـوف يـــرى للكافـــرين مـــرافقا

والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه. وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه.

فنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه - وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحًا لله ورسوله رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب. ثم إني لما رأيت الترجمة وقد سمي فيها بعض مصنفاتك وكنت في بلاد (١) قليلة فيها الكتب، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس (٢) لأجل ضرورتهم كما قيل: خلا لك الجو فبيضي واصفري - فألتمس من جنابك التفضل علينا ببلوغ السول من أقضية الرسول، والروضة الندية شرح الدرر البهية ونيل المرام شرح آيات الأحكام. فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها وابعث بها إلينا مأجورا إن شاء الله تعالى. وليكن ذلك على يد الأخ

---

(١) هي بلدة (العمار) من بلاد نجد كما في مشاهير علماء نجد ، (ص ٢٥٣) .

(٢) أي القضاء فيما بينهم كما في " المشاهير " .

أحمد بن عيسى [1] الساكن في مكة المكرمة المشرفة واكتب لنا تعريفا بأحوالكم. ولعل أحدًا منكم يتلقى هذا العلم ويعتني به ويحفظه عنك واحرص على ذلك طمعا أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة ونسأل الله أن يهب لك ذلك. ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية منهم ثلاثة يطلبون العلم كبيرهم سعد المذكور أولا ويليه عبد العزيز وتحته عبد اللطيف [2] ونرجو أنهم من أهل الكتب ومن يعتز بها ويحفظها. وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب.

ومن دعائنا:... ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [3] [الفرقان: ٧٤] ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [4] [البقرة: ١٢٨] لا تنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى نصّ الرسالة .

من صفاته والثناء عليه

كان " صديق خان " آية من آيات الله في العلم والأخلاق الفاضلة والتمسك بالكتاب والسنة، وصرف مما آتاه الله من المال والجاه في خدمة الإسلام والدين وفي نشر علم الحديث والدعوة إلى العقيدة السلفية والعمل بالكتاب والسنة وإعانة العلماء والأدباء وجمع مكتبة مملوءة بالكتب القيمة، وطبع " فتح الباري "، و " تفسير ابن كثير "، و " نيل

(١) هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (مات عام ١٣٢٩ هـ) له ترجمة في " مشاهير علماء نجد " (ص ٢٦٤).

(٢) ثم جاءه ولدان بعد كتابة الرسالة كما في " المشاهير " .

(٣) سورة الفرقان آية : ٧٤ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٢٨ .

الأوطار " على نفقته في الهند ومصر وتركيا ووزعها مجانًا جزاه الله خيرًا ورتب إعانات مالية للعلماء ورغبهم في ترجمة كتب الحديث إلى اللغة السائدة في الهند وطبعت على نفقته.

وكما استدعى العلامة بشير السهسواني [(١)] صاحب " صيانة الإنسان " المتوفى عام (١٢٩٥) وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية ببهوبال.

وحسبك في الثناء عليه كتبه القيمة في فنون شتى وكفاك قول معاصره العلامة الشيخ حمد بن عتيق فيما كتبه إليه إنه أخ صادق ذو فهم راسخ وطريقة مستقيمة، وشهادته له بالتمكن من الآلات وسعة الاطلاع وغير ذلك من الثناء الجميل على هذا الإمام الجليل.

مؤلفاته

للمؤلف كتب كثيرة. بلغات مختلفة في علوم متنوعة. ولقد ذكر المؤلف في ترجمته لنفسه في " أبجد العلوم " (٣ / ٢٧٥ - ٢٧٩) مصنفاته إلى تاريخه والذي يعنينا هنا ما كان باللغة العربية ولقد ذكر الدكتور جميل أحمد في كتابه " حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشرقي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد " (ص ٢٧٤ - ٢٨١) مؤلفات محمد صديق حسن خان وجعلها في ثلاث زمر:

١ - ما طبع ونشر.

٢ - ما لا يزال مخطوطًا.

٣ - ما كان مجهولًا، وقف على اسمه في كتب القِنْوجي الأخرى، أو في غيرها من الكتب.

أما الكتب التي طبعت فهي [(٢)]

١ - فتح البيان في مقاصد القرآن: المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة: ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ (في عشرة أجزاء)، الطبعة الأولى ببهوبال.

---

(١) كما في " مشاهير علماء نجد وغيرها " (ص ٤٦٤) .

(٢) نبه الدكتور على مكان طبعتها ولقد طبع بعضها طبعات أخرى ، بعد كتابة المؤلف هذا الإحصاء .

٢ - نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: لكهنو ١٣٩٢ هـ- مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٢ م.

٣ - الدين الخالص (جمع فيه آيات التوحيد الواردة في القرآن، ولم يغادر آية منها إلا أتى عليها بالبيان الوافي): دهلي - مطبعة المدني بمصر - ١٣٧٩ هـ- ١٩٥٩ م.

٤ - حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة: الجوائب ١٣٠١ هـ- .

٥ - عون الباري بحل أدلة البخاري (شرح كتاب التجريد): بولاق ١٢٩٧ هـ- (٨ أجزاء) على هامش " نيل الأوطار "، بوبال ١٢٩٩ هـ- (جزآن).

٦ - السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: بوبال ١٣٠٢ هـ- .

٧ - أربعون حديثًا في فضائل الحج والعمرة: بوبال.

٨ - أربعون حديثًا متواترة: بوبال.

٩ - العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة: بوبال ١٢٩٤ هـ- ١٨٧٧ م.

١٠ - الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون (في الحديث): بوبال.

١١ - الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة: دلهي.

١٢ - الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة، في اتباع السنة: بوبال ١٢٩٥ هـ- .

١٣ - يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار: بوبال ١٢٩٤ هـ- .

١٤ - الحطة في ذكر الصحاح الستة (١) النظامية بكانبور ١٢٨٣ هـ- .

١٥ - الموائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد (جمع فيه حوالي ثلاثمائة حديث): بوبال ١٢٩٨ هـ- .

١٦ - الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: بوبال ١٢٩٣ هـ- ١٨٧٦ م،

(١) وقد نسبه صاحب " معجم المؤلفين " (٧ / ٦٦) إلى ابن صديق حسن خان " علي " وهو وهم ظاهر . وقد طبع الحطة أيضًا بباكستان على الحروف ويقوم أخونا وصديقنا الشيخ علي الحلبي بتحقيق الكتاب يسر الله نشره .

الجوائب بالآستانة - ١٨٧٦ أيضا.

١٧ - الروضة الندية، شرح الدرر البهية للقاضي محمد اليمني الشوكاني: العلوية بلكهنو ١٢٩٠ هـ، مصر ١٢٩٦ هـ.

١٨ - فتح العلام، شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني: المطبعة الأميرية القاهرة: ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م.

١٩ - حصول المأمول من علم الأصول (تلخيص إرشاد الفحول للشوكاني)، (في أصول الفقه): الجوائب ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م، مصر ١٣٣٨ هـ.

٢٠ - الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد: الجوائب ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م.

٢١ - ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي: الصديقية، بوبال ١٢٩٤ هـ.

٢٢ - ذخر المحتي من آداب المفتي: بوبال ١٢٩٤ هـ.

٢٣ - الغنة ببشارة أهل الجنة: بولاق ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م.

٢٤ - الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة: بوبال ١٢٩٥ هـ، مصر ١٣٠٧ هـ.

٢٥ - الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح: لكهنو.

٢٦ - قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر [1] كانبور.

٢٧ - إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة: بوبال ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م.

٢٨ - حضرات التجلي من نفحات التجلي والتخلي (في الكلام): بوبال ١٢٩٨ هـ.

٢٩ - الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى: الآستانة ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م.

٣٠ - قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل: بوبال ١٢٩٥ هـ.

٣١ - قضاء الأرب في تحقيق مسألة النسب: كانبور ١٢٨٣ هـ.

---

(١) وهو كتابنا هذا.

٣٢ - البلغة في أصول اللغة: الشاهجانية ببهوبال ١٢٩٤ هـ، الجوائب ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م.

٣٣ - لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط: بوبال، ١٢٩١ هـ - ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م.

٣٤ - العلم الخفاق من علم الاشتقاق: الجوائب ١٢٩٦ هـ، مصر ١٣٤٦ هـ.

٣٥ - طلب الأدب من أدب الطلب.

٣٦ - مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام (في الجنة وأهل الجنة): النظامية بكانبور ١٢٨٩ هـ.

٣٧ - غصن البان المورق بمحسنات البيان (يشتمل على ثلاثة علوم: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع): الجوائب، بوبال ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م.

٣٨ - نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، في ذكر أنواع العشق وأحوال العشاق والعشيقات من النسوان، وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان: بوبال ١٢٩٤، الجوائب ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م.

٣٩ - الكلمة العنبرية في مدح خير البرية (قصيدة).

٤٠ - لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان. (يحتوي من تواريخ الأمم السالفة قسطا وافرا، ويذكر الليالي والأيام والشهور والأعوام والساعات والدقائق وفصول العام): الجوائب ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م.

٤١ - خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان: الجوائب ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م (في آخر لقطة العجلان)، كانبور.

٤٢ - أبجد العلوم: الصديقية ببهوبال ١٢٩٦ هـ ١٨٧٨ م.

٤٣ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: (كتاب حافل مشحون بتراجم ٥٤٣ عالما وعالمة من العالم الإسلامي): المطبعة الهندية العربية، بومباي ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م.

٤٤ - رحلة الصديق إلى البيت العتيق: العلوية بلكهنو ١٢٨٩ هـ ـ ١٨٧٢ م.

٤٥ - تخريج الوصايا من خبايا الزوايا: مصر.

أما الكتب التي لا تزال مخطوطة فهي :

١ - ربيع الأدب.

٢ - تكحيل العيون بتعاريف العلوم والفنون.

٣ - إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت.

٤ - التذهيب، شرح التهذيب: في المنطق.

وأما الكتب المجهولة فهي:

١ - خلاصة الكشاف.

٢ - ملاك السعادة.

٣ - اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود.

٤ - النذير العريان من دركات الميزان.

٥ - الروض البسام.

٦ - هداية السائل إلى أدلة المسائل.

٧ - رياض الجنة في تراجم أهل السنة.

وفاتــه

مات المصنف رحمه الله عام (١٣٥٧ هـ) عن (٥٩) سنة وترك اثنين من أبنائه وهما: السيد أبو الخير مير نور الحسن خان الطيب [١] وهو ولده الأكبر، والسيد الشريف أبو النصر مير علي حسن خان [٢] الطاهر.

(١) له ترجمة في " أبجد العلوم " (٣ / ٢٨٠) .

(٢) له ترجمة في " أبجد العلوم " (٣ / ٢٨٣) .

تعريف المحقق بكتابه "قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر"

ذكر المصنف في ترجمته لنفسه هذا الكتاب من مصنفاته ولقد تمّ طبع الكتاب في المطبع النظامي بكانبور بالهند عام (١٢٩٥ هـ)، على عين مؤلفه قبل وفاته بـ (١٧) عاما ويقع الكتاب في ٣١ صفحة من القطع الوسط وطبعته حجرية وأخطاؤه يسيرة، والمؤلف قد جمع هذه العقيدة تعليمًا لفلذة كبده وأصغر ولده وثمرة فؤاده السيد علي بن صديق بن حسن كما ذكر ذلك في آخر كتابه. والكتاب يتناول العقيدة الإسلامية من جوانب مختلفة وقسّم كتابه إلى ستة وعشرين فصلًا وبدأ كتابه بكلام نفيس في بيان عقيدة أهل الحديث إجمالًا وسرد آيات كثيرة في الصفات وعلو الله على خلقه ثم نقل أقوال المشاهير من الأئمة في ذم الكلام وختم كتابه بخاتمة تدل على علمه وتواضعه البالغين. وخلاصة القول أن الرسالة كما يراها القارئ الكريم هي كاسمها " قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر " حيث استفاد المصنف مما كتبه أهل الأثر كالإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم، وستمر بالقارئ فقرات بأكملها من " السنة " للإمام أحمد ومن " العقيدة الواسطية " [(١)] لابن تيمية، ولقد نبهت عليها في التعليق وأستطيع القول أن المؤلف استوعب في كتابه هذا جميع ما في " العقيدة الواسطية " وجل ما في " السنة " وأحيانا أرى العبارة منهما بنصها وأحيانا بفرق يسير.

عمل المحقق في الكتاب

١ - حققت النص وأصلحت الأخطاء والتصحيفات الواردة في الكتاب وأثبت الصواب في الأصل ووضعته بين معكوفتين هكذا [ ] ثم نبهت على ما في الأصل في الحاشية.

٢ - عزوت الآيات القرآنية إلى الكتاب العزيز واضعا العزو في الأصل بين معكوفتين.

٣ - بينت معاني ما رأيته غريبًا وعرفت بالفرق والمذاهب والمصطلحات ونحوها.

٤ - خرجت نصوص الأحاديث النبوية وكثيرا من الآثار الموقوفة على الصحابة

(١) قارن فصول المؤلف ومحتوياتا بفصول " العقيدة الواسطية " .

وغيرهم وكشفت عن صحة الحديث بما يقتضيه البحث العلمي حسب ما قرره أهل الشأن وكان نهجي في التخريج على النحو الآتي:

أ - إذا ذكر المؤلف حديثًا بلفظ ما أو طريق معين خرجته من هذا الوجه أولًا ثم ذكرت من رواه نحوه أو بغير هذا اللفظ أو من طريق آخر.

ب - إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزو ذلك دون ذكر من شاركهما أو شارك أحدهما لإفادته الصحة.

٥ - أثبت في كثير من المسائل وخاصة العقدية منها - التي ذكرها المؤلف ولم يذكر دليلها - الأدلة على ذلك.

٦ - أثبت في عدة مواطن كلام أهل السنة فيما يُعَدّ تأييدًا أو توضيحًا لكلام المصنف مع الإحالة إلى بعض كتب العقيدة للبسط فيها.

٧ - ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب ترجمة موجزة ذكرت فيها م لة المترجم له جرحا وتعديلًا وسنة وفاته غالبا واقتصرت في ذلك على كتاب " تقريب التهذيب " لقصر عبارته وشمولها ودقة الحافظ ابن حجر وما لم يكن من رجال التقريب ترجمت له من غيره من كتب التراجم.

٨ - عرفت بالكتب الواردة في الرسالة.

٩ - فهرست للأحاديث والآثار والأقوال والأعلام المترجم لهم.

والله أسأل أن أكون وفقت لخدمة دينه الحنيف ولإبراز الحق فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن الشيطان ومن نفسي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

قطف الثمر

في بيان عقيدة أهل الأثر

تأليف

الفاضل العلامة الشريف النواب

محمد صديق حسن خان القنوجي

المتوفى سنة ١٣٠٧ هجرية

حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وقدَّم له

د. عاصم بن عبد الله القريوتي

أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أشرفت وكالة شؤون المطبوعات والنشر بالوزارة على إصداره

عام ١٤٢٢ هـ

مقدمة المصنف لكتابه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، فوق ما يصفه به خلقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد، عبده الذي تبين في كل شيء رشده وصدقه، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بديه، واتبعوا سبيله، كما كان حقه. وبعد، فاعلم أن جملة ما عليه أصحاب الحديث والسنة، هو الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله [١] .

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه المقدسة في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف [٢] ولا تعطيل [٣] ولا تكييف [٤] ولا تمثيل [٥] ولا تأويل [٦] فيؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولا ينفون عنه ما

---

(١) واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

(٢) أي بدون تغيير ألفاظ أسماء الله الحسنى وصفاته العليا أو تغيير معانيها إلى معانٍ باطلة لا يدل عليها الكتاب والسنة .

(٣) التعطيل : نفي أسماء الله وصفاته وترك عبادة الله أو الشرك معه وتعطيل المخلوقات من خالقها جل وعلا كتعطيل الفلاسفة الذين قالوا بقدم هذه المخلوقات وزعموا أنا تتصرف بطبيعتها وأول من ابتدع التعطيل في دين الله الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان حيث تنتسب إليه الجهمية ، وقيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي وانظر : " الفتوى الحموية " (ص ٩٥) و " لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية " (١ / ٢٣) .

(٤) التكييف : أن يقال بأن الصفة على هيئة كذا وكيفية معينة .

(٥) التمثيل : التشبيه بين الخالق والمخلوق .

(٦) التأويل في الت يل الحميد الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب كما في قوله تعالى . ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (الكهف : ٨٢) ويستعمل عند قدماء المفسرين كابن جرير الطبري بمعنى " التفسير " فيقال : تأويل ما جاء في قوله تعالى أي : تفسيره ومثل هذا التأويل يعلمه من يعلم التفسير . وأما التأويل المنفي الذي نفاه المصنف والذي يرده أهل السنة والجماعة فهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح كتأويل من أول " الاستواء " بمعنى الاستيلاء ونحوه ، وتأويل " اليد " بالقدرة ، وتأويل الرؤية وغير ذلك ، فهذا عند سلف الأمة باطل لا حقيقة له بل هو من التعطيل لأن المؤول يشبه أولا ثم يلجأ إلى التأويل وانظر لبسط ذلك " درء تعارض العقل والنقل " (٥ / ٣٨١ فما بعدها) و " الفتوى الحموية " (ص ١٠٥ - ١٠٧) و " مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " (١ / ٥٢) .

وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون [1] في أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، ولا يعطلونا، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه [2] لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [3] [الشورى: ١١] وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ورسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولذلك قال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [4] [الصافات: ١٨٠ -١٨٢] فسبح نفسه عما وصف به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب والخلل والزلل. وقد جمع الله سبحانه وتعالى فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ومن هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص، التي تعدل ثلث القرآن [5] على لسان محمد ﷺ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ

---

(١) الإلحاد في الأسماء والصفات الميل بها عن الحق الثابت إلى الشرك والكفر والتعطيل وله أقسام خمسة : ١- تسمية الله بما لا يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى ٢ - تسمية بعض المخلوقات ببعض ما سمى الله به نفسه ٣- وصفهبما به ه ويتقدس عنه ٤ - تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها وزعم أنها ألفاظ مجردة لا معاني لها ٥- تشبيه صفات الله تبارك وتعالى بصفات الخلق . انظر " مختصر الصواعق (٢ / ١١٠) .

(٢) لقوله تعالى : فَلَا تَضْرِبُوا لله الْأَمْثَالَ . . [النحل : ٧٤] واعلم أن كل ما وصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به وكل ما نزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالته ه لقوله تعالى . . وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى [الروم : ٢٧] والله أعلم . انظر " الكواشف الجلية عن معاني الواسطية " (ص ١٠٢) .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) سورة الصافات آية : ١٨٠ -١٨٢ .

(٥) كما في الصحيحين : البخاري (٥ / ٥٩ فتح الباري) من حديث أبي سعيد الخدري ومسلم (٨١٢) من حديث أبي هريرة ولفظ البخاري : " والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن " .

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [1] [الإخلاص] وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله [2] حيث يقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [3] [البقرة: ٢٥٥]. ولهذا كان " من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح " [4] .

ومنه قوله: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [5] [الحديد: ٣]. وقوله:... ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [6] [7] [التحريم: ٢].

وقوله... ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [8] [سبأ: ١].

وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ ﴾ [9] [الحديد: ٤].

وقوله: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا

---

(١) سورة الإخلاص آية : ١ - ٤ .

(٢) كما في " صحيح مسلم " (٨١٠) من حديث أبي بن كعبقال رسول الله " يا أبا المنذر! أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ " قال قلت : الله ورسوله أعلم قال : " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال : فضرب في صدري وقال : " والله لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر " .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري (٤ / ٤٨٧ فتح الباري) ، عن أبي هريرة .

(٥) سورة الحديد آية : ٣ .

(٦) سورة التحريم آية : ٢ .

(٧) وقع في الأصل : " وهو العليم " وهو تصحيف عن " وهو الحكيم " .

(٨) سورة سبأ آية : ١ .

(٩) سورة الحديد آية : ٤ .

تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ (1) [الأنعام: ٥٩].

وقوله:... ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ (2) ... [فاطر: ١١].

وقوله: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (3) [الطلاق: ١٢].

وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (4) ... [الفرقان: ٥٨].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (5) [الذاريات: ٥٨].

وقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (6) [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ (7) [النساء: ٥٨].

وقوله: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ (8) ... [الكهف: ٣٩].

وقوله:... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ (9) [المائدة: ١].

وقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٩ .
(٢) سورة فاطر آية : ١١ .
(٣) سورة الطلاق آية : ١٢ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٥٨ .
(٥) سورة الذاريات آية : ٥٨ .
(٦) سورة الشورى آية : ١١ .
(٧) سورة النساء آية : ٥٨ .
(٨) سورة الكهف آية : ٣٩ .
(٩) سورة المائدة آية : ١ .

صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [1] [الأنعام: ١٢٥].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [2] [آل عمران: ١٣٤].

وقوله:... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾ [3] [الحجرات: ٩].

وقوله:... ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [4] [البقرة: ٢٢٢].

وقوله: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [5] [آل عمران: ٣١].

وقوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [6] [المائدة: ٥٤].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ [7] [الصف: ٤].

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾ [8] [البروج: ١٤].

وقوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ [9] [النمل: ٣٠].

وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [10] [غافر: ٧].

وقوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ ﴾ [11] [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .
(٣) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٦) سورة المائدة آية : ٥٤ .
(٧) سورة الصف آية : ٤ .
(٨) سورة البروج آية : ١٤ .
(٩) سورة النمل آية : ٣٠ .
(١٠) سورة غافر آية : ٧ .
(١١) سورة الأحزاب آية : ٤٣ .

وقوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [1] [الأعراف: ١٥٦].

وقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [2] [الأنعام: ٥٤].

وقوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [3] [يونس: ١٠٧].

وقوله: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [4] [يوسف: ٦٤].

وقوله: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ﴾ [5] [المائدة: ١١٩].

وقوله: ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [6] [النساء: ٩٣].

وقوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ [7] [محمد: ٢٨].

وقوله: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [8] [الزخرف: ٥٥].

وقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ [9] [التوبة: ٤٦].

وقوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [10] [البقرة: ٢١٠].

وقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [11] [الأنعام: ١٥٨].

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٦ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٤ .
(٣) سورة يونس آية : ١٠٧ .
(٤) سورة يوسف آية : ٦٤ .
(٥) سورة المائدة آية : ١١٩ .
(٦) سورة النساء آية : ٩٣ .
(٧) سورة محمد آية : ٢٨ .
(٨) سورة الزخرف آية : ٥٥ .
(٩) سورة التوبة آية : ٤٦ .
(١٠) سورة البقرة آية : ٢١٠ .
(١١) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .

وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [1] [الفجر: ٢٢].

وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [2] [الرحمن: ٢٧].

وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [3] [القصص: ٨٨].

وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [4] [ص: ٧٥].

وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [5] [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [6] [الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [7] [القمر: ١٤].

وقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ [8] [طه: ٣٩].

وقوله: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [9] [طه: ٤٦].

وقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [10] [العلق: ١٤].

قوله: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [11] [الشعراء: ٢١٨].

---

(١) سورة الفجر آية : ٢٢ .
(٢) سورة الرحمن آية : ٢٧ .
(٣) سورة القصص آية : ٨٨ .
(٤) سورة ص آية : ٧٥ .
(٥) سورة المائدة آية : ٦٤ .
(٦) سورة الطور آية : ٤٨ .
(٧) سورة القمر آية : ١٤ .
(٨) سورة طه آية : ٣٩ .
(٩) سورة طه آية : ٤٦ .
(١٠) سورة العلق آية : ١٤ .
(١١) سورة الشعراء آية : ٢١٨ .

وقوله: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (1) [التوبة: ١٠٥].

وقوله: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ (2) [الرعد: ١٣].

وقوله: ﴿ وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا ﴾ (3) [النمل: ٥٠].

وقوله: ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ﴿١٦﴾ ﴾ (4) [الطارق: ١٦].

وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ (5) [النساء: ١٤٩].

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ (6) [المنافقون: ٨].

وقوله عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (7) [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ (8) [مريم: ٦٥].

وقوله: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ (9) [البقرة: ٢٢].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ (10) [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ

(١) سورة التوبة آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الرعد آية : ١٣ .
(٣) سورة النمل آية : ٥٠ .
(٤) سورة الطارق آية : ١٦ .
(٥) سورة النساء آية : ١٤٩ .
(٦) سورة المنافقون آية : ٨ .
(٧) سورة ص آية : ٨٢ .
(٨) سورة مريم آية : ٦٥ .
(٩) سورة البقرة آية : ٢٢ .
(١٠) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [1] [الإسراء: ١١١].

وقوله: ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [2] [التغابن: ١].

وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [3] [الفرقان: ١ و٢].

وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [4] [المؤمنون: ٩١ و ٩٢].

قوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [5] [النحل: ١٧٤].

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [6] [الأعراف: ٥٤].

وفي سورة يونس [٣] مثله.

وفي سورة الرعد [٢]: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

(١) سورة الإسراء آية : ١١١ .
(٢) سورة التغابن آية : ١ .
(٣) سورة الفرقان آية : ١ - ٢ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ٩١ - ٩٢ .
(٥) سورة النحل آية : ٧٤ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

ٱلْعَرْشِ ﴾ [1] وفي سورة طه [٥]: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [2] .

وفي سورة الفرقان [٥٩]: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [3] .

وفي سورة السجدة [٤]: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [4] .

وفي سورة الحديد [٤]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ [5] .

فهذه سبعة مواطن، أخبر فيها بأنه سبحانه استوى على العرش، وفي هذه المسألة أدلة من السنة والآثار الصحيحة الكثيرة يطول [بذكرها] [6] الكتاب، فمن أنكر كونه سبحانه في جهة العلو بعد هذه الآيات والأخبار فقد خالف الكتاب والسنة.

وقد ثبت بالأدلة الصحيحة، أن الله خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين، بعضها أسفل من بعض. و " بين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش

---

(١) سورة الرعد آية : ٢ .
(٢) سورة طه آية : ٥ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٥٩ .
(٤) سورة السجدة آية : ٤ .
(٥) سورة الحديد آية : ٤ .
(٦) في الأصل (ذكرها) ولعل الصواب ما أثبته . وتعليق المراجع : بل إن الأصل صواب وكلمة ذكرها فاعل . أي يطولُ ذكرُها الكتاب .

الرحمن ﷻ فوق الماء والله ﷻ على العرش "[(١)] و " الكرسي موضع قدميه "[(٢)] وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع ونبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، دونه " حجب من نار ونور وظلمة "[(٣)] وما هو أعلم به.

(١) جاء نحو هذا موقوفًا على ابن مسعود كما في " الرد على الجهمية " للدارمي (ص ٢١) و " التوحيد " لابن خزيمة ص (٧٠ و٧٥ و١٠٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠١) والطبراني في الكبير (٨٧ - ٨٩) وصححه ابن القيم في " اجتماع الجيوش " (ص ١٠٠) [وصححه الذهبي في العلو ص ٦٣ ، ٦٤] .

(٢) روى هذا مرفوعًا الضياء بسند ضعيف كما في تخريج " ما دل عليه القرآن " (ص ١٤٢) وأشار للرواية المرفوعة الدارقطني في " الصفات " (٣٦) فقال لما رواه من طريق عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : " رفعه " شجاع إلى النبي ولم يرفع الرمادي " . قلت : شجاع هو ابن مخلد الفلاس ذكره العقيلي في الضعفاء كما في التهذيب - وأورد له عن أبي عاصم عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا " كرسيه موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره " رواه الرمادي والكجي عن أبي عاصم فلم يرفعاه وكذا رواه ابن مهدي ووكيع بن سفيان موقوفًا " وانظر التهذيب (٤ / ٣١٣) والميزان (٢ / ١٦٥) وتاريخ بغداد (٩ / ٢٥٢) . وفي " التقريب " عن شجاع : " صدوق وهم في حديث فرفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلي في الضعفاء " والحديث الذي وهم فيه مروي في " جزء فيه أحاديث أبي الحسن علي بن عمر بن محمد السكري الختلي الحربي " المتوفى سنة (٣٨٦ هـ) وأحاديثه معروفة بـ " الحربيات " كما في التعليق على " الصفات " للدارقطني للدكتور علي ناصر . وأما الموقوف فرواه الدارقطني في " الصفات (٣٦) وعبد الله في " السنة " (ص ٧١ ، ١٤٢) والدارمي في " الرد على المريسي " [وقال : صحيح مشهور] (ص ٧١ و٧٣) وابن جرير في التفسير (٣ / ١١٠) والحاكم (٢ / ٢٨٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، [وقال في العلو ص : ٦١ " رواته ثقات "] وأشار له البيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٤٠٤) ، وجاء الأثر موقوفا أيضا على أبي موسى كما في الأسماء والصفات " (ص ٤٠٤) وتاريخ بغداد " (٨ / ٢) و (٩ / ٢٥٢) . [وسنده صحيح] .

(٣) روى مسلم في صحيحه (١٧٩) عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : إن اللهلا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور (وفي رواية في مسلم أيضا النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وروى الدارمي في " الرد على المريسي " (ص ١٧٣) عن المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي قال : احتجب ربناعن خلقه بأربع بنار وظلمة ثم بنور وظلمة . . . " وفي سنده : المثنى بن الصباح وهو ضعيف اختلط بأخرة كما في " التقريب " وروى البيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٤٠٢) مرفوعًا " دون

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله ﷻ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] [ق: ١٦].

وبقوله:... ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [2] ... [المجادلة: ٧] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل إنما يعني العلم لأن الله ﷻ فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن [3] من خلقه، لا يخلو عن علمه مكان، وليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء، وأن السماء تحصره وتحويه فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من

الله تعالى سبعون ألف حجاب من نار وظلمة . . . " وفي سنده : موسى بن عبيدة الربذي وهو عند أهل العلم بالحديث ضعيف كما قال البيهقي . وجاء نحو حديث عمرو بن شعيب موقوفًا على ابن عمر في " الرد على المريسي " ص (١٧٢) والرد على الجهمية (ص ٣٠) للدارمي وشرح اعتقاد أصول السنة " (٧٢٩) وانظر تفسير ابن كثير (٢ / ٣٠٤ ط الشعب) تفسير سورة الأنعام الآية : ١٠٣ وانظر " الأسماء والصفات " (ص ٤٠٢ و ٤٠٣) و " شرح العقيدة الطحاوية " (ص ٢١٤) [والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا] .

(١) سورة ق آية : ١٦ .

(٢) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٣) قد يقول قائل إن هذا اللفظة " بائن " لم ترد في الكتاب والسنة فلم تذكر وقد أجاب عن هذه وغيرها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله في " مختصر العلو " (ص ١٨ - ١٩) ما خلاصته أن هذه اللفظة " بائن " لا بأس من ذكرها للتوضيح ولقد كثر ورودها في عقيدة السلف وقال بها جماعة وإن لم تكن معروفة في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان اقتضت ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأعلام بلفظ " بائن " دون أن ينكره أحد منهم وهذا تماما كقولهم في القرآن إنه غير مخلوق فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضًا وإنما كانوا يقولون فيه : " كلام الله تبارك وتعالى " لا يزيدون على ذلك وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة إنه مخلوق ، ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى عندما سئل عن " الواقفة " الذين " يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل " كلام الله " ثم يسكت ؟ قال : ولم يسكت ؟ لو لا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا لأي شيء لا يتكلمون ؟ ! سمعه أبو داود منه كما في " مسائله " (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) " .

ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقد قال مالك بن أنس: " إن الله في السماء وعلمه في كل مكان " [(١)] وقيل لابن المبارك بماذا تعرف ربنا ؟ قال " بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه " [(٢)] وبه قال أحمد بن حنبل [(٣)] وقال الشافعي: " خلافة أبي بكر قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب أوليائه " [(٤)] .

فمن اعتقد أن الله في جوف السماوات محصور محاط، أو أنه مفتقر إلى العرش، أو غير العرش، من المخلوقات أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه، فهو ضال مبتدع جاهل، ومن اعتقد أنه ليس في السماوات إله يعبد ولا على العرش إله يصلى له ويسجد وأن محمدًا لم يعرج به إلى ربه، ولا نزل القرآن من عنده، فهو معطل فرعوني، فإن فرعون كذب موسى في أن ربه فوق السماوات فقال: ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ ﴾ [(٥)] [غافر: ٣٦ و٣٧] ومحمد ﷺ صدق موسى، فأقر أن ربه فوق السماوات، فلما كان ليلة المعراج، عرج به إلى الله، وفرض عليه ربه خمسين صلاة، وذكر أنه رجع إلى موسى،

---

(١) أخرجه الإمام عبد الله في " السنة " (ص ٥) وأبو داود في " مسائل الإمام أحمد " (ص ٢٦٣) .

(٢) رواه عبد الله في " السنة " (ص ٥ و ٧٢) والدارمي في الرد على المريسي (ص ٢٤ و ١٠٣) وفي " الرد على الجهمية " (ص ٥٠) وقال ابن القيم في " اجتماع الجيوش " (ص ٨٤) : قد صح عنه صحة قريبة من التواتر .

(٣) قيل لأبي عبد الله - الإمام أحمد - الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال " نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه " رواه الخلال في " السنة " كما في " اجتماع الجيوش " (ص ٧٧) .

(٤) ذكره ابن القيم في " اجتماع الجيوش " (ص ٥٩) وصدره بقوله صح عن الشافعي . . . وقال الإمام الشافعي رحمه الله : " القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن الله على عرشه في السماء يقرب من خلقه كيف شاء وي ل إلى السماء الدنيا كيف شاء . . . وذكر سائر الاعتقاد . رواه أبو الحسن الهكاري وأبو محمد المقدسي كما في " العلو " (مختصره ص ١٧٦) وانظر " اجتماع الجيوش " (ص ٥٩) .

(٥) سورة غافر آية : ٣٦ - ٣٧ .

وأن موسى قال: ﴿ ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ﴾ [1] . وهذا الحديث في الصحاح [2] فمن وافق فرعون وخالف موسى ومحمدًا فهو ضال، ومن مثل الله بخلقه فهو ضال، ومن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه فهو كافر.

وليس ما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله تشبيها، وقد قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [3] [فاطر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [4] [آل عمران: ٥٥]. وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ ﴾ [5] ... [النساء: ١٥٨]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [6] [الأنعام: ١١٤]. وقال: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ [7] [الزمر: ١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ ﴾ [8] [الأنبياء: ١٩].

فدل ذلك على أن الذين عنده قريبون إليه، وإن كانت المخلوقات تحت قدرته، فالقائل الذي قال من لا يعتقد أن الله في السماء [فهو ضال] [9] إن أراد بذلك أن الله في جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به، فقد أخطأ، ن أراد بذلك من لم يعتقد ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من

(١) مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .
(٢) انظر صحيح البخاري (١ / ٤٥٩ فتح الباري) ومسلم (١٦٢) . وسيأتي تواتره في التعليق [٢٥٠] .
(٣) سورة فاطر آية : ١٠ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٥٥ .
(٥) سورة النساء آية : ١٥٨ .
(٦) سورة الأنعام آية : ١١٤ .
(٧) سورة الزمر آية : ١ .
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٩ .
(٩) هذه زيادة اقتضاها السياق .

خلقه، فقد أصاب، فإنه من لم يعتقد ذلك يكون مكذّبًا للرسول، متبعا غير سبيل المؤمنين بل يكون في الحقيقة معطلًا لربه نافيًا له فلا يكون له في الحقيقة إله يعبده، ولا رب يسأله ويقصده وهذا قول الجهمية [١] ونحوهم من أتباع فرعون المعطل.

والله قد فطر العباد، عربهم وعجمهم، على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولا يقصدونه تحت أرجلهم، ولهذا قال بعض العارفين: " لم يقل عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه أن يتحرك لسانه يعني يطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة " [٢] .

والقائل الذي يقول: " إن الله لا ينحصر في مكان " إن أراد بذلك أن الله لا ينحصر في جوف المخلوقات أو أنه [لا] [٣] يحتاج إلى شيء منها فقد أصاب، وإن أراد أن الله ليس فوق السماوات، ولا هو على العرش، وليس هناك إله يعبد، ومحمد لم يعرج به إلى الله، فهذا جهمي فرعوني معطل. ومنشأ الضلال أن يظن الظان أن صفات الرب كصفات خلقه، فيظن أن الله سبحانه على عرشه كالملك المخلوق على سريره، فهذا تمثيل وضلال، وذلك أن الملك مفتقر إلى سريره، ولو زال سريره لسقط، والله غني عن العرش، وعن كل شيء [٤] وكل ما سواه فقير إليه وهو حامل [٥] العرش وحملته، وعلوه لا يوجب افتقاره

---

(١) نسبة إلى " جهم بن صفوان السمرقندي " الضال المبتدع رأس الجهمية الذي هلك في زمان صغار التابعين . وقد سبق التعليق رقم (٢) أنه أخذ آراءه عن الجعد بن درهم من نفي الصفات والقول بخلق القرآن ، وانظر ميزان الاعتدال (١ / ٤٢٦) .

(٢) نقل هذا أبو جعفر الهمداني عندما حضر مجلس أبي معالي الجويني كما في " الاستقامة " لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د . محمد رشاد سالم (١ / ١٦٧) .

(٣) سقطت (لا) من الأصل .

(٤) قال تعالى : وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر : ١٥] وقال أبو جعفر الطحاوي (ص ٣١٣) " شرح العقيدة الطحاوية " : " وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه " .

(٥) قال ابن أبي العز في " شرح الطحاوية " (ص ٣١٣) شارحًا قول الطحاوي : " وهو مستغن عن العرش وما دونه . . . " : " . . . وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا له محيطًا به حاملًا له ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطتهبه فهو فوق العرش مع حمله بقدرته العرش وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش

إليه، فإن الله قد جعل المخلوقات عاليًا وسافلًا، وجعل العالي غنيًا عن السافل، كما جعل الهواء فوق الأرض، وليس هو مفتقرًا إليها، وجعل السماء فوق الهواء، وليست محتاجة إليه، فالعلي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما أولى أن يكون غنيًا عن العرش وسائر المخلوقات، وإن كان عاليًا عليها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرا.

والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التصديق به، مثل علو الرب، واستوائه على عرشه، ونحو ذلك. وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات [(١)] مثل قول القائل في جهة، وهو متحيز، أو ليس بمتحيز، ونحوها من الألفاظ التي تنازع فيها الناس، فليس مع أحدهما نص لا عن الرسول ولا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أئمة المسلمين. فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم إن الله في جهة، ولا قال ليس هو في جهة، ولا قال هو متحيز، بل ولا قال هو جسم، أو جوهر. ولا قال ليس بجسم ولا جوهر، فهذه الألفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحًا وقد يريدون معنى فاسدًا، فمن أراد معنى صحيحًا موافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولًا منه، وإن أراد معنى فاسدا مخالف الكتاب والسنة، كان ذلك المعنى مردودا عليه. فإذا قال القائل: إن الله في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ أتريد أنه سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون في جوف السماوات أم تريد بالجهة أمرًا عدميًا وهو ما فوق العالم فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات، فإن

إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش وعدم حصر العرش له . وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق . . . " .

(١) قال ابن أبي العز في " شرح الطحاوية " (ص ١٠٩) : " والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة . والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ، ولا يتدبرون معانيها ، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضا جميلا أو يبينوا حاله تفصيلا ويحكم عليه بالكتاب والسنة لا يحكم به على الكتاب والسنة " . وانظر " شرح الطحاوية " (ص ١٠٨ - ١٠٩) لبيان أن طريقة القرآن في مجيء الإثبات للصفات مفصلا والنفي مجملا عكس طريقة أهل الكلام المذموم .

أردت الجهة الوجودية، وجعلت الله محصورًا في المخلوقات، فهذا باطل، وإن أردت الجهة العدمية، وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئًا من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه العالي بل هو العالي المحيط با وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ [1] ... [الزمر: ٦٧].

وقد ثبت في الصحيح [2] « عن النبي ﷺ أن الله يقبض الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » [3] وقد قال ابن عباس: " ما السماوات والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم " [4] وفي حديث آخر « أنه يرميها كما ترمي الصبيان الكرة » [1] فمن يكون

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٧ .

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة بلفظ " يقبض الله تبارك وتعالى الأرض . . . الحديث " [والبخاري في صحيحه (١١ / ٣٧٢) ح ٦٥١٩] وليس فيه " ثم يَهُزُهُن " . ولكن جاء في مسلم (٢٧٨٦) من حديث ابن مسعود مرفوعًا " إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرض على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يَهُزُهُن فيقول أنا الملك أنا الملك . . . " وروى البخاري نحوه (١٣ / ٤٧٤ فتح الباري) .

(٣) البخاري التوحيد (٦٩٤٧) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٧) ، ابن ماجه المقدمة (١٩٢) ، أحمد (٢ /٣٧٤) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٩) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٣٢٤) عن معاذ بن هشام قال ثني أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ومعاذ صدوق ربما وهم ، ووالده ثقة ثبت وقد رمي بالقدر وعمرو ابن مالك النكري صدوق له أوهام كما قال الحافظ في " التقريب " وقال الذهبي في " الكاشف " : " وُثق " وقال ابن حبان في " الثقات " - كما في " التهذيب " (٨ / ٩٦) - : " يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه يخطئ ويغرب " . [إنما قال ابن حبان هذه العبارة في راوٍ متأخر في الطبقة عن عمرو هذا يقال له : عمرو بن مالك النكري أيضا ، انظر الثقات (٧ / ٢٢٨) و (٨ / ٤٨٧) وأما المذكور هنا فقد وثقه ابن معين والذهبي وقال ابن حبان : يعتبر به من غير رواية ابنه . فالأثر حسن] ، قلت : وهذا الأثر رواه عنه غير ابنه وهو هشام . وأبو الجوزاء ثقة لكنه يرسل كثيرا وله في البخاري حديث واحد من روايته عن ابن عباس كما في " هدي الساري " (ص ٣٩٢) .

جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى مع هذا الصغر والحقارة كيف تحيط به وتحصره ؟

ومن قال إن الله ليس في جهة قيل له ما تريد بذلك ؟ فإن أراد أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد ﷺ لم يعرج به إلى الله، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه، فهذا فرعوني معطل، جاحد لرب العالمين، وإن اعتقد أنه مقرّ به فهو جاهل متناقض في كلامه، ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا: إن الله في كل مكان وأن وجود المخلوقات [هو] [2] وجود الخالق، وإن قال إن مرادي بقولي: إنه ليس في جهة أنه لا تحيط به المخلوقات بل هو وجود الخالق فقد أصاب في هذا المعنى، وكذلك من قال: " إن الله متحيز أو قال ليس بمتحيز إن أراد بقوله متحيز أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات بائن عنها عالٍ عليها فقد أصاب ومن قال: ليس بمتحيز إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب، وإن أراد أنه ليس مباينا عنها بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ. والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: أهل الحلول، وأهل النفي والجحود، وأهل الإيمان والتوحيد والسنة.

فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة فيقولون: المخلوقات وجود الخالق.

وأما أهل النفي والجحود، فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا يـ ل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب منه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى لشيء، ولا يراه أحد، ونحو ذلك، هذا قول متكلمة الجهمية المعطلة، كما أن الأول قول عباد الجهمية. فمتكلمة الجهمية لا يعبدون

---

(1) قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١٣ / ٣٩٦) في شرحه لحديث ابن عمر مرفوعًا " إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك " : " وزاد في رواية ابن وهب عن أسامة بن زيد عن نافع وأبي حازم عن ابن عمر " فيجعلهما في كفة ثم يرمي بهما كما يرمي الغلام بالكرة " قلت : رواية ابن وهب هذه عند الطبري في تفسيره (٢١ / ٣٢٥) .

(2) في الأصل (هي) .

شيئا، وعباد الجهمية يعبدون كل شيء، وكلامهم يرجع إلى التعطيل والجحود، الذي هو قول فرعون. وقد علم أن الله كان قبل أن يخلق السماوات والأرض ثم خلقهما فإما أن يكون داخلا فيهما وهذا حلول باطل، وإما أن يكونا داخلين فيه، فهو باطل وأبطل، وإما أن يكون الله بائنا عنهم لم يدخل في شيء ولم يدخل فيه شيء، وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة.

ولأهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما فطر الله عليه عباده، وما دلت عليه الدلائل العقلية، فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته، عال عليها، قد فطر الله على ذلك العجائز والأعراب والصبيان في الكتاب كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿ كل مولود يولد على الفطرة - أي فطرة الإسلام - فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ﴾ [1] ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [2] الروم: [٣٠] [3] وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز: " عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب " [4] يعني: عليك بما فطرهم الله عليه فإن

---

(١) البخاري الجنائز (١٣١٩) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٢/٢٧٥) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

(٢) سورة الروم آية : ٣٠ .

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة والبخاري (٩ / ٢١٣ فتح الباري) بلفظ " ما من مولود . . . الحديث " . ورواه البخاري أيضا (٣ / ٢٤٦) بلفظ قريب من لفظ مسلم ولكن ليس فيه قراءة أبي هريرة للآية . تُنتج : تلد ، جمعاء : سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها ولا كي ، الجدعاء : مقطوعة الأطراف أو أحدها . والمعنى أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق سوية الأطراف سليمة من الجدع لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة كما في " النهاية في غريب الحديث " (١ / ٢٤٧) .

(٤) ذكره في " شرح السنة " (١ / ٢١٧) فقال : سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء فقال : " الزم دين الصبي في الكتاب والأعراب " وجاء نحو هذا عن عمر بن الخطاب . انظر التعليق رقم (٣٤٤) لشرحها . وعمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين عُد كالخلفاء الراشدين مات سنة ١٠١ هـ (التقريب) .

الله فطرهم على الحق.

والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتحويل الفطرة وتغييرها، وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم، فيريدون أن يغيروا فطرة الله ودين الله، ويوردون على الناس شبهات بكلمات متشابهة، لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها، ولا يحسن أن يجيئهم [بما ينقضها] وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين، كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك. فمن كان عارفًا بحال شبهاتهم بينها، ومن لم يكن عارفًا بذلك، فليعرض عن كلامهم، ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾ [1] ... [الأنعام: ٦٨] ومن تكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة، فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل، وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه، فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة الاعتقادات الباطلة مما لم يقولوه، ويقولون لمن اتبعهم هذا الذي يقوله اعتقاد الإمام الفلاني، فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة، تبين كذبهم في ذلك فيما ينقلون عن النبي ﷺ ويضيفونه إلى سنته من البدع والأقوال الباطلة، ومنهم من إذا طولب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العلماء، والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء، ويكون العقلاء طائفة من أهل الكلام الذين ذمهم الأئمة فقد قال الشافعي: " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام " [2] فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنهما فكيف حكمه فيمن عارضهما بغيرهما ؟ وكذلك قال أبو يوسف القاضي: " من طلب

(١) سورة الأنعام آية : ٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين (١ / ١٦٤) و " درء تعارض العقل والنقل " (٧ / ١٤٧) .

الدين بالكلام تزندق "[1] وكذلك قال أحمد بن حنبل: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح، وقال: علماء الكلام زنادقة[2] وكثير من هؤلاء قرأوا كتبًا من كتب الكلام فيها شبهات أضلتهم ولم يهتدوا لجوابها فإنهم يجدون في تلك الكتب أن الله لو كان فوق الخلق للزم التجسيم والتحيز والجهة، وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ، ولا ما أراد بها أصحابها، فإن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولم يقل أحد منهم إن الله جسم ولا إن الله ليس بجسم، ولا إن الله جوهر، ولا إن الله ليس بجوهر، ولفظ الجسم لفظ مجمل، ومعناه في اللغة البدن، ومن قال إن الله مثل بدن الإنسان، فهو مفتر على الله، بل من قال: الله يماثل شيئًا من المخلوقات، فهو مفتر على الله، ومن قال: إن الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئًا من المخلوقات، فهو مفتر على الله، ومن قال: إن الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئًا من المخلوقات، فالمعنى صحيح وإن كان اللفظ بدعة، وأما من قال إن الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يرى في الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي، بل القرآن العربي مخلوق، أو هو تصنيف جبريل، ونحو ذلك، فهذا مفتر على الله فيما نفاه عنه، وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة، ومن وافقهم على مذهبهم، فإنهم يظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل، فيقولون، نحن لا نجسم، بل نقول: إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسمائه وصفاته، فيقولون: ليس لله علم ولا قدرة، ولا حياة ولا كلام، ولا سمع ولا بصر، ولا يرى في الآخرة، ولا عرج النبي ﷺ إليه، ولا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتجلى لشيء ولا يقرب منه شيء إلى غير ذلك وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات كماله، بل هو الأحد الصمد ولم يكن له كفوًا أحد.

(١) الإحياء (١ / ١٦٤) و " درء التعارض " (٧ / ١٥٨) و " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (١٤٥) و " الحجة في بيان المحجة " (ص ١٣) .

(٢) القولان في " الإحياء " (١ / ١٦٤) . وفي " درء التعارض " (٧ / ١٤٧) القول الأول فقط .

فالمعطل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صنمًا، والمعطل أعمى، والممثل أعشى [1] ودين الله بين الغالي فيه، والجافي عنه، وكما أن ذاته ليست كالذوات المخلوقة، فصفاته ليست كالصفات المخلوقة، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، م ه عن كل نقص وعيب، وهو سبحانه في صفات الكمال لا يماثله شيء.

فمذهبنا مذهب السلف: إثبات بلا تشبيه، وت يه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك [2] والشافعي [3] والثوري [4] والأوزاعي [5] وابن المبارك [6] .

والإمام أحمـد [7] وإسحـاق بن راهويه [8] وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بم، كالفضيل [9] بن عياض وأبي سليمان الداراني [10] وسهل [11] بن عبد الله التستري، وغيرهم. فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة [12] رضي الله عنه فإن الاعتقاد الثابت عنه، موافق لا اعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، قال

---

(١) الأعشـى مرادف للأعمى أو هـو سيئ البصر بالليل والنهار وانظر " القامـوس المحيط " (١ / ٣٦٤) مادة ع ش ي .

(٢) هو ابن أنس أبو عبد الله الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المتثبتين مات سنة (١٧٩ هـ) . تقريب التهذيب .

(٣) هو محمد بن إدريس أبو عبد الله الـدد لأمر الدين على رأس المائتين مات (سنة ٢٠٤ هـ) . تقريب .

(٤) اسمه سفيان بن سعيد بن مسروق ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة وكان ربما دلس مات سنة (١٦١ هـ) . تقريب .

(٥) هو عبد الرحيم بن عمرو بن أبي عمرو الفقيه ثقة جليل مات سنة (١٥٧ هـ) . تقريب .

(٦) هو عبد الله بن المبارك المروزي ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير مات سنة (١٨١ هـ) . تقريب .

(٧) وهو ابن حنبل المروزي ثقة حافظ فقيه حجة مات (سنة ٢٤١ هـ) . تقريب .

(٨) ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بقليل مات سنة (٢٣٨ هـ) . تقريب .

(٩) ثقة عابد إمام زاهد مشهور مات (سنة ١٨٧ هـ) . تقريب .

(١٠) واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي زاهد مشهور مات (سنة ٢١٥ هـ) . انظر تاريخ بغداد ، (١٠ / ٢٤٩) و " الحلية " (٩ / ٢٥٤) .

(١١) مات سنة (٢٨٣ هـ) انظر " الحلية " (١٠ / ١٨٩) و " الوفيات " (١ / ١٨) وانظر " مختصر العلو " (ص ٢٢٠) لترى عقيدته السلفية .

(١٢) وهو النعمان بن ثابت الفقيه المشهور الإمام مات (سنة ١٥٠ هـ) على الصحيح . تقريب .

الإمام أحمد [(١)] " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ولا نتجاوز القرآن والحديث " وهكذا مذهب سائرهم، فنتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم الأئمة بذا الشأن، نفيًا وإثباتًا، وهم أشد تعظيما لله وتـ يهًا له عما لا يليق بحاله، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقال: هي ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يعرف المراد منها، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني بل هي آيات بينات، دالة على أشرف المعاني وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم.

والإيمان إثبات بلا تشبيه، وتـ يه بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم، كذلك فكان الباب عندهم بابًا واحدًا، قد اطمأنت به قلوبهم، كذلك وسكنت إليه نفوسهم فأنسوا من صفات كماله ونعوت جلاله مما استوحش منه الجاهلون المعطلون وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون المتكلمون وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، فكذا صفاته لا تشبه الصفات، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول، وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار، لعلمهم بأنه صفة من لا تشبيه لذاته ولا لصفاته، وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق لا تشابه بينهم في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات الحادث، وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ للفظ. والله سبحانه وتعالى قد أخبر أن في الجنة لحمًا ولبنًا وعسلًا وماءً وحريرًا وذهبًا، وقال ابن عباس: " ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء " [(٢)] فإذا كانت هذه المخلوقات الفانية ليست مثل هذه الموجودة، مع اتفاقهما في الأسماء فالخالق جل وعلا أعظم علوا، وأعلى مباينة لخلقه، من مباينة المخلوق للمخلوق وإن اتفقت الأسماء. وأيضًا فقد سمى الله سبحانه نفسه حيًا عليمًا سميعًا بصيرًا ملكًا رؤوفًا

---

(١) انظر التعليق رقم (١) .

(٢) رواه البيهقي بإسناد جيد كما قال المنذري في " الترغيب والترهيب " (٦ / ٣٣٢) . ورواه ابن حزم أيضًا في " الفصل في الملل والنحل " (٢ / ١٠٨ هـ) وقال : " وهذا سنده في غاية الصحة وهو حديث في قطعة وكيع المشهورة " .

رحيمًا، وسمى بعض مخلوقاته حيًا وبعضها عليمًا وبعضها سميعًا بصيرًا وبعضها رؤوفًا رحيمًا وليس الحي كالحي، ولا العليم كالعليم، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا الرؤوف الرحيم كالرؤوف الرحيم.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (1) [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (2) [آل عمران: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ (3) [يوسف: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (4) [الذاريات: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (5) [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (6) [الإنسان: ٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ (7) [الحج: ٦٥].

وقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (8) [التوبة: ١٢٨].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٧ .
(٣) سورة يوسف آية : ٨٣ .
(٤) سورة الذاريات آية : ٢٨ .
(٥) سورة النساء آية : ٥٨ .
(٦) سورة الإنسان آية : ٢ .
(٧) سورة الحج آية : ٦٥ .
(٨) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة، إلا في اتفاق الاسم، وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله ﷺ وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة، قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر، على أن الله سبحانه فوق العرش، فوق السماوات استوى على عرشه، بائن من خلقه، سميع لا يشك (١) بصير لا يرتاب (٢) عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حفيظ لا ينسى، ولا يسهو، قريب لا يغفل، ولا يلهو (٣) يتكلم، ويبسط، وينظر، ويضحك، ويفرح، ويحب، ويكره، ويبغض، ويسخط، ويرحم، ويعفو، ويغفر، ويعطي، ويمنع، وي ل كل ليلة إلى السماء الدنيا، كيف شاء، وهو معهم أينما كانوا. قال نعيم بن حماد (٤) لما سئل عن معنى هذه الآية: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٥) [الحديد: ٤] معناها: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه (٦) وليس معناه أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقه، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر والمقيم أينما كان، فهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم ومطلع. وأخبر أنه ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٧) [المعارج: ٣ - ٤]

---

(١) أي أن الله تبارك وتعالى يسمع بسمع يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى ولا يعتريه شك في سماعه كما هو شأن المخلوق إذ قد يشك في السمع .

(٢) هذه العبارة وسابقتها جاءت في كتاب " السنة " للإمام أحمد (ص ٧٦) أيضًا وكذا في عقيدة الحازمي (ص ٥) وأفاد شيخنا العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله من شرور العباد - ما معناه عن هذه العبارة " بصير لا يرتاب " : أي أن اللهيبصر ببصر يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى وهو م ه عن ما يعتري المخلوق من الريبة والتردد في المرئي وعدم التمييز أحيانا ولله المثل الأعلى .

(٣) أي أن الله لا يغفل وهي كبيان لنفي الغفلة أيضًا . وفي النهاية . (٤ / ٢٨٢) : " اللهو : اللعب يقال : لهوت بالشيء ألهو لهوًا وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره وألهاه عن كذا أي شغله " .

(٤) هو أبو عبد الله المروزي صدوق يخطئ كثيرا فقيه عارف بالفرائض مات سنة (٢٢٨ هـ) على الصحيح . تقريب .

(٥) سورة الحديد آية : ٤ .

(٦) ذكره الذهبي في العلو (ص ١ / ٩٤ مختصره) وسنده صحيح كما في تخريجه .

(٧) سورة المعارج آية : ٣ - ٤ .

وأنه ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (1) [الأنعام: ٨] وأن الملائكة يخافونه من فوقهم (2) وهذا المعنى حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وقال: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ ﴾ (3) [البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (4) [ق: ١٦] وقال ﷺ ﴿ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ﴾ (5) (6) وقال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ﴾ (7) [المجادلة: ٧].

فكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه علي في دنوه، وقريب في علوه. والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا، وذكرنا بعضها في " الانتقاد الرجيح " (8) وفي الصحاح والسنن جميعًا، وقد أشار النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وفي آخر عمره إلى السماء، يقول بإصبعه: ﴿ اللهم اشهد ﴾ (9) وفي الصحيحين قصة المعراج وهي متواترة (10) وفيه أعظم دلالة على علوه تعالى فوق سبع سماوات. وسؤال السائل كيف استوى وكيف نزل بدعة

(١) سورة الأنعام آية : ١٨ .
(٢) قال تعالى : يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [النحل ٥٠] .
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٦ .
(٤) سورة ق آية : ١٦ .
(٥) الترمذي الدعوات (٣٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٥٢٦) ، أحمد (٤٠٢/٤) .
(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىولفظه : " والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم " .
(٧) سورة المجادلة آية : ٧ .
(٨) الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح " طبع في لكهنو بالهند .
(٩) رواه مسلم (٨ / ١٨٤ من شرح النووي) من حديث جابر الطويل .
(١٠) انظر التعليق الآتي رقم (٣) بحاشية ص ١١٧ .

قال ابن قتيبة [١] "ما زالت الأعم عربم وعجمهم، في جاهليتها وإسلامها، معترفة بأن الله في السماء" [٢] وقد جمع طائفة من العلماء في هذا الباب مصنفات منها: كتاب "العلو" [٣] للذهبي [٤] وكتاب " الـ ول " [٥] لشيخ الإسلام ابن تيمية [٦] .

وكتـاب الاستـواء [٧] لابن القيم. [٨] و "النونية" [٩] له .

و "عقيدة ابن قدامة" [١٠] ورسالة [١١] الشيخ محمد بن ناصر الحازمي [١٢] .

ورسالة [١٣] الشيخ محمد فاخر الإله آبادي [١] ثم المكي ورسالة " إجراء الصفات على

(١) هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الشهير مات (سنة ٢٧٦ هـ) وهو صدوق كما في " ميزان الاعتدال " (٢ / ٥٠٣) .

(٢) انظر " مختصر العلو " (ص ١٦) .

(٣) وهو مطبوع ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة وغيرها ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ط ٢ .

(٤) هو الإمام المؤرخ الشهير شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مات سنة (٧٤٨ هـ) .

(٥) كتاب " شرح حديث الـ ول " مطبوع متداول .

(٦) وهو (وارث علم الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين) - كما وصفه العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله في مقدمة " التوسل والوسيلة (ص ٣) " - الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام شيخ الإسلام ابن تيمية مات (سنة ٧٢٨ هـ) .

(٧) لم أقف على كتاب لابن القيم بهذا الاسم ولعله يريد كتابه " اجتماع الجيوش الإسلامية " إذ هذا هو موضوعه والله أعلم .

(٨) وهو الإمام الشهير صاحب الكتب القيمة العلامة محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ت (سنة ٧٥١ هـ) .

(٩) طبعت مع شرحها (توضيح المقاصد) للشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقي في المكتب الإسلامي بيروت ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢م .

(١٠) المسماة " لمعة الاعتقاد " ، طبعت في المكتب الإسلامي ، بيروت . وابن قدامة هو موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي مات (سنة ٦٣٠ هـ) . وللشيخ محمد بن صالح العثيمين شرح مختصر نافع للمعة الاعتقاد ، طبع في بيروت .

(١١) وهي رسالة قيّمة طبعت في الهند على الحجر وهي جواب لسؤال وجه للشيخ عن عقيدته في آيات من آيات الصفات ونحو ذلك وعن عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وضمن رسالته جل أقوال الأئمة الأعلام في العلو مما في كتاب " العلو للعلي الغفار " للذهبي .

(١٢) مات (سنة ١٢٨٣ هـ) كما في " إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين " (ص ٤١٩) وهو من تلامذة وأصحاب الشوكاني .

(١٣) وهي رسالة " النجاة " في العقيدة السلفية - انظر " جهود مخلصة في خدمة السّنة " (ص ٥٦) . وقد طبعت في باكستان مع ترجمتها بالأردية كما في " مجموعة نور السّنة " .

على ظاهرها " (٢) للشوكاني (٣) و " الانتقاد الرجيح " (٤) للعبد الفقير و " الاحتواء " (٥) له عفا الله عنه إلى غير ذلك.

وليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من السلف، لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين، حرف واحد يخالف ذلك. ولم يقل أحد منهم إن الله ليس في السماء، أو أنه ليس على العرش، أو أنه في كل مكان، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل، وأنه لا تجوز الإشارة الحسيه إليه بالأصابع، ونحو هذا.

ومن ظن أن نصوص الصفات لا يعقل معناها، ولا يدرى ما أراد الله تعالى ورسوله منها، وظاهرها تشبيه وتمثيل، واعتقاد ظاهرها كفر وضلال، وإنما هي ألفاظ لا معاني لها وأن لها تأويلًا وتوجيهًا لا يعلمه إلا الله، وأنا بمنزلة الـم وكهيعص وظن أن هذه طريقة السلف، ولم يكونوا يعرفون حقيقة قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (٦) [الزمر: ٦٧] وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (٧) [ص: ٧٥] وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٨) [طه: ٥] ونحو ذلك. فهذا الظان. من أجهل الناس بعقيدة السلف وأضلهم عن الهدى، وقد تضمن هذا الظن استجهال السابقين

---

(١) وهو من تلاميذ الشيخ محمد حياة السندي رحمه الله مات (سنة ١١٦٤ هـ) كما في " إتحاف النبلاء " (ص ٤٠٤) نقلًا عن ترجمته في مقدمة كتابه " مجموعة نور السّنة وقرة العين في إثبات سنّية رفع اليدين " بالفارسية طبع في باكستان .

(٢) لم أقف عليها . والمعروف له في هذا الباب " التحف في مذهب السلف " وهي مطبوعة ضمن " مجموعة الرسائل المنيرية " .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني العلامة المفسر الشهير مات (سنة ١٢٥٠ هـ) .

(٤) انظر التعليق السابق رقم (١) ص ٥٧ .

(٥) لعلها بالفارسية ويغلب على ظني أنا مطبوعة بالهند .

(٦) سورة الزمر آية : ٦٧ .

(٧) سورة ص آية : ٧٥ .

(٨) سورة طه آية : ٥ .

الأولين، من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة، وكبار الذين كانوا أعلم الأمة علمًا وأفقههم فهمًا، وأحسنهم عملًا، وأتبعهم سننًا. ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، وهو خطأ عظيم وجسارة قبيحة نعوذ بالله منها.

فصل

الأدلة على إثبات اليدين لله ﷻ من القرآن والسنة

وأما قوله تعالى:... ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [1] ... [الفتح: ١٠] فاعلم أن لفظ "اليد" جاء في القرآن على ثلاثة أنواع مفردة كهذه الآية وكقوله: ﴿ بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ [2] [الملك: ١] ومثنى كقوله:... ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [3] ... [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [4] ... [ص: ٧٥] ومجموع كقوله:... ﴿ عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ [5] ... [يس: ٧١].

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء، فلا يحتمل الـاز، فإذا [6] أضيف إليه الفعل، ثم عدي بالباء، [فهو [7]] باشرها بيده، ولهذا، قال عبد الله بن عمرو بن العاص [8] " لم يخلق الله بيده إلا [ثلاثًا [9]]: خلق آدم بيده وغرس جنة الفردوس بيده وكتب التوراة بيده " وروي ذلك مرفوعًا [10] فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق

---

(١) سورة الفتح آية : ١٠ .

(٢) سورة الملك آية : ١ .

(٣) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٤) سورة ص آية : ٧٥ .

(٥) سورة يس آية : ٧١ .

(٦) في الأصل [وأما إذا] والصواب ما أثبته للسياق .

(٧) في الأصل [فهو ما] والصواب يحذف " ما " كما هو واضح والله أعلم .

(٨) صحابي جليل ، أحد المكثرين السابقين : وهو من العبادلة الفقهاء مات ليالي الحرة بالطائف على الأرجح . تقريب .

(٩) وقع في الأصل . (ثلثا) والصواب ما أثبتناه والله أعلم .

(١٠) والمرفوع رواه الدارقطني في " الصفات " (٢٨) ، والبيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٣١٨) عن عبد الله بن الحارث بلفظ " إن اللهخلق ثلاثة أشياء بيده . . . " لكن قال البيهقي : " هذا مرسل " . وقال ابن القيم في " حادي الأرواح " (ص ١٠٧) : " المحفوظ أنه موقوف " .

بالقدرة. وقد صح عن النبي ﷺ أهل الموقف يأتون آدم فيقولون: خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فذكر أربعة أشياء كلها خصائص [(١)] .

وكذلك قال آدم لموسى في محاجته له ﴿ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده ﴾ [(٢)] وفي لفظ آخر ﴿ كتب لك التوراة بيده ﴾ [(٣)] [(٤)] وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ﴿ يقبض الله السماوات بيده، والأرض بيده الأخرى ﴾ [(٥)] [(٦)] وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج ذرية منه، فقال: خلقـت هؤلاء إلى الجنـة وبعمل أهل الجنة يعملون ﴾ [(٧)] الحديث [(٨)] وقال نافع [(١)] سألت ابن أبي مليكة [(٢)] عن " يد الله " واحدة أم اثنتان ؟

---

(١) رواه البخاري (١٣ / ٣٩٢ فتح الباري) من حديث أنس- ولم يذكر فيه أمر النفخ - ورواه مسلم (١٩٣) من حديث أنس - ولم يذكر فيه " علمك أسماء كل شيء " .

(٢) البخاري القدر (٦٢٤٠) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٢٤٨/٢) .

(٣) أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) .

(٤) رواه البخاري (١١ / ٥٠٥ فتح) ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة ولكن فيهما " خط لك بيده " وأما " خط لك التوراة بيده " فرواها أبو داود (٤٧٠١) واللالكائي (٦٩٣) والآجري في " الشريعة " (ص ٣٢٥) وأما اللفظ الآخر " وكتب لك التوراة بيده " فهو فـي صحيح مسـلم (٢٦٥٢) و " السنة " لابن أبي عاصم (١٤٥) .

(٥) البخاري التوحيد (٦٩٧٧) ، أبو داود السنة (٤٧٣٢) .

(٦) الحديث متفق عليه .

(٧) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٧٥) ، أبو داود السنة (٤٧٠٣) ، أحمد (٤٥/١) ، مالك الجامع (١٦٦١) .

(٨) رواه أبـو داود (٤٧٠٣) وأحمد فـي " المسند " (٣١١) والترمذي (٥٠٧١) والحاكم (١ / ٢٧) والطبري (١٥٣٧٥) وابن أبي عاصم (١٩٦) والبغوي في " شرح السّنة " (٧٧) كلهم عن مسلم بن يسار عن عمر وهو منقطع لأن مسلمًا لم يسمع من عمر كما قال الترمذي إذ بينهما " نعيم بن ربيعة الأودي " كما في السّنة (٢٠١) وأبي داود (٤٧٠٤) . ونعيم قال فيه الحافظ : " مقبول " كما في " التقريب " أي عند المتابعة وإلا فهو لين الحديث كما نص الحافظ في مقدمته للتقريب ، ونعيم هذا انفرد بتوثيقه ابن حبان . لكن للحديث

فقال: " بل اثنتان " [٣] وقال ابن عمر [٤] وابن عباس [٥] ﴿ أول شيء خلقه الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين ﴾ [٦] وفي الباب ما لا يحصى كثرة [٧] .

شواهد . الأول : عن ابن عباس رواه ابن أبي عاصم في " السّنة " (٢٠٤) وأحمد (١ / ٢٥١ و ٢٩٩ و ٣٧١) وابن سعد في طبقاته (١ / ٢٨) ورجال ابن أبي عاصم ثقات غير ابن جدعان وهو ضعيف . الثاني : عن أبي هريرة رواه ابن أبي عاصم أيضًا (٢٠٥) عن أبي هريرة ورجاله ثقات غير أن مبارك بن فضالة " صدوق لكنه يدلس تدليس التسوية " كما في التقريب . الثالث : عن عبد الله بن سلام رواه الآجري في " الشريعة " ص (٣٢٢) وإسناده حسن . فالحديث صحيح الشواهد - لا سيما الشاهد الأخير - وقد أشار لحصة الحديث الشيخ الألباني في تخريجه للطحاوية ص (٢٦٦) حيث قال : " صحيح لغيره إلا مسح الظهر فلم أجد له شاهدا الحديث متفق عليه . " ثم صحح الحديث باللفظ الأخير أخيرًا لشواهده وانظر السنة (٢٠٥) وراجع ابن كثير " تفسيره " (٣ / ٥٠٦) و " شفاء العليل " (ص ٨ - ٣٠) و " شرح الطحاوية " (ص ٢٦٥) عن الميثاق .

(١) وهو ابن عمر بن عبد الله بن جميل بن عامر الجمحي ثقة ثبت مات (سنة ١٦٩ هـ) . تقريب .

(٢) واسمه : عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ثقة فقيه مات (سنة ١١٧ هـ) ، تقريب .

(٣) رواه الدارمي في رده على المريسي (ص ١٢٢) ح ٥٨ بتحقيقي ، والأثر صحيح .

(٤) وهو الصحابي الجليل عبد الله بن أمير المؤمنين الخليفة الثاني لرسول الله عمر رضي الله عنهما أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة مات (سنة ٧٣ هـ) ، انظر التقريب .

(٥) وهو الصحابي الجليل عبد الله ابن عم رسول الله العباس دعا له الرسول بالفهم في القرآن فكان يسمى بالبحر والحَبْر لسعة علمه وهو أحد العبادلة وأحد المكثرين من الصحابة مات (سنة ٦٨ هـ) ، انظر التقريب .

(٦) جاء هذا مرفوعًا عن ابن عمر ولفظه : سمعت رسول الله يقول : " أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين ، الحديث " أخرجه ابن أبي عاصم في " السّنة " (١٠٦) والآجري في الشريعة (ص ١٧٥) وصححه الشيخ الألباني لغيره كما في التعليق على " السّنة " .

(٧) انظر " مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " (٢ / ١٥٣ - ١٧٤) .

بعض ما في رسالة الشيخ محمد ناصر الحازمي في مسألة العلو

وقد جمع الشيخ محمد بن ناصر الحازمي في رسالته (١) ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة الحديث والأئمة الأربعة وعلماء الشافعية والحنفية والمالكية والأشاعرة والمفسرين وغيرهم، في مسألة علو الرب على خلقه، وكونه على العرش فوق [سماواته] (٢) وليس ذكرها ههنا بالتمام من مرادنا، فنؤمن بذلك، ونثبت الصفة من غير تحديد ولا تشبيه، وإن نَبَتْ (٣) عنها أسماع بعض الجاهلين المقصرين، واستوحشت منها نفوس المتكلمين المعطلين.

ومما صـح به النقـل من الصفات " الوجه ". قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (٤) [القصص: ٨٨] وفي الباب آيات وأحاديث منها: ﴿ إن الله ي ل إلى السماء الدنيا كل ليلة ﴾ (٥) وحديث ا ول (٦) رواه علي بن أبي طالب، وابن مسعود،

---

(١) سبق التعريف با في الحاشية رقم (٥) ص ٥٨ .

(٢) انظرها في " العلو " للذهبي .

(٣) أي نفرت منها أسماعهم . انظر المعجم الوسيط (٢ / ٨٩٩) .

(٤) سورة القصص آية : ٨٨ .

(٥) البخاري التوحيد (٧٠٥٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الصلاة (٤٤٦) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٥٠٤/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) الدارمي الصلاة (١٤٧٨) .

(٦) حديث ا ول : متواتر ، فأما رواية علي بن أبي طالب ففي " سنن الدارمي " (١ / ٣٤٨) وأحمد (١ / ١٢٠) ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه . وأما رواية ابن مسعود ففي صحيح ابن خزيمة (٨٩) وأحمد (١ / ٣٨٨ و ٤٠٣ و ٤٤٦) والآجري (ص ٣١٢) . وسنده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين كما في الإرواء (١٢ / ٩٨) وأما رواية جُبير فرواها الدارمي في السنن (١ / ٣٤٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٨٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١٧) وأحمد (٤ / ٨١) والآجري في الشريعة (ص ٣١٢ و ٣١٣) وسنده صحيح على شرط مسلم كما في " الإرواء " (٢ / ١٩٨) . وأما رواية جابر ففي ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٢٧) والدارقطني في " ا ول " (٦ و ٧) . وأما حديث أبي سعيد الخدري فرواه أبو داود الطيالسي (٢٢٣٢) والدارقطني في " ا ول " (٥٢ - ٦٤) وأحمد (٢ / ٢٨٣ و ٣ / ٣٤ و ٤٣ و ٩٤) والبيهقي في السنن (٣ / ٢) . وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم (٧٥٨) والدارقطني في " ا ول " (٥٢ - ٦٢) وأبو داود (١٣١٥ و ٤٧٣٣) وغيرهم .

وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وخلق سواهم [١] .

ومن قال: يخلو العرش عند ا ول، أو لا يخلو، فقد أتى بقول مبتدع، ورأي مخترع، وكل ما وصف به الرسول ربه من الأحاديث الصحاح، التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان به كقوله ﷺ . ﴿ لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته ﴾ [٢] متفق عليه [٣] . وقوله: ﴿ يضحك الله تعالى إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، فيدخلان الجنة ﴾ [٤] رواه الشيخان [٥] وقوله: ﴿ حتى يضع رب العزة فيها قدمه ﴾ [٦] متفق عليه [٧] وقوله: ﴿ فيُنادي بصوت ﴾ رواه البخاري ومسلم [١] وقوله: ﴿ فلا يبصق قِبل

---

(١) منهم رفاعة بن عرابة الجهني وعقبة بن عامر الجهني وعمر بن عبسة وعثمان بن أبي العاص الثقفي وأبو الدرداء وأبو سلمة جد عبد الحميد بن يزيد بن سلمة . انظر : أحاديثهم في " ا ول " للدارقطني تخريج وتحقيق الشيخ الدكتور علي ناصر الفقيهي و " إرواء الغليل " (٢ / ١٩٥ - ١٩٩) و " الشريعة " للآجري (ص ٣٠٦ - ٣١٣) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب باسم " شرح حديث ا ول " كما تقدم .

(٢) مسلم التوبة (٢٦٧٥) ، أحمد (٣١٦/٢) .

(٣) متفق عليه - كما قال المصنف - من حديث أنس بن مالك بلفظ : " للّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة " البخاري (١١ / ١٠٢ فتح الباري) ومسلم (٢٧٤٧) ولكن وقع في الأخير " إذا استيقظ على بعيره " وجاء في مسلم (٢٧٤٤) : " للّه أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دَوِّية مَهْلَكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فاللّه أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده " ويظهر أن السياق لحديث مسلم يدل على " سقط " كما في البخاري وليس " استيقظ " حكاه عياض انظر شرح النووي لمسلم (١٧ / ٦٣ - ٦٤) دَوِّية : الفلاة الخالية ، ومَهلكة : موضع الهلاك كما في " شرح النووي " .

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٦٧١) ، مسلم الإمارة (١٨٩٠) ، النسائي الجهاد (٣١٦٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٩١) ، أحمد (٣١٨/٢) ، مالك الجهاد (١٠٠٠) .

(٥) متفق عليه البخاري (٦ / ٣٩ فتح) ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة .

(٦) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٨٤) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٨) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٧٢) ، أحمد (٢٣٤/٣) .

(٧) البخاري (٨٠ / ٥٩٤ فتح) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك .

وجهه، فإن الله قِبل وجهه ﷺ [2] [3] متفق عليه إلى أمثال هذه الأحاديث، التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه فيما يخبر به.

الفرقة الناجية

فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل [4] وهؤلاء هم الوسط في فرقة الأمة، كما أن الأمة المرحومة هي الوسط في الأمم، فهم وسط الأمة في باب الصفات [5] بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، كما أنم وسط في باب أفعاله [6] تعالى بين الحرورية والقدرية، وفي باب

---

(١) البخاري (١٣ / ٤٥٣ فتح) من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة والحديث رواه مسلم (٢٢٢) ولكن ليس فيه " فينادي بصوت " . وقال الحافظ في " الفتح " (١٣ / ٤٦٠) : " وقع " فُينادِي " مضبوطا للأكثر بكسر الدال وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول " .

(٢) البخاري الصلاة (٣٩٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٧) ، النسائي المساجد (٧٢٤) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٦٣) ، أحمد (٣٤/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٥٦) .

(٣) البخاري (١ / ٥٠٩ فتح) ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ولفظه : " إذا كان أحدكم ُيصلي فلا يْبصق ِقبل وجهه فإن الله ِقبل وجهه إذا صلى " . " واعلم أن كون الله بين يدي المصلي ِقبل وجهه لا ينافي العلو وكونه على العرش فوق مخلوقاته فإنه مع ذلك واسع محيط بالعالم كلّه . وقد أخبر أنه حيثما توجه العبد فإنه مستقبل وجه اللهبل هذا شأن مخلوقه المحيط بما دونه ، فإن كل خط يخرج من المركز إلى المحيط يستقبل سافلها المحاط با بوجهه من جميع الجهات والجوانب فكيف بشأن من هو بكل شيء محيط وهو محيط ولا يحاط به " انتهى من شرح الواسطية للشيخ زيد الفياض (ص ٢٠٣ - ٢١٣) كما في " صحيح الترغيب " (ص ١١٦) .

(٤) مضى التعريف با : انظر التعليقات (١ - ٥) بحاشية ص ٣٤ .

(٥) لأنم يثبتون لله ما جاء في كتابه وما ثبت عن رسوله من أسماء وصفات إثباتا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى مع نفي المماثلة والمشابة بين الخالق - تبارك وتعالى - والمخلوق خلافا للجهمية الذين عطلوا الصفات ونفوها عن الرب ، وخلافا للمشبهة الذين أثبتوا الصفات مع الغلو حتى قالوا بالتجسيم ، تعالى الله عن رأي الفريقين ، والجهمية : أتباع جهم بن صفوان المبتدع (انظر التعليق الماضي رقم (١) بحاشية ص ٤٥ . وأول مَنْ قال بالتجسيم مقاتل بن سليمان الخراساني المفسر ، كذبه غير واحد من الحفاظ . قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : " أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : إنه تعالى ليس بشيء وأفرط مقاتل - يعني في الإثبات - حتى جعله مثل خلقه " انظر " ميزان الاعتدال " (٤ / ١٧٣) .

(٦) قلت : وفيما يتعلق بالأفعال فأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية وليس بين الحرورية والقدرية لعل " الحرورية " تصحيف من الناسخ أو سبق قلم من المؤلف والعبارة مقتبسة من الواسطية وفيها ما رجحته . والله

أسماء الإيمان والدين [1] بين المعتزلة والمرجئة.

أعلم . وأهل السّنة والجماعة يثبتون أن العباد فاعلون حقيقة لا مجازا وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم ، ويثبتون للعبد الاختيار والمشيئة وهما تابعان لمشيئة الله تعالى كما سيأتي في فصل خاص للمؤلف إن شاء الله . وأما الجبرية فيقولون : إن العبد مجبور على فعله وحركاته وأفعاله كحركة المرتعش والعروق النابضة وإضافتها إلى الخلق مجاز والله هو الفاعل حقيقة وليس للعبد قدرة ولا إرادة ، وعلى نقيضهم القدرية يقولون إن أفعال العباد ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدرته كما سيأتي أيضا ، فلهذا كان أهل السّنة وسطا بين الفريقين فما قالوا بالجبر وما كذبوا بالقدر . القدرية : أتباع جهم بن صفوان - وسبق بيان حاله في التعليق رقم (١) بحاشية ص ٤٥ - وانظر " لوامع الأنوار " (١ / ٩٠) والقدرية : سموا بذلك لتكذيبهم بالقدر وأول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني ، كما روى مسلم فـي صحيحه (٨) . ومعبد صدوق في نفسه مبتدع كما في " التقريب " (١ / ٢٦٢) و " الميزان " (٤ /١٤١) . وقال الأوزاعي : " وأول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ منه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد " رواه الآجري في " الشريعة " (ص ٢٤٣) واللالكائي في " شرح الاعتقاد " (١٣٩٨) . وغيلان هو ابن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين كما في الميزان (٣ / ٣٣٨) .

(١) لأن أهل السّنة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ومن أتى كبيرة يسمى مؤمنا فاسقا بكبيرته وفي الآخرة تحت مشيئة ربه إن شاء غفر له وأدخله الجنة لأول مرة وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ومآله إلى الجنة . خلافا للخوارج والمعتزلة حيث يرون أن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص ، ومن أتى كبيرة كفر عند الحرورية (الخوارج) وصار فاسقا عند المعتزلة في م لة بين الم لتين لا مؤمن ولا كافر وفي الآخرة فهو خالد مخلد في النار لا يخرج بشفاعة ولا بغير شفاعة عندهما وخلافا للمرجئة الذين يقولون : " إن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان " فلم يدخلوا العمل بالأركان في مسمى الإيمان فقالوا ، لا يضر مع الإيمان معصية ، وإيمان أفسق الناس كإيمان أتقاهم وأكملهم (انظر شرح الطحاوية ص ٣٧٣ فما بعدها " و " الكواشف الجلية عن معاني الواسطية " (ص ٥٠٣) . والمعتزلة : أتباع عمرو بن عبيد - ضعفه غير واحد وتركه بعضهم - انظر الميزان (٣ / ٢٧٤) وواصل بن عطاء - من غلاة المعتزلة - الميزان (٤ / ٣٢٩) وسموا بالمعتزلة لأنم اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري - رحمه الله - في أوائل المائة الثانية وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة . انظر " شرح الطحاوية " (ص ٥٨٨) و " لوامع الأنوار البهية " (١ / ٧٢) . والمرجئة : سُموا بذلك لأنم أخّروا العمل عن الإيمان كما في " الفـرق بين الفرق " (ص ١٩) وأول من قال بالإرجاء غيلان بن أبي غيلان كما في " الملل والنحل " (١ / ١٣٩) وغيلان قال فيه الذهبي في " الميزان " (٣ / ٣٣) : " . . . المقتول في القدر ضال مسكين " . والمرجئة ثلاثة أصناف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الأول : الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة . الثاني : من يقول هو مجرد قول اللسان ، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكلامية . الثالث : تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم . انظر " لوامع الأنوار " (١ / ٤٢٢) .

وفي أصحاب [1] رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

(١) لأن أهل السّنة يحبون جميع الصحابة ويعرفون لكل حقّه وفضله وهم أكمل الأمة إسلاما وإيمانا وعلما وعملا ، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال تعالى : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . . . (الفتح : ٢٩) وأما الرافضة فقد غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغلوا في أهل البيت ونصبوا العداء لجماهير صحابة رسول الله وكفروهم ومن والاهم . والخوارج كفروا عليا وعثمان ومن والاهما ، فأهل السّنة وسط بين الفريقين ولله الحمد والمِنّة . انظر " الكواشف الجلية " (ص ٥٠٥ - ٥٠٧) . قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في " عقيدته " (ص ٥٢٨ شرحها) : " ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحدٍ منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وعصيان " . والرافضة سموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي حينما قالوا له يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال : معاذ الله نتولاهما ونبرأ ممن تبرأ منهما . وأول من قال بالرفض وغلا في علي حتى زعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله عبد الله بن سبأ - كان يهوديا فأسلم لإفساد الدين في عهد عثمان- انظر " الفرق بين الفرق " (ص ٢٣٥) " والملل والنحل " (١ / ١٧٤) . والخوارج سموا بذلك لخروجهم على أمير المؤمنين علي وعدم قبولهم التحكيم انظر " الملل والنحل " (١ / ١١٤) و " لوامع الأنوار البهية " (١ / ٨٦) .

فصل

الأدلة على صفة النفس من القرآن والسنة

وما نطق با القرآن، وصح با النقل من الصفات " النفس " قال تعالى:... ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (١) ... [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى:... ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (٢) ... [الأنعام: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١ ﴾ (٣) [طه: ٤١].

وقال رسول الله ﷺ ﴿ يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ﴾ (٤)) (٥) إلى غير ذلك من الأدلة.

﴿ وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء (٦) ويوعيها (٧) ما أراد ﴾ .

وأن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ ﴾ (٨) [الفجر: ٢٢].

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٦ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢ .
(٣) سورة طه آية : ٤١ .
(٤) البخاري التوحيد (٦٩٧٠) ، مسلم التوبة (٢٦٧٥) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٣) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٢٢) ، أحمد (٢/٢٥١) .
(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة : البخاري (١٣ / ٣٨٤ فتح) ومسلم (٢٦٧٥) .
(٦) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله يقول : " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء " .
(٧) أي يجمع فيها وفي " القاموس المحيط " (٤ / ٤٠٣) : وعاه يعيه حفظه وجمعه كأوعاه فيهما .
(٨) سورة الفجر آية : ٢٢ .

وأن الله يقرب مـن خلقه، كيف شاء كما قال:... ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] [ق: ١٦].

ومـن صفاته سبحانه: اليد [2] واليمين [3] والكف [4] والإصبع [5] والشمال [6] والقدم [7] والرجل [8] والوجه [9] والنفس [10] والعين [11] .

وال ول [12] والإتيان [1] وا ليء [2] والكلام [3] والقول [4] والساق [5] والحقو [6]

---

(١) سورة ق آية : ١٦ .

(٢) مضى ذكر الأدلة على إثبات " اليدين " لله تبارك وتعالى .

(٣) لما ثبت أن " كلتا يديه يمين " صحيح مسلم (١٨٢٧) انظر التعليق رقم (٥) بهذه الصفحة .

(٤) لما جاء عن أبي هريرة مرفوعا في فضل الصدقة : " . . . فتربُو في كف الرحمن " . رواه مسلم (١٠١٤) والحديث رواه البخاري أيضا (٣ / ٢٧٨ و ١٣ / ٤١٥ فتح الباري) وليس فيه ذكر " الكف " .

(٥) انظر التعليقين السابقين رقم (١) بحاشية ص ٤٨ ورقم (٢) بحاشية ص ٦٩ .

(٦) اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات اليد صفة لله ، واتفقوا أيضا على أن يديه اثنتان كما قال تعالى . . بل يداه مبسوطتان . . . (المائدة - ٦٤) ، وقوله . . لما خلقت بيدي . . . (ص - ٧٥) . وصح عنه أنه قال : " المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في أهليهم وحكمهم وما ولوا " . واختلفوا في إطلاق الشمال على قولين أصحهما الجواز وهو قول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي والقاضي أبي يعلى والإمام ابن جرير فيما يظهر من تفسيره سورة الزمر ، ومن المتأخرين الإمام محمد بن عبد الوهاب . وحجتهم الأحاديث التي ورد فيها ذكر الشمال . وذهب آخرون إلى عدم جواز ذلك وهو قول إمام الأئمة ابن خزيمة والخطابي والبيهقي . واحتج هؤلاء بحديث " وكلتا يديه يمين " وزعم بعضهم أن هذا الحديث معارض لأحاديث الشمال وهو أقوى منها والتحقيق أنه لا تعارض بينها ، قال العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في تعليقه على كتاب التوحيد : " وفي هذا إثبات الصفات وأنه سبحانه له يمين وشمال ، وأن كلتا يديه يمين ، كما في الحديث الآخر ، وسمى إحداهما يمينا والأخرى شمالا من حيث الاسم ، ولكن من حيث المعنى والشرع كلتاهما يمين وليس في شيء منهما نقص " .

(٧) انظر التعليق رقم (٣) بحاشية ص ٦٥ .

(٨) انظر صحيح البخاري (٨ / ٥٩٥ فتح) وصحيح مسلم (٢٨٤٦) .

(٩) قال تعالى وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ [الرحمن : ٢٧] .

(١٠) انظر آيات هذا الفصل عند المؤلف .

(١١) جاء في الحديث الذي يحذر به النبي أمته من الدجال " أنه أعور وأن الله ليس بأعور " . انظر صحيح البخاري (١٣ / ٩١) وصحيح مسلم (٢٩٣٣) .

(١٢) مضى الكلام عليه مفصلا تعليق رقم (١) بحاشية ص ٦٤ .

والجنب [٦] والفوق [٧] والاستواء [٨] والقوة [٩] والقرب [١٠] والبعد [١١] والضحك [١٢] والتعجب [١٣] والحب [١] والكره [٢] والمقت [٣] والرضا [٤] والغضب [٥] [٦]

(١) قال تعالى : هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ . . . [البقرة : ٢١٠] .
(٢) قال تعالى : وَجَاءَ رَبكَ وَالْمَلَكُ صَفّا صَفّا [الفجر : ٢٢] .
(٣) سيأتي الكلام عليه مفصلا في الفصل القادم .
(٤) قال تعالى . . وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَق وَهُوَ يَهْدِي السبِيلَ [الأحزاب : ٤] .
(٥) انظر صحيح البخاري (١٣ / ٤٢١ فتح) حديث أبي سعيد الخدري في الرؤية إذ فيه " . . . فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن " وانظر صحيح مسلم (١٨٣) .
(٦) الحَقْوُ في اللغة : الإزار أو مَعْقِدُه (القاموس المحيط ٤ / ٣٢٠) والنهاية (١ / ٤١٧) . [فالحديث في صحيح البخاري ذكر بأن الرحم أخذت بحقو الرحمن . (فتح الباري : ٨ / ٥٧٩) ح ٤٨٣٠ وفي هذا غنية] .
(٧) قال تعالى : وَاتبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرطْتُ فِي جَنْبِ الله [الزمر : ٥٥ ، ٥٦] . والأئمة في تفسير قوله تعالى : " في جنب الله " على خمسة أقوال : أحدها : في طاعة الله تعالى . والثاني : في حق الله . والثالث : في أمر الله . والرابع : في ذكر الله . والخامس : في قرب الله وجواره . فيكون المعنى عندهم على ما فرطت في طلب قرب الله تعالى وهو الجّنة . ولهذا لا تصلح هذه الآية وحدها لإثبات أن " الجنب " من الصفات لأن الآية ما سيقت لذلك ولم يفسرها أحد بذلك . وقد قال الإمام الدارمي في " الرد على المريسي " (ص ٥٤٠ عقائد السلف) : " إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله ، فهذا تفسير الجنب عندهم ، فمنْ أنبأك أنم قالوا جنب من الجنوب فإنه يجهل هذا المعنى كثير من العوام فضلا عن علمائهم وقد قال أبو بكر " الكذب مجانب للإيمان " وانظر تفسير الطبري (٢٥ / ١٣) و " زاد المسير " (٧ / ١٩٢) و " مجموع الفتاوى " . (٦ / ٣٩٤) .
(٨) نؤمن بأن الله فوق خلقه . كما قال تعالى عن الملائكة يَخَافُونَ رَبهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ . . . [النحل : ٥٠] وقد تقدمت الأدلة التفصيلية على علو الله على خلقه وهذا مما أجمع عليه سلف الأمة .
(٩) تقدمت مباحثه مفصلة .
(١٠) قال تعالى : إِن الله هُوَ الرزاقُ ذُو الْقُوةِ الْمَتِينُ [الذاريات : ٥٨] .
(١١) قال تعالى : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَني فَإِني قَرِيبٌ . . . [البقرة : ١٨٦] .
(١٢) لا يوصف الله بـ " البعد " إذ هذا الوصف مما لا دليل عليه في الكتاب والسّنة بل يخالف قوله تعالى . . فَإِني قَرِيبٌ . . . ولعل المؤلف أراد العلو عندما ذكر القرب وقد سبق أن قال المؤلف : " فكل ما في الكتاب والسّنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكره من علو وفوقيته فإنه سبحانه علي في دُنوه وقريب في عُلُوه " .
(١٣) قال " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يُقاتِل هذا في سبيل الله فيُقتل ثم يتوب الله على القاتل فيُستشهد " البخاري (٦ / ٣٩ فتح) ومسلم (١٨٦٧) كلاهما عن أبي هريرة .

والغضب (٦) والسخط (٧) والعلم (٨) والحياة (٩) والقدرة (١٠) والإرادة (١١) والمشيئة (١٢) والفوق (١٣) والمعية (١٤) والفرح (١٥) إلى غير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة. فأدلة ذلك مذكورة فيها.

فكل هذه الصفات، تساق مساقا واحدا، ويجب الإيمان بها على أنها صفات حقيقية، لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يمثل، ولا يعطل، ولا يرد، ولا يجحد، ولا يؤول بتأويل يخالف ظاهره.

---

(١) قال " عَجِبَ الله من قوم يدخلون الجنة في السّلاسِل " رواه البخاري (٦ / ١٤٥ فتح) .

(٢) قال تعالى : يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَد مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبهُمْ وَيُحِبونَهُ أَذِلةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ . . . [المائدة : ٥٤] .

(٣) قال تعالى . . وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبطَهُمْ . . . [التوبة : ٤٦] .

(٤) قال تعالى : كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف : ٣] .

(٥) قال تعالى : لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشجَرَةِ . . . [الفتح : ١٨] .

(٦) قال تعالى : يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ . . . [الممتحنة : ١٣] .

(٧) قال تعالى . . لَبِئْسَ مَا قَدمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ الله عَلَيْهِمْ . . . [المائدة : ٨٠] .

(٨) قال تعالى : عَلمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق : ٥] .

(٩)قال تعالى : الله لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَي الْقَيومُ . . . [البقرة : ٢٥٥] .

(١٠) قال تعالى : تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ [الملك : ١] .

(١١) قال تعالى . . إِن رَبكَ فَعالٌ لِمَا يُرِيدُ [هود : ١٠٧] .

(١٢) قال تعالى . . قُلْ إِن الْفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . . . [آل عمران : ٧٣] .

(١٣) انظر التعليق : رقم (٩) بحاشية ص ٧١ .

(١٤) قال تعالى . . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الحديد : ٤] . وليعلم القارئ أن هذه المعية هي معية العلم والإحاطة - لا معية الذات - كما ذكر أهل التفسير ، وقد مضى قول نعيم بن حماد وبيان المصنف لمعنى المعية فليراجع .

(١٥) انظر التعليق رقم (١) بحاشية ص ٦٥ .

فصل

الأدلة على صفة الكلام لله ﷻ

ومن مذهب أهل الحق، ومما اتفق عليه أهل التوحيد والصدق، أن الله لم يزل متكلما، بكلام مسموع مفهوم، مكتوب، قال تعالى:... ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [1] [النساء: ١٦٤] وقال رسول الله ﷺ ﴿ ما منكم من أحد إلا يكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان... ﴾ [2] الحديث [3] رواه عدي بن حاتم عنه ﷺ وروى جابر بن عبد الله قال: ﴿ لما قتل عبد الله - يعني أباه - قال رسول الله ﷺ " يا جابر ! ألا أخبرك بما قال الله لأبيك ؟ " قال: بلى. قال: " ما كلم أحدا إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا... ﴾ [4] الحديث [5] .

والقرآن كلام الله ﷻ ووحيه وتنزيله، والمسموع من القارئ كلام الله ﷻ قال الله تعالى:... ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [6] ... [التوبة: ٦] وإنما سمعه من القارئ وقال ﷻ .. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ [7] ... [الفتح: ١٥] وقال: ﴿ إِنَّا

(١) سورة النساء آية : ١٦٤ .
(٢) البخاري الرقاق (٦١٧٤) ، مسلم الزكاة (١٠١٦) ، أحمد (٢٥٦/٤) .
(٣) متفق عليه : البخاري (١١ / ٤٠٠ فتح) ومسلم (١٠١٦) بلفظ : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه . . . " .
(٤) الترمذي تفسير القرآن (٣٠١٠) ، ابن ماجه المقدمة (١٩٠) .
(٥) رواه ابن ماجه (١٩٠ و ٢٨٠٠) وتمامه (. . . فقال : يا عبدي ! تمن علي أعطِك . قال . يا رب ! تحييني فأقتل فيك ثانية . قال : إنه سبق مني (أنهم إليها لا يرجعون) قال : يا رب ! فأبلغ من ورائي فأنزل اللهذه الآية : ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا . . . (آل عمران : ١٦٩) (الآية كلها) وروى نحوه الترمذي أيضا (٤٠٩٧) وقال : " حديث حسن غريب " . وكِفاحا : أي مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا رسول كما في " النهاية " (٤ / ١٨٥) .
(٦) سورة التوبة آية : ٦ .
(٧) سورة الفتح آية : ١٥ .

نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (1) [الحجر: ٩] .

وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (2) ... [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

وهو محفوظ في الصدور، كما قال: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (3) ... [العنكبوت - ٤٩].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ استذكروا القرآن فهو أشد تفصيا من صدور الرجال [مـن النعم] (4) من عقلها ﴾ (5) .

وهو مكتوب في المصاحف، منظور بالأعين، قال تعالى: ﴿ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ (6) [الطور: ٢ و ٣] وقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (7) [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] .

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ﴾ (8) (1) وقال عثمان بن عفان (2) " ما أحب أن يأتي عليّ

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .
(٢) سورة الشعراء آية : ١٩٢ - ١٩٤ .
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٩ .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل وصححناه من مصادر الحديث .
(٥) رواه البخاري (٩ / ٧٩ فتح) ومسلم (٧٩٠) ولفظ مسلم : " بئسما لأحدهم يقول : نسيتُ آية كيت وكيت بل هو نُسي استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النَعَمِ بِعُقلها " وأشد تفصيا أي أشد خروجا كما في " النهاية " (٤ / ٤٥٢) .
(٦) سورة الطور آية : ٢ - ٣ .
(٧) سورة الواقعة آية : ٧٧ - ٧٩ .
(٨) البـخاري الجهاد والسير (٢٨٢٨) ، مسـلم الإمارة (١٨٦٩) ، أبـو داود الجهاد (٢٦١٠) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٨٠) ، أحمد (٧/٢) ، مالك الجهاد (٩٧٩) .

يوم وليلة حتى أنظر في كلام الله - يعني القراءة في المصحف - " [٣] وقال عبد الله بن أبي مليكة [٤] " كان عكرمة [٥] بن أبي جهل يأخذ المصحف ويقول: " كلام ربي " [٦] .

معنى قولهم عن القرآن منه بدأ وإليه يعود

وأجمع أئمة السلف المقتدى بم من الخلف على أنه غير مخلوق. وقال علي [٧] بن أبي طالب: " القرآن ليس بمخلوق ولكنه كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود " [٨] .

وروي نحوه عـن ابن مسعود [٩] وابن عباس وعمرو بن دينار [١٠] وسفيان بن

(١) رواه البخاري (٦ / ١٣٣ فتح) ومسلم (١٨٦٩) ولكن ليس في البخاري " مخافة أن يناله العدو " وقال البخاري في باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو (٦ / ١٣٤ فتح) : " وقد سافر النبي وأصحابه في أرض العدو وهم يعلمون القرآن " . وانظر كلام الحافظ في الفتح لبيان صحة زيادة " مخافة أن يناله العدو " حيث رد على من قال إن هذه من تعليل مالك وليست مرفوعة ، ولفظ مسلم صريح في الرفع إذ لفظه : " فإني لا آمن أن يناله العدو " فانتفى القول بالإدراج . وقال الشيخ الألباني عن زيادة مسلم : " ففيها تنبيه إلى علة النهي ، ولازمها إذا أُمن أن يناله العدو فلا نهي " . انظر " رياض الصالحين " (ص ٦٢٧) الحاشية منه .

(٢) أمير المؤمنين أحد السابقين الأولين والخلفاء الراشدين والعشرة المبشرة استشهد (سنة ٣٥ هـ) التقريب .

(٣) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في " السنة " (ص ٢١) .

(٤) انظر التعليق رقم (٢) بحاشية ص ٦٣ .

(٥) صحابي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر على الصحيح ، تقريب .

(٦) رواه عبد الله في " السنة " (ص ٢٠) .

(٧) ابن عم رسول الله وزوج ابنته أمير المؤمنين أحد العشرة المبشرة مات (سنة ٤٠ هـ) انظر التقريب .

(٨) أي أن الله هو المتكلم به ، وهو الذي أنزله من لدنه ليس هو كما تقول الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من عند غيره . وأما " إليه يعود " فإنه يُسْرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ، ورفع القرآن من أشراط الساعة . انظر " الكواشف الجلية عن معاني الواسطية " (ص ٥٣٣) و " المناظرة في العقيدة الواسطية " (ص ٢٥) .

(٩) من كبار العلماء من الصحابة مناقبه جَمّة مات (سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ) ، تقريب .

(١٠) هو المكي أبو محمد الأثرم الجُمحي مولاهم ، ثقة ثبت مات سنة (١٢٦ هـ) ، تقريب . [روى الأثر الدارمي في رده على المريسي (ص ٣٣٠) ح ١٤٩ ، وفي رده على الجهميّة ح ٣٤٤ ، والأثر صحيح] .

عيينة [(١)] وأن الله تكلم به حقيقـة، وأن هـذا القرآن الذي أنـزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره [(٢)] .

ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس، أو كتبوه بالمصاحف، لم يخرج بذلك أن يكون كلام الله سبحانه حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مُبلغا مؤديا [(٣)] .

فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أنه كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي، وقد كلم الله موسى عليه السلام تكليما منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده، ولم يزل ﷻ متكلما [(٤)] .

والقرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف. واحتج أحمد بن حنبل [(٥)] بأن الله تعالى كلم موسى، فكان الكلام من الله، والاستماع من موسى، وبقوله ﷻ .. ﴿ وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [(٦)] ... الآية

(١) الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخَرةٍ وكان ربما دلس لكن عن الثقات وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار مات (١٩٨ هـ) ، تقريب . [المحفوظ عنه عن عمرو بن دينار في هذا الأثر ، انظر تعليقي على رد الدارمي ص ٣٣١] .

(٢) ذكر شيخ الإسلام في " مناظرته في الواسطية " (ص ٢٥) قول عمرو بن دينار : " أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود " .

(٣) الفقرة كلها بنصها في " العقيدة الواسطية " (ص ١٢ - ١٣) .

(٤) قارن هذه الفقرة بـ " السنة " لأحمد (ص ٧٦) . وأما المناولة فلا دليل عليها من الكتاب والسنة ، ولعل المصنف اقتبس هذه العبارة أو نقلها من " السنة " لأحمد - رواية الإصطخري - وربما لهذا الوجه ذكر الذهبي أن رسالة الإصطخري فيها نظر - مقدمة المسند تحقيق أحمد شاكر ١ / ١٢٤ - ولعل هذه العبارة أقحمت في كتاب الإمام أحمد لأنه توجد رواية من غير الإصطخري ولا توجد فيها الكلمات المستغربة راجع " شذرات البلاتن " (ص ٤٤) والتعليق على " المدخل إلى مذهب الإمام أحمد " (ص ٤٤) للدكتور عبد الله التركي ومن كتابه استفدنا وعسى أن أحقق القول في الأمر إن شاء الله . [جزم الحافظ الذهبي بوضع الرسالة في كتابه " سير أعلام النبلاء " (١١ / ٣٠٣)] .

(٥) الثقة الحافظ الفقيه الحجة أحد الأئمة مات (سنة ٢٤١ هـ) ، تقريب .

(٦) سورة السجدة آية : ١٣ .

[السجدة: ١٣]. وروى الترمذي عن خباب بن الأرت [١] أن النبي ﷺ قال: ﴿ إنكم لن تتقربوا إلى الله ﷻ بأفضل مما خرج منه، يعني: القرآن ﴾ [٢] [٣] .

(١) من السابقين إلى الإسلام وكان يعذب في الله وشهد بدرا مات (سنة ٣٧ هـ) ، تقريب .

(٢) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١١) ، أحمد (٢٦٨/٥) .

(٣) لم أره في الترمذي من حديث خبّاب بن الأرت وكذا لم يذكر الحديث في " تحفة الأشراف " في ترجمة خباب . والذي رواه الترمذي (٣٠٧٩) هو عن زيد بن أرطاة عن جُبير بن نفير قال : قال رسول الله " إنكم لنْ ترْجعُوا إلى الله بأفضل مما خرج مِنه يعني القرآن " وهو مرسل كما قال الترمذي (٣٠٧٨) وانظر " فيض القدير " (٢ / ٥٥٦) وروى الترمذي (٣٠٧٩) وأحمد (٥ / ٢٦٨ و ٦ / ٢٥٦) عن أبي أمامة رفعه " . . . وما تقرب العباد إلى اللهبمثل ما خرج منه ، قال أبو النضر يعني القرآن " وقال الترمذي : " حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وبكر ابن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر عمره " . قلت : بكر قال فيه الذهبي " واه " الكاشف (١ / ١٠٧) وانظر التهذيب (١ / ٤٨٢) و (الميزان ١ / ٣٤٤) حيث ضعفه الجمهور وتركه الدارقطني ووثقه العجلي " والجرح مقدم على التعديل . [ورواه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٥) من طريق جبير بن نفير عن أبي ذر به مرفوعا ، وقال : " صحيح على شرط الشيخين " والصواب أن إسناده صحيح رجاله رجال مسلم ما عدا زيد بن أرطاة وهو ثقة] .

فصل

الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة هي عين كلام الله

ونعتقد أن الحروف المكتوبة، والأصوات المسموعة، عين كلام الله ﷻ قال تعالـى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ (1) ... [البقرة: ١، ٢] .

وقال: ﴿ الٓمٓصٓ ۝ ﴾ (2) [الأعراف: ١] و ﴿ الٓرۚ ﴾ (3) [يونس: ١] و ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ﴾ (4) [مريم: ١] و ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ ﴾ (5) [الشورى: ١، ٢].

فمن لم يقل إن هذه الأحرف كلام الله ﷻ فقد مرق من الدين، وخرج عن جملة المسلمين، ومن أنكر أن تكون حروفا، فقد كابر العيان، وأتى بالبهتان.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من قرأ حرفا من كتاب الله ﷻ فله عشر حسنات ﴾ (6) رواه الترمذي وصححه (7) ورواه غيره من الأئمة وفيه: ﴿ أما إني لا أقول ﴿ الٓمٓ ۝ ﴾ (8) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ﴾ (9) .

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: ﴿ كانت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفا حرفا ﴾ (10) رواه أبو داود والنسائـي والترمذي (1) وصححه [عن] (2) يعلى بن

---

(١) سورة البقرة آية : ١ - ٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١ .
(٣) سورة يونس آية : ١ .
(٤) سورة مريم آية : ١ .
(٥) سورة الشورى آية : ١ - ٢ .
(٦) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٠) .
(٧) الجامع (٢٩١٢) ونحوه الدارمي (٢ / ٤٢٩) .
(٨) سورة البقرة آية : ١ .
(٩) الترمذي أيضا (٢٩١٢) والدارمي (٢ / ٤٢٩) .
(١٠) أحمد (٢٩٤/٦) .

مملك، وعن سهل بن [سعد] [٣] . الساعدي قال: بينا نحن نقرأ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ﴿ كتاب الله واحد، وفيكم الأحمر والأسود، اقرؤوا القرآن، قبل أن يأتي أقوام يقرؤون القرآن، يقيمون حروفه، كما يقام السهم، لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره، ولا يتأجلونه ﴾ [٤] رواه الآجري [٥] .

وروى أبو عبيد في " فضائل القرآن " بإسناده قال: سئل علي رضي الله عنه عن [الجُنب] [٦] يقرؤون القرآن قال: لا ولا حرفا " [٧] وروى نحوه عن ابن المبارك [٨] وزاد: من قال لا أومن بذه اللام فقد كفر وقال أيضا: من حلف بسورة البقرة، فعليه بكل حرف منها يمين وقال طلحة بن [مصرف] [٩] قرأ رجل على معاذ بن جبل القرآن، فترك واوا فقال: لقد تركت حرفا أعظم من أحد. قال الحسن البصري [١٠] قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

---

(١) أبو داود (١٤٦٦) والنسائي (٢ / ١٨١) والترمذي (٣٠٩١) والبغوي (١٢١٦) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة . قلت : مدار الحديث عند جميع من سبق على يعلى بن مملك وهو مقبول كما في " التقريب " ، أي حين المتابعة وإلا فهو لين الحديث - وقد تفرد بتوثيقه ابن حبان .

(٢) في الأصل " ويعلى " ولعل الصواب ما أثبتناه كما هو بين والله أعلم .

(٣) سقط من الأصل (سعد) وسهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي أبو العباس له ولأبيه صحبة مشهور مات (سنة ٨٨ هـ) وقيل بعدها ، تقريب .

(٤) أحمد (٣٣٨/٥) .

(٥) لم أره في " الشريعة " للآجري والله أعلم .

(٦) في الأصل " الجن " والصواب ما أثبتناه كما هو واضح وهو الموافق لما نقل منه المصنف .

(٧) فضائل القرآن (١٧١ تحقيق محمد تجاني - رسالة ماجستير) ، وروى نحوه أحمد (١ / ١١٠) وانظر جامع الترمذي (١ / ٢٧٥) بتحقيق أحمد شاكر .

(٨) انظر التعليق السابق رقم (٦) بحاشية ص ٥٣ .

(٩) وقع في الأصل " مطرف " بالطاء والصواب ما أثبته . وهو تابعي ثقة قارئ فاضل مات سنة (١١٢ هـ) أو بعدها ، تقريب .

(١٠) وهو الحسن بن يسار ثقة فقيه فاضل مشهور كان يرسل كثيرا ويدلس مات سنة (١١٠ هـ) ، تقريب .

إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [1] ... [ص: ٢٩]. وما تدبر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول لقد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفا وقد أسقطه واللّه كله.

(١) سورة ص آية : ٢٩ .

فصل

الله ﷻ يتكلم بحرف وصوت

وأما الصوت، فقد ورد في رواية عبد الله بن [أنيس] [(١)] مرفوعًا في حديث الحشر ﴿ فيناديهم سبحانه بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب ﴾ [(٢)] . رواه أحمد وجماعة من الأئمة واستشهد به البخاري [(٣)] .

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته أهل السماء كسلسلة على صفوان، فيخرون سجدا ﴾ [(٤)] ... " الحديث [(٥)] .

---

(١) وقع في الأصل " أنس " والصواب " أُنيس " كما أثبته . وعبد الله بن أنيس صحابي شهد بدرًا مات (سنة ٥٤ هـ) ، تقريب .

(٢) أحمد (٣/٤٩٥) .

(٣) قال البخاري في صحيحه (١٣ / ٤٥٣ فتح الباري) : " ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أُنيس سمعت النبي يقول : يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب : أنا الملك أنا الديان " . هكذا رواه البخاري في صحيحه تعليقًا بصيغة المبني للمجهول . وذكره بالجزم في موضع آخر فقال (١ / ١٧٣ فتح الباري) : باب الخروج في طلب العلم : " ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس في حديث واحد " . قلت : الحديث وصله البخاري في " الأدب المفرد " (٩٧٠) وفي " خلق أفعال العباد " (ص ١٣١) بلفظ التعليق و (ص ١٩٣) موصولا وأحمد في " المسند " (٣ / ٤٩٥ - وحسن إسناده المنذري في " الترغيب والترهيب " - والحاكم (٤ / ٥٧٤) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ورواه البيهقي في " الأسماء والصفات " من طريق الحاكم (ص ٧٨ - ٧٩) وابن أبي عاصم في " السنة " (ص ٥١٤) وأبو يعلى والطبراني - كما قال الحافظ - كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر عن عبد الله بن أُنيس . وقال الحافظ : " وللحديث طريق أخرى أخرجها الطبراني في " مسند الشاميين " وتمام في " فوائده " من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر وإسناده صالح . وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في " الرحلة " (ص ٢٠٣ و ٢٠٤ مجموعة الرسائل الكمالية) عن أبي الجارود العنسي عن جابر قال : بلغني حديث في القصاص فذكر الحديث نحوه . . . وفي إسناده ضعف ، انظر فتح الباري (١ / ١٧٤) و (١٣ / ٤٥٧) ومقدمة الفتح (ص ٧١) . وقال الشيخ الألباني في تخريج السنة (٥١٤) : " حديث صحيح " . ورد على الكوثري طعنه وتدليسه المعروفين في تعليقاته على " الأسماء والصفات " للبيهقي .

(٤) أبو داود السنة (٤٧٣٨) .

(٥) الحديث علقه البخاري في صحيحه (١٣ / ٤٥٣ فتح) عن ابن مسعود موقوفا ووصله مرفوعا أبو داود (٤٧٣٨) وابن خزيمة في " التوحيد " (ص ٩٥ - ٩٦) . قال الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (١٢٩٣)

وقول القائل إن الحروف والأصوات لا تكون إلا من مخارج باطل ومحال قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) [ق: ٣٠] وكذا قوله إخبارا عن السماء والأرض أنما... ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢) [فصلت: ١١].

فجعل القول لا من مخارج، ولا أدوات، وروي عن النبي ﷺ أنه كلمته الذراع المسمومة (٣) وأنه سلم عليه الحجر (٤) وسلمت عليه الشجرة (٥) .

وبالجملة فالقرآن العظيم هو كتابه المبين، وحبله المتين، أنزله على سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، وهو سور، وآيات، وأصوات، وحروف، وكلمات، له أول وآخر، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، مسموع بالآذان، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ (٦) [العنكبوت: ٤٩] وقال

) " إسناده صحيح على شرط مسلم " . وانظر لطرق الحديث : فتح الباري (١٣ / ٤٥٦) و " هدي الساري " (ص ٧١) .

(١) سورة ق آية : ٣٠ .

(٢) سورة فصلت آية : ١١ .

(٣) قصة الشاة المسمومة في الصحيح : البخاري (٦ / ٢٧٢ و ٧ / ٤٩٧ و ١٠ / ٢٤٤ - ٢٤٥ فتح الباري) وأما تكلم الذراع فليس في الصحيح خلافًا لما أوهمه صنيع مخرجي " زاد المعاد " (٣ / ٣٣٥) . قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١٠ / ٢٤٦) وأخرج ابن سعد عن الواقدي بأسانيده المتعددة أنا قالت (يعني اليهودية التي قدمت الشاة المسمومة) : " قتلت أبي وزوجي وعمي وأخي ونلت من قومي ما نلت فقلت : إن كان نبيا فسيخبره الذراع وإن كان ملكًا استرحنا منه " . قلت : الواقدي متروك كما في " التقريب " . وروى إخبار الذراع لرسول الله في قصة الشاة المسمومة أبو داود (٤٥٠٨) والدارمي (١ / ٣٢) كلاهما عن الزهري عن جابر (وهو لم يسمع منه شيئا) وبذا أعلّه المنذري في " مختصر السنن " (٤٣٤٤) وقال ابن القيم في " تذييه " : حديث جابر لين بذاك المتصل لأن الزهري لم يسمع من جابر شيئا .

(٤) كما في " صحيح مسلم " (٢٢٧٦) يقول رسول الله " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن " .

(٥) روى الترمذي (٣٧٠٣) بسنده عن علي بن أبي طالب قال : " كنت مع النبي بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله " . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن غريب " . قلت : في سنده سليمان بن معاذ وهو ضعيف ، انظر " التهذيب " (٤ / ٢١٣) .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٤٩ .

تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى ﴾ (1) [الكهـف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ (2) [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

والقرآن هو هذا الكتاب العربي، الذي قال فيه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ (3)... [سبأ: ٣١]. وقال بعضهم فيه: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (4) [المدثر: ٢٥]. فتوعده الله بإصلائه سقر.

وقال بعضهم هو شعر فقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ (5) [يس: ٦٩]. فلما نفى سبحانه عنه الشعر، وأثبته قرآنا، لم تبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي عُلِمَ أوله وآخره، فمن زعم أن القرآن اسم لغيره دونه، بان جهله وحمقه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (6)... [البقرة: ٢٣]. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (7) [الإسراء: ٨٨]. ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان، بمثل ما لا يدري ما هو، ولا يعقل معناه.

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٩ .
(٢) سورة الواقعة آية : ٧٧ - ٧٨ .
(٣) سورة سبأ آية : ٣١ .
(٤) سورة المدثر آية : ٢٥ .
(٥) سورة يس آية : ٦٩ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٣ .
(٧) سورة الإسراء آية : ٨٨ .

فصل

علم الله تعالى بجميع المخلوقات وقدرته على جميع الممكنات

والله سبحانه خالق لجميع المخلوقات، عالم بجميع المعلومات، من الجزئيات والكليات قادر على جميع الممكنات، وعلى أن يخلق مثلهم، وهو الخلاق العليم، مريد لجميع الكائنات، سميع بصير، لا شبه له ولا مثل، ولا ضد ولا ند، ولا شريك له في وجوب الوجود، ولا في استحقاق العبادة، ولا في الخلق والأمر والتدبير، ولا يشفي مريضًا ولا يرزق مرزوقًا ولا يكشف ضرا إلا هو.

ولا يحل في غيره، ولا يحل غيره فيه، ولا يتحد غيره به، ولا يقوم حادث بذاته، ولا في ذاته حدوث وإنما الحدوث تعلق في تعلق الصفات بمتعلقاتا، بريء عن التجدد والحدوث من جميع الوجوه، ولا يصح عليه الجهل، ولا الكذب، وهو فوق العرش، كما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، ولا يحتاج إلى شيء في ذاته وصفاته، ولا حاكم عليه ولا حكم إلا له، ولا يجب عليه شيء بإيجاب غيره، وهو لا يخلف الميعاد، وجميع أفعاله تتضمن الحكمة، ولا قبيح منه، ولا ينسب في فعله إلى جور وظلم، وليس للعقل حكم في حسن الأشياء وقبحها، وله الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، ولا حاكم سواه، ولا معبود إلا إياه.

فصل[1]

الإيمان قول وعمل

والإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقًا للكتاب والسنة، والنية لقوله ﷺ ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ﴾ [2] [3] .

والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [4] ... [التوبة: ١٢٤]. وقال تعالى:... ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [5] ... [الفتح: ٤]. وقال تعالى:... ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ [6] [المدثر: ٣١]. وفي الحديث: ﴿ الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ﴾ [7] [8] . فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان، ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما قالت الخوارج [9] بل الأخوة

(١) قارن هذا الفصل بالعقيدة الواسطية (ص ١٦ - ١٧) .

(٢) البخاري بدء الوحي (١) ، مسلم الإمارة (١٩٠٧) ، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٤٧) ، النسائي الطهارة (٧٥) ، أبو داود الطلاق (٢٢٠١) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٢٧) ، أحمد (٤٣/١) .

(٣) متفق عليه من حديث عمر : البخاري (١ / ٩ فتح) ومسلم (١٩٠٧) .

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٤ .

(٥) سورة الفتح آية : ٤ .

(٦) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٧) الترمذي الإيمان (٢٦١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧) ، أحمد (٤١٤/٢) .

(٨) رواه مسلم (٣٥) عن أبي هريرة ورواه البخاري (١ / ٥١ فتح) ولكن فيه " الإيمان بضع وستون " . ولقد رجح البيهقي رواية البخاري . وابن الصلاح - لكون الأقل متيقن - وأيده ابن حجر ، ورجح رواية مسلم الحليمي ثم عياض وأيدها الألباني وأجاب عن اعتراضات الحافظ ببحث نفيس انظره في السلسلة الصحيحة (١٩٧٦) وانظر " فتح الباري " (١ / ٥١ - ٥٢) .

(٩) انظر التعليق رقم (٣) بحاشية ص ٦٦ . قال الطحاوي - رحمه الله - في عقيدته (ص ٣٥٥ شرحها) : " ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله " . وراجع شرحها فإنه مهم وفيه رد على خوارج العصر الحاضر ومرجئته .

الإيمانية باقية مع المعاصي، كما قال تعالى في آية القصاص:... ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [1] ... [البقرة: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ [2] [الحجرات: ٩، ١٠].

ولا يسلب من الفاسق اسم الإيمان المطلق بالكلية، ولا يخلد في النار، كما قالت المعتزلة [3] بل للفاسق مَليا [4] اسم الإيمان، كما فـي قوله تعالى:... ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [5] ... [النساء: ٩٢]. وقد لا يدخـل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [6] ... [الأنفال: ٢].

وقوله ﷺ ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربا وهو مؤمن ﴾ [7] [8] ". ونحو ذلك فهو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بالإيمان فاسق بالكبيرة، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .
(٢) سورة الحجرات آية : ٩ - ١٠ .
(٣) انظر التعليق رقم (٥) بحاشية ص ٦٨ .
(٤) المَلي : الزمان الطويل وفي التـ يل العزيز . . واهجرني مليا [مريم : ٤٦] . المعجم الوسيط (٢ / ٨٨٧) .
(٥) سورة النساء آية : ٩٢ .
(٦) سورة الأنفال آية : ٢ .
(٧) البخاري الأشربة (٥٢٥٦) ، مسلم الإيمان (٥٧) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٥) ، النسائي الأشربة (٥٦٥٩) ، أبو داود السنة (٤٦٨٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٣٦) ، أحمد (٢/٣٨٦) ، الدارمي الأشربة (٢١٠٦) .
(٨) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، البخاري (١٠ / ٣٠ فتح) ومسلم (٥٧) واللفظ له .

فلا يشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار، لذنب عمله، ولا لكبيرة أتاها، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون ذلك في حديث كما جاء، وكما روي، فيصدقه، ويقبله، ويعلم أنه كما روي، نحو ترك الصلاة، وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة، ينسب صاحبها إلى الكفر، والخروج من الإسلام، فيتبع ذلك ولا يجاوزه [(١)] .

(١) قارن الفقرة الأخيرة بـ (السّنّة) للإمام أحمد (ص ٧٢) .

فصل[1]

عودة إلى مبحث الإيمان والإسلام

والإيمان هو الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [2] ... [الحجرات: ١٤]. وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ﴾ [3] [4] فهذا حقيقة الإسلام.

وأما الإيمان فعن عمر بن الخطاب ﴿ أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله. قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم ﴾ [5] أخرجه [6] مسلم وأبو داود وغيرهما.

وفيه من الأدلة ما لو استقصيناه لأدى إلى الإملال، وفي حديث سعد بن أبي وقاص ﴿ إني لأراه مؤمنا فقال رسول الله ﷺ أو مسلما ﴾ فذكر ثلاثة وأجابه

---

(١) انظر لموضوع " الإيمان والإسلام " شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٠ - ٣٩٥) .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٤ .

(٣) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٩٣/٢) .

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : البخاري (١ / ٤٩ فتح) ومسلم (١٦) واللفظ له .

(٥) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٦) رواه مسلم (٨) دون قوله : " إذا فعلت ذلك فقد آمنت قال نعم " وأبو داود (٤٦٩٥) والنسائي (٨ / ٩٧) وغيرهم .

بمثل ذلك [1] [2].

قال الزهري [3] " فنرى الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح ".

قلت: فعلى هذا قد يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا إلى الكفر بالله - تعالى وتبارك - أعاذنا الله منه.

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٠٨) ، مسلم الإيمان (١٥٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٢) ، أبو داود السنة (٤٦٨٣) أحمد (١٨٢/١) .

(٢) متفق عليه : البخاري (١ / ٧٩ فتح) ومسلم (١٥٠) والبخاري عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله أعطى رهطا - وسعد جالس - فترك رسول الله رجلا هو أعجبهم إلي فقلت : يا رسول الله ما لك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا فقال : " أو مسلما " فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت : ما لك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا فقال : " أو مسلما " ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله ثم قال : " يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار " .

(٣) هو : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب ، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه مات (سنة ١٢٥ هـ) تقريب .

فصل

القضاء والقدر

ويجب الإيمان بالقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، أنه من الله تعالى، ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر شيء إلا عن تدبيره وقضائه، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المحفوظ، ولا خير ولا شر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة، واستعمله بها فضلا، وخلق من أراد للشقاوة، واستعمله بها عدلا، فهو سر استأثر الله تعالى به، وحجبه عن خلقه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [1] [الأنبياء: ٢٣]. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [2] ... [الأعراف: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [3] [السجدة: ١٣]. وقال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [4] [القمر: ٤٩] وقال رسول الله ﷺ ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ [5] [6] خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [7] [الأنعام: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٩ .
(٣) سورة السجدة آية : ١٣ .
(٤) سورة القمر آية : ٤٩ .
(٥) البخاري تفسير القرآن (٤٦٦٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٧) ، الترمذي القدر (٢١٣٦) ، أبو داود السنة (٤٦٩٤) ، ابن ماجه المقدمة (٧٨) ، أحمد (١٥٧/١) .
(٦) متفق عليه : البخاري (١١ / ٤٩١ فتح) ومسلم (٢٦٤٧) واللفظ له .
(٧) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] [الحديد: ٢٢].

ولا يجوز أن يجعل قدر الله تعالى وقضاؤه حجة بعد الرسل، ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب، وبعثه الرسل، وما أمر الله تعالى ونهى إلا لمستطيع الفعل والترك، ولم يجبر أحدًا على معصية، ولا اضطره على ترك الطاعة، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [2] ... [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [3] ... [التغابن: ١٦] وقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ ﴾ [4] ... [غافر: ١٧]، فدل على أن للعبد كسبا يجزى على حسنته بالثواب، وعلى سيئته بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره، سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٣) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٤) سورة غافر آية : ١٧ .

درجات الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

الأولى : الإيمان بأن الله عليم بما يعمل الخلق بعلمه القديم الذي هو موصوف به، وقد علم جميع أحوالهم، من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب في اللوح المحفوظ مقاديـر الخلـق، و ﴿ أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴾ [(١)] [(٢)] . وهذا التقدير تابع لعلمه سبحانه، يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء. وإذا خلق الجنين، قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكا، فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، شقي أم سعيد، ونحو ذلك [(٣)] . فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية [(٤)] قديما، ومنكره اليوم قليل.

أما الثانية : فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد. وأنه سبحانه على كل شيء قدير، من الموجودات والمعدومات. فما من مخلوق في الأرض، ولا في السماء إلا الله خالقه، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسوله، وناهم عن معصيته، ومعصية رسوله، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

---

(١) الترمذي القدر (٢١٥٥) .

(٢) حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم في " السنة " (١٠١ - ١٠٨) وغيره من طرق وبألفاظ مختلفة انظر تخريج " السنة " والسلسلة الصحيحة (١٣٣) .

(٣) انظر صحيح البخاري (١٠ / ٤٧٧ فتح) .

(٤) راجع التعليق رقم (٣) بحاشية ص ٦٦ .

القدرية مجوس الأمة تحقيق ذلك

والعباد فاعلون حقيقة، واللّه خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أفعالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، وهـذه الدرجة من القَـدَر، يكذب بها عامة القدرية، الذين سماهم النبي ﷺ ﴿ مجوس هذه الأمة ﴾ [١] [٢] يغلو فيها قوم [٣] من أهل الإثبات، حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه، وحكمها ومصالحها. فالقدر ظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وقله وكثره، وأوله وآخره من الله ﷻ قضاء قضاه على عباده، وقدر قدره عليهم، لا يعدو واحد منهم مشيئة الله، ولا يجاوز قضاه، بل كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم، وهو عدل منه جل ربنا وعز.

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والكفر والبدعة والمعاصي والكبائر والصغائر كلها بقضاء الله وقدر منه، من غير أن يكون لأحد من الخلق حجة على الله.

وعلم الله ﷻ ماض في خلقه، بمشيئة منه، وقد علم من إبليس وغيره، ممن عصاه من لدن عصي إلى أن تقوم الساعة، المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة،

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٩١) ، أحمد (٨٦/٢) .

(٢) روى أبو داود في " سننه " (٤١٩١) عن ابن عمر مرفوعا " القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم " . قلت : " رجاله كلهم ثقات احتج بم الجماعة غير أن عبد العزيز بن أبي خازم وثقه النسائي وابن معين والعجلي وقال أبو حاتم : صالح الحديث لم يكن بالمدينة أفقه منه ، وقال أحمد : لم يكن يعرف بطلب الحديث إلا كتب أبيه فإنم يقولون أنه سمعها ، ويقال إن كتب سليمان بن بلال وقعت إليه ولم يسمعها ، وقال ابن أبي خثيمة عن مصعب الزبيري : كان قد سمع من سليمان فلما مات سليمان أوصى إليه بكتبه " هدي الساري (ص ٤٢٠) وقال الحافظ في " التقريب " : " صدوق " . والحديث رواه الحاكم أيضا (١ / ٥٨) من طريق أبي داود ، لكن سَلمة بن دينار (أبو حازم) لم يسمع من ابن عمر كما في " التهذيب " فهو منقطع . والأحاديث عن ابن عمر يقوي بعضها بعضا كما في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٣٢٨ و ٣٢٩) وانظر أصول الاعتقاد للالكائي (١١٥٠ فما بعدها) وتخريج الطحاوية (ص ٢٤٢) .

(٣) وهم الجبرية . انظر الرد عليهم وعلى القدرية في " لوامع الأنوار " (١ / ٢٩١ فما بعدها) .

وخلقهم لها، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم.

ومن زعم أن الله سبحانه شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية، فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله، وأي افتراء على الله أكبر من هذا.

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا، وجاءت بولد، هل شاء الله تعالى ﷻ أن يخلق هذا الولد ؟ وهل مضى في سابق علمه ؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقا آخر وهذا هو الشرك صراحا.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية، بل أكل رزقه الذي قضى الله له أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر الله، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله ﷻ وذلك عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يشاء.

ومن أقر بالعلم، لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة، على الصغر [والقَمْأة] (١) فالأشياء كلها تكون بمشيئة الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٢) [إنسان: ٣٠]. وكما قال المسلمون ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وقالوا إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله، أو يقدر أن يخرج عن علمه تعالى، أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد خلقها الله، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين، ولطف للمؤمنين، ونظر لهم، وأصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين، ولا

(١) القَمْأة والقمَاءَةْ أو تقول " قَمْأ " كما في " السّنة " لأحمد (ص ٧٠) وعبارة المؤلف تماما كما في " السّنة " . وقَمَأ وقَمُؤَ : ذلّ وصغر كما في " القاموس " (١ / ٢٦) .

(٢) سورة الإنسان آية : ٣٠ .

أصلحهم، ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف لهم، حتى يكونوا مؤمنين، كما قال تعالى:... ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [1] ... [الأنعام: ١٤٩]. ولكنه أراد أن يكونوا كافرين، كما علم، وخذلهم، وأضلهم وطبع على قلوبهم وختم على سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة، ويؤمنون أنهم ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [2] ... [الرعد: ١٦] كما قال، ويكلون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إليه سبحانه في كل وقت، والفقر إليه في كل حال.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(٢) سورة الرعد آية : ١٦ .

فصل بعض خصائص الرسول ﷺ

ونعتقد أن محمدًا المصطفى، وأحمد المجتبى ﷺ خير الخلائق، وأفضلهم وأكرمهم على الله ﷻ وأعلى درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة بعثه الله رحمة للعالمين وخصه بالشفاعة في الخلق أجمعين.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلوة فليصل، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ﴾ [(١)] [(٢)] وقال: ﴿ أنا سيد الناس يوم القيامة ﴾ [(٣)] [(٤)] وقال: ﴿ أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع ومُشفع ﴾ [(٥)] رواه مسلم والنسائي. وعن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ ﴿ آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ﴾ [(٦)] رواه مسلم [(٧)] إلى غير ذلك من الخصائص والفضائل.

قلت: له ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات:

---

(١) البخاري التيمم (٣٢٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) ، النسائي الغسل والتيمم (٤٣٢) ، أحمد (٣/٣٠٤) ، الدارمي الصلاة (١٣٨٩) .

(٢) متفق عليه : البخاري (١ / ٤٣٦ فتح) ومسلم (٥٢١) واللفظ للبخاري .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٤٣٥) ، مسلم الإيمان (١٩٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٤) .

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة : البخاري (٨ / ٣٩٥) ومسلم (١٩٤) .

(٥) مسلم من حديث أبي هريرة (٢٢٧٨) ولفظه : " أنا سيّد الناس يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع " . والحديث لم يعزه المزي للنسائي في " تحفة الأشراف " والله أعلم .

(٦) مسلم الإيمان (١٩٧) ، أحمد (٣/١٣٦) .

(٧) في صحيحه (١٩٧) .

شفاعة الرسول وأنواعها

أما الشفاعة **الأولى :** فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى الشفاعة حتى تنتهي إليه.

والثانية : أن يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان به.

والثالثة : يشفع فيمن يستحق النار، فيشفع في قوم، فلا يصيرون إلى النار، وهذه الشفاعة له ولسائر المؤمنين والصديقين والشهداء وغيرهم من الملائكة... ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] [الأنبياء: ٢٨]. ولا ينفع الكافرين شفاعة الشافعين ويخلد قوم فيها أبدا، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله ﷻ ويشفع فيمن دخلها أن يخرج فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما، ويخرج الله من النار قوما بغير شفاعة بفضله ورحمته الواسعة، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشئ الله لها أقواما، فيدخلهم الجنة [2] .

وتكون الشفاعة بالإذن لمن أذن له الرحمن وقال صوابًا، وقد نص القرآن الكريم على ذلك في مواطن منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [3] ... [البقرة: ٢٥٥]، والشفعاء كلهم داخلون تحت هذا الإذن، ولا يشفع أحد بغير إذنه تعالى.

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٢) من قوله " قلت " في بيان أنواع الشفاعة إلى هذا الموضع من الواسطية (ص ١٤ - ١٦) إلا أحرفا يسيرة . انظر أحاديث الشفاعة في مسلم (١٩٣ فما بعدها) وراجع بحث موضوع الشفاعة وأنواعها " شرح العقيدة الطحاوية " (ص ١٥٢ - ٢٦٧) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

فصل

سلامة قلوب أهل السنة لصحابة رسول الله ﷺ

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (1) [الحشر: ١٠]. وطاعة لقوله ﷺ ﴿ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ (2) (3) ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - على من أنفق بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: ﴿ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ (4) (5) وبأنه ﴿ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ﴾ (6) (1) كما أخبر به

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٢) مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤٠) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين ، البخاري (٧ / ٢١ فتح) ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري دون قوله (والذي نفسي بيده) .

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٨٤٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٩٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٥٠) ، أحمد (٨٠/١) .

(٥) وذلك لما جاء في الصحيحين : البخاري (٧ / ٣٠٤ و ٣٠٥ فتح) ومسلم (٢٤٨٤) وغيرهما عن علي بن أبي طالب في قصة حاطب بن أبي بلتعة لَما هم عمر بقتله فقال رسول الله " أليس من أهل بدر ؟ فقال : يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد أوجبت لكم الجنة - أو فقد غفرت لكم " . فَدَمعتْ عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٧ / ٣٠٥) : قال العلماء : إن الترجي في كلام الله ورسوله محقق الوقوع وعند أحمد وأبي داود (٤٦٥٤) وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بالجزم ولفظه : " إن الله اطلع على أهل بدر فقال : " اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم " وعند أحمد بسند صحيح على شرط مسلم من حديث جابر مرفوعا " لن يدخل النار أحد شهد بدرا " .

(٦) الترمذي المناقب (٣٨٦٠) ، أبو داود السنة (٤٦٥٣) ، أحمد (٣٥٠/٣) .

النبي ﷺ ورضي الله عنهم، ورضوا عنه.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة المبشرة (٢) وثابت بن قيس (٣) وغيرهم من الصحابة وأهل البيت.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها صاحبه الأخص، وأخوه في الإسلام، ورفيقه في الهجرة والغار، ووزيره في حياته، وخليفته بعد وفاته، أبو بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة الصديق رضي الله عنه . ثم من أعز به الإسلام، وأظهر الدين، عمر بن الخطاب الفاروق. ويثلثون بذي النورين عثمان بن عفان، الذي جمع القرآن والحياء والعدل والإحسان، ويربعون بابن عم النبي ﷺ وختنه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كما دلت عليه الآثار، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي، بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان، وسكتوا، وربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا، وقوم توقفوا، ولكن استقر أمر أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت مسألة علي وعثمان ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. قال عبد الله بن عمر: ﴿ كنا نقول والنبي ﷺ حي أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مُبَشر - رضي الله عنها - .

(٢) وهم : ١- أبو بكر : عبد الله بن عثمان الصديق الأكبر مات (سنة ١٣ هـ) . ٢ - عمر بن الخطاب مات (سنة ٢٣ هـ) . ٣ - عثمان بن عفان مات (سنة ٣٥ هـ) . ٤ - علي بن أبي طالب مات (سنة ٤٠ هـ) . ٥ - سعد بن أبي وقاص مات (سنة ٥٥ هـ) . ٦ - سعيد بن زيد بن عمرو مات (سنة ٥٠ أو ٥١ هـ) . ٧ - طلحة بن عُبيد الله بن عثمان مات (سنة ٣٦ هـ) . ٨ - الزبير بن العوام مات (سنة ٣٦ هـ) . ٩ - عبد الرحمن بن عوف مات (سنة ٣٢ هـ) . ١٠ - أبو عبيدة : عامر بن عبد الله بن الجراح مات (سنة ١٨ هـ) .

(٣) استشهد باليمامة ، تقريب .

فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره ﴾ [١] [٢] وصحت الرواية عن علي ﷺ أنه قال: " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث " [٣] .

وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر، لفضله، وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلوات على جميع أصحابه [٤] وإجماع الصحابة على تقديمه، ومتابعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم بعده عمر لفضله، وعهد أبي بكر إليه.

ثم عثمان، لتقديم أهل الشورى له.

ثم علي ﷺ لإجماع أهل عصره عليه.

فهؤلاء الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، ومن طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء، فهو أضل من حمار أهله [٥] وقد قال رسول الله ﷺ ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضّوا عليها بالنواجذ ﴾ [٦] [٧] وقال ﷺ ﴿ الخلافة بعدي ثلاثون سنة ﴾ [١] [٢] فكان آخرهم خلافة علي ﷺ [٣]

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٥٥) ، أبو داود السنة (٤٦٢٨) ، أحمد (١٤/٢) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٢٨) وعبد الله ابن الإمام أحمد في " السّنة " ص (٢٥٧) بلفظ " كنا نقول ورسول الله حي : أفضل أمة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان " وجاء في " السّنة " لابن أبي عاصم (١١٩٤ و ١١٩٥) وغيره نحوه بزيادة : " فيبلغ ذلك النبي فلا ينكره " . وهذه الزيادة ثابتة كما في " ظلال الجنة في تخريج السّنة " .

(٣) رواه أحمد في " المسند " (١ / ١١٠) وإسناده صحيح على شرط مسلم كما في " ظلال الجنة " ورواه أيضا عبد الله بن أحمد في " الزوائد على المسند " (١ / ١٠٦ و ١١٠) وابن أبي عاصم في " السّنة " (١٢٠١) .

(٤) كما في الصحيحين البخاري (٢ / ١٧٢ فتح) ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة .

(٥) من بداية هذا الفصل إلى هذه العلامة من " الواسطية " بلفظه .

(٦) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٧) قطعة من حديث صحيح من حديث العرباض بن سارية وعظنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . . . " رواه ابن أبي عاصم (٥٤) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (١٨١٦) وقال :

فصل

وجوب محبة أهل بيت رسول الله ﷺ

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: ﴿ أُذكِّرُكُم الله في أهل بيتي مرتين ﴾ (٤) (٥) وقال للعباس

حسن صحيح ، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤) وابن حبان (١٠٢ موارد) والدارمي (١ / ٤٤ - ٤٥) والحاكم (١ / ٩٥) وقال : صحيح ليس له علة وأقره الذهبي . وانظر للتوسع في تخريجه ولشرحه النفيس " جامع العلوم والحكم " لابن رجب (ص ٢٢٥ - ٢٣٦) . وسيذكر المؤلف الحديث بنصه ، انظر التعليق رقم (٣) بحاشية ص ١٤٩ .

(١) الترمذي الفتن (٢٢٢٦) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦) وابن حبان (٥٣٤ موارد) واللفظ له ، والترمذي (٢٣٢٦) وغيره بلفظ " خلافة النبوة ثلاثون سنة . . . " . وانظر لتخريج الحديث وبيان صحته في " السلسلة الصحيحة " . (٤٦٠) حيث نقل تصحيح تسعة من حفاظ الحديث وأئمته .

(٣) قال سفينة (مولى رسول الله وهو راوي حديث الخلافة ثلاثون سنة) : " أمسك خلافة أبي بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان ثنتي عشرة وعلي ستا " . رواه ابن حبان (١٥٣٤ موارد) وأصله في سنن أبي داود (٤٦٤٦) وانظر " فيض القدير (٣ / ٥٠٩) . فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة مخطوطة له في هذا الحديث بالمكتبة الظاهرية بخطه في " مسودته " (ق ٨١ / ٢ - ٨٤ / ٢) - كما في السلسلة الصحيحة (٤٦٠) - : " وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جُمْهان عن سفينة مولى رسول رواه أهل السنن كأبي داود وغيره واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وثبته أحمد ، واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد : " من لم يُربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله " . " ونهى عن مناكحته وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنّة . . . " . انظر " السلسلة " لتتمة ما نقله من المخطوطة .

(٤) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(٥) غَدِير خُم ماء بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال بالجُحْفة كما في " معجم البلدان " (٢ / ٣٨٩) . والحديث في صحيح مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال : " قام رسول الله يوما فينا خطيبا بماء يُدْعى خُما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وَوَعظ وذكّر ثم قال : " أمّا بعد ألا أيها الناس ! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغّبَ فيه . ثم قال : " وأهل بيتي . أُذَكِّرُكُم الله في أهل بيتي . أُذَكِّرُكُم الله في أهل بيتي . أُذَكِّرُكُم الله في أهل بيتي " . فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم " (ص ٢٩٣) : " زاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه عهد إلى علي بالخلافة بالنص الجلي بعد أن فرش له وأقعده على فرش عالية وذكروا كلاما باطلا وعملا قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء ، وزعموا

عمه، حين اشتكى أن بعض قريش لا يلقونه بوجه طلق ﴿ والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي ﴾ [(1)] .

ويؤمنون بأن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، بنص القرآن، وأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة، وهي أم أكثر أولاده، وأول من آمن به من النساء، وعاضدته على أمره، وكان لها منه المنزلة العلية. والصديقة بنت الصديق، التي قال فيها النبي ﷺ ﴿ فضل عائشة

أن الصحابة تمالؤوا على كتمان هذا النص وغصبوا الوصيّ حقه وفسّقوا وكفّروا إلا نفرا قليلا . والعادة التي جبل الله عليها بني آدم ثم ما كان عليه القوم من الأمانة والديانة وما أوجبته شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقيني بأن مثل هذا يمتنع كتمانه " . وقال ابن جرير الطبري " معجم الأدباء " (١٨ / ٨٥) : ثم مررنا بغدير خُم كم قال فيه بزورٍ جم عن علي والنبي الأمي فائدة ثانية : قال أبو جحيفة " سألت علياهل عندكم شيء ليس في القرآن ؟ وقال مرة : ليس عند الناس فقال : والذي فلق الحّبةَ وبَرَأَ النّسمة ما عندنا إلا ما في القرآن - إلا فهما يُعطى رجل في كتابه - وما في الصحيفة . قلت : وما الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر " . رواه البخاري (١٢ / ٢٤٦) . ولقد سأل قيس بن عباد والأشتر النخعي عليا أيضا عن هذا كما في " سنن النسائي " (٨ / ١٩ - ٢٠) وأبي داود (٤٥٣٠) وغيرهما . وقال الحافظ في " الفتح " (١ / ٢٠٤) : " وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت - لا سيما عليا - أشياء من الوحي خصهم النبي با لم يطلع غيرهم عليها " وروى أحمد بإسناد حسن من طريق طارق بن شهاب - كما قال الحافظ - قال : " شهدت عليا على المنبر وهو يقول : والله ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا كتاب الله وهذه الصحيفة " . فائدة ثالثة : المقصود من " أهل البيت " إنما هم العلماء الصالحون منهم والمتمسكون بالكتاب والسّنة ، قال الطحاوي - رحمه الله تعالى - : " العترة : هم أهل بيته الذين هم على دينه وعلى التمسك بأمره " انظر السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٦٠) . " وسمى الرسول القرآن وأهل البيت ثقلّين لأن الأخذ بما والعمل بما ثقيل ، ويقال لكل خطير نفيس (ثقل) ، فسماهما (ثقلين) إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنما " قاله ابن الأثير كما في " السلسلة " وقال العلامة الألباني : " والحاصل أن ذكر أهل البيت في مقابل القرآن في هذا الحديث كذكر سنّة الخلفاء الراشدين مع سنّته في قوله : " فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين . . . " ثم نقل عن علي القاري قوله : " فإنم لم يعملوا إلا بسنّته ، فالإضافة إليهم إما لعلمهم با أو لاستنباطهم واختيارهم إياها " . راجع السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٦٠ - ٣٦١) .

(١) رواه أحمد في " المسند " (١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ و ٤ / ٦٥) بلفظ " والله لا يدخل قلب امرئٍ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي " . وقـال العلامة أحمد شاكر فـي تعليقه على المسند (١٧٧٣) : إسناده صحيح . وروى ابن ماجه (١٤٠) نحوه ولكن إسناده منقطع كما قال أحمد شاكر .

على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ﴾ [١] [٢] . وقد برأها الله سبحانه في كتابه، وهي زوجته في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه، فقد كفر بالله العظيم، وكذّب بكتابه الحكيم.

ويتبرؤون من طريقة الروافض والشيعة، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم [٣] وطريقة النواصب والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية منها ما هو كذب، ومنها ما هو قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منها هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك يعتقدون أن كل أحد من الصحابة ليس معصومًا عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، ولهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٣٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٣١) ، الترمذي الأطعمة (١٨٣٤) ، النسائي عشرة النساء (٣٩٤٧) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٨٠) ، أحمد (٣٩٤/٤) .

(٢) متفق عليه : البخاري (٧ / ١٠٦ فتح) ومسلم (٢٤٤٦) من حديث أنس بن مالك . تنبيه : روى الحديث أيضا ابن ماجه (٣٢٨١) عن أنس . وقد ذكره السيوطي في " الجامع الصغير " (٤ / ٤٣٦ فيض القدير) بلفظ " فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على النساء " وعزاه لابن ماجه ، وقد نبه شيخنا الألباني في " ضعيف الجامع الصغير " (٣٩٦٥) إلى أن هذا الحديث لا أصل له عند ابن ماجه ولا عند غيره من كتب الحديث وإنما هو مما انقلب على السيوطي - رحمه الله - ولم يتنبه لذلك المناوي ولا النبهاني ، ثم ذكر لفظ الصحيحين وابن ماجه .

(٣) ومن ذلك ما جاء في كتاب " تحفة العوام " مقبول جديد باللغة الأردية (ص ٤٢٢) دعاء صنمي قريش : بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك . . . والقوم يقصدون بصنمي قريش أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- وهذا الكتاب موثق من جمع من آياتهم تبًّا لها من آيات . وانظر الكتب التالية عن الشيعة وخطرهم : " منهاج السّنة " لابن تيمية ، " المنتقى " للذهبي ، " الصراع بين الإسلام والوثنية " لعبد الله القصيمي ، " جاء دور المجوس " د . عبد الله الغريب ، " سراب في إيران " د . الأفغاني ، " الخميني بين الاعتدال والتطرف " .

لمن بعدهم، وكلهم عدول بتعديل رسول الله ﷺ وقد ثبت في قوله ﷺ أنهم ﴿ خير القرون ﴾ [(١)] وأن ﴿ الـمد من أحدهـم إذا تصـدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ﴾ [(٢)] ممن بعدهم. ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ لأصحابه الذين هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا [كفر] [(٣)] به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف في الأمور التي كانوا مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد؟.

والخطأ مغفور. ثم القدْر الذي يُنكر من فِعل بعضهم قليل، فوِزْرُه مغفور، في جنب فضائلهم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، بالأنفس والأموال والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والنصيحة لخلق الله.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منّ الله به عليهم من الفضائل والكرامات، ورفيع الدرجات، في الدنيا والآخرة، علم يقينا وعيانا بلا ريب ومرية أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لم يكن ولا يكون مثلهم أبدا، وأنهم الصفوة من هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله [(٤)] .

وبالجملة فكل من شهد له منهم رسول الله ﷺ بالجنة شهدنا له، ولا نشهد لأحد غيرهم، بل نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، ونكل علم الخلق إلى خالقه، ولا يحكمون بالجنة لأحد بعينه من الموحدين حتى يكون الله تعالى يـ لهم حيث شاء، ويقولون

---

(١) لم أره بذا اللفظ ولا " خير القرون قرني " وفي الصحيح : البخاري (٥ / ٢٥٩ فتح) ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود مرفوعا " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " . وله ألفاظ أخرى وطرق متعددة ، وهو حديث متواتر كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة " الإصابة في تمييز الصحابة " .

(٢) صحيح انظر التعليق رقم (١) بحاشية ص ٩٤ .

(٣) في الأصل (كفي) والصواب ما أثبته من " الواسطية " (ص ١٩) .

(٤) من بداية هذا الفصل إلى هذا الحد من " الواسطية " (ص ١٨ - ١٩) ويكاد يكون بحروفه تماما إلا يسيرا .

أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم على المعاصي، وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ [(١)] .

فالزم - رحمك الله - ما ذكرت لك من كتاب ربك العظيم، وسنة نبيك الرؤوف الرحيم، ولا تحدْ عنه بقول أحد وعمله، ولا تبتغ الهدي من غيره، ولا تغتر بزخارف المبطلين وانتحالهم، وآراء المتكلمين المتكلفين، وتأويلهم. إن الرشد والهدي والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله لا فيما أحدثه المحدثون وأتى به المتنطعون من آرائهم المضمحلة، وعقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنة رسوله بدلًا من قول كل قائل وزخرف باطل.

من أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء

ومن أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق عادات، في أنواع العلوم والمكاشفات والتأثيرات، كالمأثور عن سلف الأمة وأئمتها، وسالف الأمم، في سورة الكهف وسورة مريم وغيرها، وعن صدر هذه الأمة، من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة [(٢)] .

والكشف والكرامة ليس بحجة في أحكام الشريعة المطهرة، وخاصة فيما يخالف ظاهر الكتاب والسنة [(٣)] . ولا يمتاز صاحب الولاية والكرامة عن آحاد المسلمين في شيء من الزي والعمل والقول، ولا يختص بالنذر [(٤)] وغيره مما ينبغي للّه سبحانه، قال محمد بن

---

(١) انظر بحث الشفاعة في " شرح الطحاوية " (ص ٢٥٢ - ٢٦١) وفيه الأدلة مبسوطة .

(٢) انظر " مبحث الكرامات " وأنا من أصول أهل السّنة والرد على المعتزلة في إنكارهم لها " شرح العقيدة الطحاوية " (ص ٥٥٨ - ٥٦٢) و " لوامع الأنوار البهية " (٢ / ٣٩٢ فما بعدها) . وانظر بعض الكرامات عن السلف في " لوامع الأنوار " (٢ / ٣٩٥) و " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " (ص ١٣١ - ١٥٥) .

(٣) وكذلك لا يجوز تصحيح الحديث ولا تضعيفه عن طريق الكشف خلافا لصنيع بعض الصوفية كابن عربي الطائي - الصوفي الذي يدعي بأن فرعون مات مؤمنا - انظر " الباب المائة والثمانية والتسعون " من فتوحاته " . والله وحده المستعان .

(٤) أي لا يجوز النذر له لأن هذا خاص بالله تبارك وتعالى وصرفه لغيره من الشرك الأكبر والعياذ بالله .

ناصر الحازمي [1] -

" الذي يجب للأولياء المتبعين لا المبتدعين هو المحبة والتوقير والتعظيم والاتباع والدعاء والاستغفار والاقتفاء بهم في محاسن الأقوال والأفعال بما اقتضى الكتاب والسنة، وإثبات الكرامة اللازمة كما وقع لبعض الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يتجاوز بهم إلى حد المعجزات النبوية، ولا الخوارق الإلهية، حتى يعرف الفرق بين الحق والخلق والمعصوم وغيره ".

تعريف المعجزة والكرامة

وتعريف المعجزة : هي أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله سبحانه.

وتعريف الكرامة : بأنا ظهور أمر خارق للعادة، من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة. فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما كان مقرونا بدعواها يكون معجزة.

وأما إثبات التصرف في العالم للأولياء، وسقوط التكليف عنهم، وإثبات ما يختص باللّه، فإسقاط لحق الربوبية والألوهية، ودعوى مجردة عن الدليل، بل من العقائد الفاسدة الضعيفة، والأباطيل الشركية السخيفة. والاستدلال بأمثال قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ [2] ... [الزمر: ٣٤]، حجة فاسدة، فإن ذلك وعد لهم، واللّه لا يخلف الميعاد، وهذا لهم في الآخرة، كما صرحت به الآيات والأحاديث. ودعوى العموم، بعيدة محالة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، واللّه المستعان. وكفى باللّه شهيدًا على الضمائر، وحكمًا بين العادل والجائر، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، ما أكثر هذا اليوم في الأحزاب المتحزبة، والجموع ا لتمعة، من فرق الشيعة، والمتصوفة، وطوائف

(١) انظر التعليق رقم (٦) بحاشية ص ٥٩ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣٤ .

المبتدعة، يُسَيرون قواعد لم تتأسس على علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، ثم يبنون عليها قناطير علمهم وعملهم، وما لم يشهد له دليل من الافتراء والشبهة التي نشأت عن الهوى والإلف والتقليد، ساقطة في البين فتبقى الدعوى مجردة، وحجج الله سبحانه أكبر وأكثر.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1] ... [آل عمران: ٣١] أوضح دليل على المدعى لأن الخير مقصور على اتباعه. فيا حسرة الجهلة البطلة الزاعمين بأن اتباعهم لمن قلدوه ينجيهم من دون اقتصاص واقتصـار على الآثار النبوية ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [2] ... [آل عمران: ٨٥].

والإسلام ما جاء به خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ ... ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [3] [آل عمران: ١٠١]. فمن لم يخص الله بالاعتصام، وهو أغنى الشركاء عن الشرك، لم يعتصم عن الضلالة، ومن أخلص لله، سلم من الضلالة، ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] [الأعراف: ٣].

بيان ما آل إليه أمر المتصوفة من الاستعانة بغير الله

ولقد أربى ضلال المتصوفة، واتبعهم الرعاع والجهلة، واستحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، فلا تسمع إلا يا سيدي أحمد البدوي، ويا سيدي الزيلعي، ويا سيدي عيدروس، ويا جيلاني، ولا تسمع من يذكر الله، ويلجأ إليه في البحر والبر إلا قليلًا، ولفقوا كذبات لا أصل لها، وقد عمت جهالاتم اليوم عامة أهل وقتنا وخاصتهم، إلا من شاء الله، فيضيفون إليهم من القدرة والعلم بالمغيبات، والتصرف في الكائنات، ما يختص

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٨٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣ .

بالله سبحانه، حتى قالوا فلان يتصرف في العالم [1] وكل عبارة أخبث من أختها.

اللهم إنا نبرأ إليك من صنيع هؤلاء، ونسألك أن تكتبنا من الناهين عن ضلالاتم، والمنادين لهم، ونستغفرك في التقصير، وقد علمت عجزنا عن السيف والقنا، أن نقضي به عليهم، وعن اللسان أن ننصحهم، أو ننادي به عليهم، إلا في الصحف والكتابة، والحمد لله على كل حال. انتهى.

---

(١) كقولهم عن عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - : " عبد القادر الجيلاني المتصرف في الأكوان " وكوصفهم له بأنه " الغوث الأعظم " وقولهم " إذا وقعت في ضيق فناد مشايخ الطريق " . ولا يَشُكن عاقل في أن مثل هذه الاعتقادات شرك أكبر مخرج من الملة ولو لم تكن هذه شركا فليس على الأرض شرك ، بل لقد فاق هؤلاء أدعياء الإسلام أصحاب الجاهلية الأولى في شركهم وكفرهم لأن أولئك كانوا كما قال الله فيهم : فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ فَلَما نَجاهُمْ إِلَى الْبر إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ [العنكبوت : ٦٥] ، وأما هؤلاء فكما قدمنا وهم يكفرون بقوله تعالى : أَمنْ يُجِيبُ الْمُضْطَر إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ الله قَلِيلًا مَا تَذَكرُونَ [النمل : ٦٢] .

فصل

كيفية التوسل بالصالحين

ومن لواحق البحث الذي قبله التوسل بهم، وأصل الوسيلة [1] ما يتوسل به ويتقرب به إلى الشيء. وحديث ﴿ آت محمدا الوسيلة ﴾ [2] [3] قيل: القرب من الله سبحانه، وقيل: الشفاعة، وقيل: منزلة من منازل الجنة [4].

وفي التوسل خلاف [5] والحق أن ما صح عن النبي ﷺ وجب اتباعه، والعمل به، كحديث الأعمى الذي في السنن، وهو حديث حسن، لا موضوع، فيه ﴿ يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي ﴾ [6] [7]. وحديث رواه أحمد والحاكم وفيه: ﴿ بحق السائلين

(١) أي لغة وانظر " القاموس المحيط " (٤ / ٦٥) و " النهاية في غريب الحديث " (٥ / ١٨٥) .

(٢) البخاري الأذان (٥٨٩) ، الترمذي الصلاة (٢١١) ، النسائي الأذان (٦٨٠) ، أبو داود الصلاة (٥٢٩) ، ابن ماجه الأذان والسنة فيه (٧٢٢) ، أحمد (٣/٣٥٤) .

(٣) رواه البخاري وغيره (٢ / ٩٤ فتح الباري) ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وَعَدْته ، حَلت له شفاعتي يوم القيامة " .

(٤) بل هي في هذا الحديث منزلة في الجنة كما روى مسلم في صحيحه (٣٨٤) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه سمع النبي يقول : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صَلوا عَليّ فإنه من صَلى عَليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد مِنْ عِباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة " .

(٥) التوسل بعضه متفق على استحبابه وبعضه فيه خلاف كما سيأتي قريبا إن شاء الله .

(٦) الترمذي الدعوات (٣٥٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥) ، أحمد (٤/١٣٨) .

(٧) حديث الأعمى رواه أحمد (٤ / ١٣٨) والترمذي (٣٦٤٩) وابن ماجه (١٣٨٥) والحاكم (١ / ٣١٣) من طريق عثمان بن عمر أنا شعبة عن أبي جعفر المدني قال : سمعت عمارة بن غزية يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي فقال : ادع الله أن يعافيني فقال : " إن شئت أخرت ذلك وهو خير لك وإن شئت دعوت " قال : فادعه قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء فيقول : " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم شفعه فيّ [وشفعني فيه : الحاكم] وأخرجه الحاكم أيضا من طريق محمد بن جعفر ثنا شعبة به (١ / ٥١٩) وكما أخرجه الطبراني وذُكر فيه قصة منكرة (٩ / ١٧ - ١٨) . صحة الحديث : قال الترمذي : " حسن صحيح غريب " وقال أبو إسحاق : " هذا حديث صحيح " وقال الحاكم : " صحيح على شرط

عليك ﷺ [(١)] [(٢)] وأمثال ذلك [(٣)] .

الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي . تنبيه : جاء في " التوصل إلى حقيقة التوسل " (ص ١٥٨) عزو زيادة " وشفعني فيه " للترمذي أيضا ولم أره في الطبعة السلفية ولا في طبعة أحمد شاكر (٣٥٧٨) والله أعلم . والحديث تُكُلم فيه لأجل قول الترمذي : " لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي " . فقال بعض أهل العلم إذا هو الرازي وهو " صدوق سيئ الحفظ " وقال الشيخ الألباني في " التوسل أنواعه وأحكامه " (ص ٦٨) : " ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي وهكذا نسبه أحمد في رواية له (٤ / ١٣٨) وسماه في أخرى (أبو جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم ، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني . وقد ورد هكذا في (المعجم الصغير) للطبراني وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضا ، ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن غُزَية ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا ، وهو صدوق . وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه " . انظر التعليق على " المعجم الكبير " (٩ / ١٧ - ١٨) و " التوسل وأحكامه " (ص ٨٢ فما بعدها) حول قصة الرجل مع عثمان ابن عفان التي سبقت الإشارة إليها عند الطبراني .

(١) ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٧٨) ، أحمد (٣/٢١) .

(٢) نص الحديث : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله " من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطَرًا ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك " رواه ابن ماجه (٧٧٨) وأحمد (٣ / ٢١) وابن السني (٨٣) . والحديث ضعيف ، فيه عطية العوفي وهو " مجمع على ضعفه " كما في " ديوان الضعفاء " (ص ٢١٥) للذهبي وقال الحافظ ابن حجر : " صدوق يخطئ كثيرا كان شيعيا مدلسا " " التقريب " (٢ / ٢٤) . وقد ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الرابعة من مراتب المدلسين (تعريف أهل التقديس رقم ١٢٢ بتحقيقي) وقال فيه : " ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح " وانظر " السلسلة الضعيفة " (رقم الحديث ٢٤) . والحديث ضعفه النووي في " الأذكار " (ص ٣٢) وأشار لهذا المصنف في " نزل الأبرار " (ص ٧١) حيث قال : " ففي هذا الباب حديث بلال وحديث أبي سعيد الخدري في كتاب ابن السني وإسنادهما ضعيف صرح بذلك النووي في الأذكار " .

(٣) التوسل نوعان : نوع متفق عليه مُرَغب فيه ونوع مختلف فيه : (التوسل المتفق عليه) : (١) التوسل بأسماء الله وصفاته لقوله تبارك وتعالى : وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف : ١٨٠] . ولقد سمع النبي رجلا يقول في تشهده : " اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم " فقال رسول الله " قد غفر له قد غفر له قد غفر له " رواه النسائي (٣ /٥٢) وغيره عن مِحْجَن بن أذرع الأسلمي وانظر سنن أبي داود (١٤٩٣) وإسناده صحيح كما في " التوسل أنواعه وأحكامه " (ص ٢٩) . وكان من أدعيته " يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث " رواه الحاكم (١ / ٥٠٩) وحسّن إسناده شيخنا في " التوسل " (ص

٣٠) . (٢) توسل المسلم بعمله الصالح إلى ربه تبارك وتعالى . ودليله قوله تعالى : رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [آل عمران : ١٩٣] ، ولما جاء في الصحيحين في قصة أصحاب الغار الثلاثة حيث سأل كل منهم ربه بعمل صالح عمله خالصا لوجهه الكريم فانفرجت عنهم الصخرة التي كانت أطبقت عليهم وخرجوا يمشون . انظر صحيح البخاري (٦ / ٥٠٥ - ٥٠٦ فتح الباري) وصحيح مسلم (٢٧٤٣) لترى القصة بطولها . ولما جاء في حديث " سيد الاستغفار " أن يقول : " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " قال : " ومن قالها من النهار مُوقِنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة " (البخاري ١١ / ٩٧ - ٩٨ فتح الباري) من حديث شداد بن أوس [ورواه مسلم أيضا] . (٣) توسل المسلم بدعاء المسلم الصالح . ودليله طلب الصحابة الدعاء من العباس في عهد الخليفة عمر حين أصابهم القحط تأسيا بسنّة رسول الله حيث كانوا يطلبون الدعاء منه في حياته فيدعو لهم كما في " صحيح البخاري " (٢ / ٤٩٤ و ٧ / ٧٧ فتح الباري) من حديث أنس بن مالك . (وأما التوسل المختلف فيه) : الذي أشار إليه المؤلف فهو ما عدا الأنواع الثلاثة السابقة مثل التوسل بالأنبياء والصالحين بذاتهم أو جاههم ونحو ذلك . ويمكننا القول بأن الأدلة التي في مشروعية هذا النوع تنقسم إلى قسمين : أدلة صحيحة ولكنها غير صريحة في الدلالة على المشروعية ، وأدلة صريحة في المشروعية لكنها لا تصح من حيث إسنادها . فأما الأدلة الصحيحة التي يستدلون بها فأصحُّها حديث أنس بن مالك الذي سبقت الإشارة إليه ونصه كما في " الصحيح " عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقِينَا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيُسْقَوْنَ " . وحتى نعلم كيف توسل عمر بالعباس يجب أن نعرف كيف كان التوسل بالرسول في حياته . وهاكم الحديث كما في " صحيح البخاري " (٢ / ٥٠١ وغيرها فتح) : " عن أنس أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله قائما يخطب فاستقبل رسول الله قائما فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السُبل فادع الله أن يغيثنا قال : فرفع رسول الله يديه فقال : اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا ، قال أنس : والله ما نرى من سحابة ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله ما رأينا الشمس سبْتا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم يخطب فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السُبل فادع الله أن يُمْسِكها قال : فرفع رسول الله يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر قال : فانقطعت وخرجنا نمشي " [وجاه المنبر : مواجهته ، قزعة : سحاب متطرف ، سلع : جبل معروف بالمدينة ، مثل الترس : أي مستديرة ، سبتا : أسبوعا ، الآكام : التراب المتمع ونحو ذلك ، الظراب : الجبل المنبسط ليس بالعالي . (فتح الباري ٢ / ٥٠٧)] . مما تقدم اتضح جليا أن توسل الصحابة برسول الله في حياته إنما كان بدعائه لا بجاهه ولا بذاته وهذا هو الذي حصل مع العباس حيث توسلوا بدعائه ، فلو كان المقصود ذات العباس أو جاهه لما عدلوا عن التوسل بجاه الرسول إلى التوسل بعمه . والدليل الثاني ما تقدم (رقم ٢٣١) وهو حديث الضرير وهو ثابت أيضا ولكنه

....

....

وقال بعضهم: يؤخذ من طلب الوضوء على المريض من رسول الله ﷺ بالتماس البركة فيما لامسه الصالحون، لتقريره ﷺ . وهذا محل توقف لأن ذلك بالقياس، وهو ممنوع،

كسابقه لا يدل على التوسل المختلف فيه وإليك البيان : ١ - أن الرجل الضرير جاء إلى رسول الله طالبا الدعاء فقال : ادع الله أن يعافيني . ٢ - خيره النبي بين أن يدعُو له وبين الصبر على ما هو فيه - وهو خير له - فأصر الرجل على الدعاء فقال : فادعه . ٣ - أمره بالوضوء وإحسانه وبالدعاء . ٤ - جاء في دعائه " اللهم فشفعه فيّ " أي اقبل دعاءه وشفاعته . وبعد ما بيّنّا يتضح تماما أنه لم يكن من الضرير التوسل بجاهه ولا بذاته ولا عَلّمه رسول الله ذلك أبدا ، وإنما علمه الدعاء ودعا له رسول الله كما بّينا ، فلم يبق في الحديث دليل على ما يحتج به بعضهم من التوسل بالجاه والذات ، بل الحديث دليل على التوسل المشروع بدعاء المرء الصالح كما قدمنا . ومن العجب أن يستدل قوم بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥] ، وبقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : ٥٧] . والمراد بالوسيلة في الآية الأولى : التقرب إلى الله بالطاعة والعمل بما يرضيه وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين كما حكاه ابن كثير - رحمه الله - " تفسير ابن كثير " (٣ / ٩٦) . وكذا المراد بالآية الثانية هو القربة إلى الله وانظر " تفسير ابن كثير " (٥ / ٨٦) . وأما الأدلة الصريحة على التوسل المبتدع فلا يصح منها بشيء ولذا لم يذكرها المؤلف فمن ذلك : " توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم " لا أصل له في كتب السنة . وحديث " اقتراف آدم الخطيئة " وغيرها . ولولا الإطالة لنقلت غيرهما وما قيل فيها من كلام أهل هذا الشأن . وخلاصة الأمر : أن التوسل بغير ما تقدم من التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا لله تبارك وتعالى - وبعمل الداعي إلى ربه والتوسل بدعاء المرء الصالح مما لا دليل عليه ، والرسول يقول : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ويقول " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " وكفى حجة على أن التوسل بالذات والجاه مبتدع أن الصحابة في عهد عمر - رضي الله عنهم - أجمعوا على تركه وتوسلوا بدعاء العباس - رضي الله عنهم أجمعين - وكذا توسل معاوية بدعاء يزيد بن الأسود الجُرَشي عندما أصابهم القحط ورفع يزيد يديه ودعا لهم كما رواه الفَسَوي في " المعرفة والتاريخ " (٢ / ٣٨١) ، وعزاه الحافظ له ولأبي زرعة الرازي في تاريخه وصحح إسناده في " الإصابة " (٣ / ٦٧٣) . ومن شاء البسط في أدلة التوسل المشروع والمبتدع فليرجع إلى " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " لشيخ الإسلام ابن تيمية و " الصارم المنكي في الرد على السبكي " لابن عبد الهادي و " التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الألباني و " تحفة القاري في الرد على الغماري " للشيخ حماد الأنصاري . و " التوصل إلى حقيقة التوسل " للشيخ نسيب الرفاعي وكلها مطبوعة . اللهم إنا نتوسل إليك بحبك لنبينا محمد ومحبتنا له واتباعنا له ونسألك أن تفقهنا في ديننا وأن تدينا وسائر المسلمين إلى العودة إلى دينك يا سميع يا مجيب برحمتك يا أرحم الراحمين .

لسد ذرائع العقائد الفاسدة في الخلق، ولا نعلم أحدًا من الصالحين في رتبته حتى يلحق به، كما هو مقتضى القياس مع الفارق. وأما ما لم يصح عن الله ورسوله ﷺ فسد الباب هو اللازم حماية لجناب التوحيد، إذ فتح هذا ذريعة لاتساع عقائد السوء، والخروج عن محض التوحيد المأمور به، قال تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [1] ... [البقرة: ١٦٥].

والمؤمنون عرفوا الله م ها عن الأنداد والأضداد، ومنعمًا ورؤوفًا ورحيمًا بالعباد، ودودًا وكريمًا ولطيفًا وخالقًا ورازقًا، ونحوها من صفات الكمال، فأحبوه كما ينبغي له، ويزداد هذا بزيادة المعرفة.

اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي، وأهلي ومالي، ومن الماء البارد. والذي يظهر أن الحامل لمن ادعى العلم والعقل، على محبة ما لا ينفع ولا يضر، والتوسل به، والاعتقاد فيه، اتباع من يظن به الخير من أهل العلم، ودرجهم إبليس شيئًا فشيئًا، حتى تعودوا ذلك وألفوه، وسوغ لهم ذلك التقليد، وعدم النظر في الكتاب والسنة. ومن نظر بإنصاف فيهما لم يخف عليه الحق الصراح، ولهذا لا تسمع عند الشدائد في مدائن الإسلام الاستغاثة بالله ولا الاستعانة [به] [2] ولا التوسل به ولا دوام ذكره إلا قليلًا [بل] أقل، وإنما يجيز أكثرهم اللج بالمشايخ والأولياء.

اللهم إنا نبرأ إليك من أمثال تلك الضلالات والمحدثات، ونعوذ بك من جميع ما كره الله.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٢) في الأصل (منه) .

فصل

حكم النذر وأنواعه

ومن لواحق ذلك، النذر للأولياء وللقباب والمشاهد والقبور والضرائح. وقد ورد في الصحيح عنه ﷺ النهي عن النذر وقال: ﴿ إنه لا يأتي بخير ﴾ [(١)] [(٢)] فقيل: النذر من حيث هو مكروه [(٣)] وقيل: خلاف الأولى، وفيه إساءة الظن بربه وهذا يؤكد حمل النهي على التحريم، والمراد أنه لا يرد القضاء ولا نفع فيه، ولا صرف ضر، ولا جلب خير.

---

(١) مسلم النذر (١٦٣٩) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠١) .

(٢) رواه مسلم (١١ / ٩٨ بشرح النووي) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - .

(٣) اعلم أن النذر نذران : نذر مستحب ونذر فيه تفصيل : فالنذر المستحب هو نذرُ الابتداء والتبرّر (أي ينذر المسلم فعل طاعة للّه من غير تعليق الفعل بأمر يتم له أو لغيره) وهذا النوع هو المقصود - واللّه أعلم - بقوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] ، وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١١ / ٥٧٩) : وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله تعالى : يوفون بالنذر . . . قال : " كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله أبرارا " وهذا صريح في أن الثناء وقع في غير نذر اللجاجة " انتهى كلامه رحمه الله . وأما النذر الثاني وهو نذر اللجاجة أو المعاوضة (أي ينذر المسلم فعل طاعة ويعلق فعله بحصول ذلك الغرض وتمامه ، كقوله إن شفي مريضي أو جاءني كذا فلله عليّ كذا . . .) فجاء فيه ما ذكر المؤلف من النهي ومن ذلك " نهى النبي عن النذر وقال : إنه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج به من البخيل " رواه البخاري (١١ / ٥٧٦ فتح) . عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - وقوله " إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر وإنما يستخرج بالنذر من البخيل " رواه البخاري (١١ / ٥٧٥ فتح) . وجزم القرطبي في " المفهم " بحمل ما ورد في الأحاديث من النهي على نذر اللجاجة وبيّن أن البخيل لا يخرج من ماله شيئا إلا بعوض يزيد على ما أخرج غالبا ، فكذا الناذر علق نذره على تحقق غرضه ، وقد ينضم إلى هذا اعتقاد جاهل : يظن أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض أو أن الله يفعل معه ذلك الغرض لأجل ذلك النذر ، وإليه الإشارة بقوله في الحديث " فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئا " والحالة الأولى تقارب الكفر والثانية خطأ صريح - بل صرح الحافظ ابن حجر بأنها تقرب من الكفر أيضا - وقال القرطبي : " الذي يظهر لي أنه على التحريم في حق من يخاف عليه ذلك الاعتقاد الفاسد فيكون إقدامه على ذلك محرما والكراهة في حق من لم يعتقد ذلك " . واستحسن هذا التفصيل الحافظ في " الفتح " بعد نقله كلام القرطبي فقال : وراجعه للبسط في المسألة فمنه استفدنا فإنه نفيس . فتح الباري (١١ / ٥٧٨) وانظر " النهاية في غريب الحديث " (٥ / ٣٩) .

كلام هام لأهل العلم فيما ينذر به على القبور

والظاهر من الأدلة الصحيحة الصريحة، تحريم نذور القباب وغيرها، وهذا من العمل الــذي لــيس عليــه أمــره. وفى الصحيحين ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [1] [2] وهو دال على بطلان العقود غير المأمور بها، وعدم ترتب ثمراتها عليها سواء كان عن مَن جهل، أو عرف الحق، وتعمد خلافه، فهذه النذور محرمة باطلة [3] .

وكذلك الأموال التي توقف على الكعبة المشرفة، وعلى المسجد النبوي، ينبغي صرفها

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (١٤٦/٦) .

(٢) رواه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة . والذي رواه البخاري (٤ / ٣٥٥ فتح) معلقا بصيغة الجزم وانظر " هدي الساري " (ص ٤٥ كتاب الصلح) و " فتح الباري " (٥ / ٣٠١ ، ٣٠٢) . وأما حديث : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " فهو في الصحيحين : البخاري (٥ / ٣٠١ فتح) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٣) قال الرافعي في " شرح المنهاج " : " وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو اسم من حَلّها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك - وهو الغالب أو الواقع من قصد العامة - تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد ، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يُدفع بها البلاء ويُستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم : إنه استند إليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ومن ذلك : نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغمرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب في بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا " . وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح " درر البحار " عن النذر الذي ينذره أكثر العوام لغير الله : " إنه باطل بالإجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق : والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق . ومنها ، أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليها فحرام بإجماع المسلمين " ، نقله ابن نجيم في " البحر الرائق " . انظر " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " (ص ١٢١ - ١٢٢) ومنه نقلنا ما تقدم .

في مصالح الإسلام وأهله، ولا تترك سدى، ولقد ﴿ لعن رسول الله ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ﴾ [1] [2] يصلى فيها، فكيف من اعتقد واتخذ القبر وثنا يضر وينفع ؟ وعنه ﷺ ﴿ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [3] [4] و ﴿ إن مَن كان قبلكم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ﴾ [5] [6] رواه أحمـد وابن حبـان. وعن علـي ﴿ أمرني رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته ﴾ [7] [8] . وقد علم بالأدلة الصحيحة المحكمة أن بناء المشاهد والقباب لا يـجوز [9] وأن النذور لها محرمة.

---

(١) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢/ ٢٨٥) .

(٢) متفق عليه : البخاري (٣ / ٢٠٠ فتح) ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة .

(٣) مالك النداء للصلاة (٤١٦) .

(٤) رواه مالك في الموطأ مرسلا (١ / ١٥٨) وقد صح موصولا عن أبي هريرة ، كما حققه الأستاذ الشيخ الألباني في " تحذير الساجد " (٤ ، ١٥) فراجعه .

(٥) البخاري الصلاة (٤١٧) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨) ، النسائي المساجد (٧٠٤) ، أحمد (٦/٥١) .

(٦) روى نحوه البخاري (١ / ٥٣١ فتح) ، ومسلم (٥٢٨) .

(٧) مسلم الجنائز (٩٦٩) ، الترمذي الجنائز (١٠٤٩) ، النسائي الجنائز (٢٠٣١) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٨) ، أحمد (٩٦/١) .

(٨) رواه مسلم (٩٦٩) عن أبي الهيّاج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله " أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته " .

(٩) خلافا لما اشتهر وانتشر من بنائها على القبور في كثير من ديار المسلمين مع كثرة الأحاديث الواردة في النهي عن ذلك وتحذير النبي أمته قبل وفاته ، ومع هذا كله كتب الشيخ أبو الفيض أحمد الصديق الغماري كتابا سماه " إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور " وانظر الرد عليه وعلى أفكاره الضالة المضللة في كتاب " تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد " للشيخ الألباني ، والله المستعان .

فصل

الرؤيا من الله وحي ما لم تكن ضغثا

والرؤيا من الله تعالى وحي حق، إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثًا [(١)] فقصها على عالم، وصدق فيها، وأولها على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف.

والرؤيا تأويلها حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيًا [(٢)] فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا، ويزعم أنا ليست بشيء، وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده ﴾ [(٣)].

(١) أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها . القاموس المحيط (١ / ١٧٥) . قال الله تعالى : قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ [يوسف : ٤٤] .

(٢) قال تعالى : وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى : ٥١] . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " كانت رؤيا الأنبياء وحيًا " رواه ابن جرير (٢ / ٩٠) وابن أبي عاصم في " السّنة " (٤٦٣) وإسناده حسن كما في " ظلال الجنة " . وقال عُبَيْد بن عُمير : " رؤيا الأنبياء وحي " ثم قرأ . . إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ . . . [الصافات : ١٠٢] . رواه البخاري (١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ فتح) . وعُبَيْد بن عُمَير : ولد في عهد الرسول كما قال مسلم ، وعده غيره من كبار التابعين وهو قاص أهل مكة مجمع على ثقته ، انظر " التهذيب " و " التقريب " . ولقد جاء أثر ابن عباس مرفوعا عند " ابن أبي حاتم " وقال في " ظلال الجنة " : " ورجاله ثقات غير أبي عبد الملك الكرندي فلم أعرفه ولا عرفت نسبته " .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في " السّنة " (٤٨٦) عن عبادة بن الصامت وإسناده ضعيف كما قال شيخنا وأعله بحمزة بن الزبير وجنيد بن ميمون أبي عبد الله ، ورواه الطبراني كما في " المجمع " (٧ / ١٧٤) عن عبادة ، وقال : " فيه من لم أعرفه " . والحديث رواه الحكيم الترمذي في " نوادر الأصول " (ص ١١٢) في الأصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واه وفي سنده جُنيد كما قال الحافظ في " الفتح " (١٢ / ٣٥٤) . وروى ابن أبي عاصم في " السّنة " أيضا (٤٨٧) عن صفوان بن عمرو عن حميد بن عبد الرحمن أن رجلا سأل عبادة عن قوله تعالى : لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . [يونس : ٦٤] ، فقال عبادة : سألت عنها رسول الله فقال : " هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو يُرى له وهو من كلام يكلم به ربك عبده في المنام " . وقال شيخنا الألباني في " ظلال الجنة " : " إسناده صحيح إن كان ما في الأصل "

.... وقال: ﷺ إن الرؤيا من الله ﷻ [1] [2] [3] .

وفي الباب أحاديث، ذكرها في المشكاة [4] وغيره.

حميد بن عبد الرحمن " محفوظا وهو حميد بن عبد الرحمن بن عوف ثقة من رجال الشيخين لكني في شك من ذلك لأمور : ١ - أن ابن عبد الرحمن هذا لم يذكروه في شيوخ صفوان بن عمرو . ٢ - أن السيوطي أورده في " الدر المنثور " (٣ / ٣١٣) من رواية الحكيم الترمذي وابن مردويه عن حميد بن عبد الله . ٣ - أن حميد بن عبد الله المدني لما ترجمه ابن أبي حاتم (١ / ٢ / ٢٢٤) ذكر في الرواة عنه صفوان بن عمرو ولم يذكر في الرواة عن حميد بن عبد الرحمن ، صفوان بن عمرو . ٤ - أن ابن جرير الطبري أخرجه (١١ / ٩٤) من طريق عمر بن عمرو بن عبد الأحموسي عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت . . . الحديث ، دون قوله : " هو من كلام . . . " . ثم أخرجه (ص ٩٦) من طريق أبي المغيرة قال : ثنا صفوان قال ثنا حميد بن عبد الله أن رجلا سأل عبادة بن الصامت . . . الحديث دون الزيادة . قلت : فهذا يؤكد أن الراوي لهذا الحديث إنما هو " حميد بن عبد الله " وأن " حميد بن عبد الرحمن " خطأ من ناسخ الكتاب . ثم ذكر شيخنا أن حميد بن عبد الله المزني مجهول الحال روى عنه ثقتان وذكره ابن حبان في الثقات ، فهو مستور الحال من التابعين والنفس تطمئن للاحتجاج بأمثاله من مستوري التابعين وعلى ذلك كثير من المحققين ، لكن في النفس شيء من ثبوت الزيادة المذكورة لعدم ورودها في طريق الأحموسي ولا في طرق أخرى للحديث عن عبادة بن الصامت ، وقد أخرجها ابن جرير وغيره وكذلك لم ترد في حديث غيره من الصحابة . ثم خرجه الشيخ في " السلسلة الصحيحة " برقم (١٧٨٦) .

(١) مسلم الرؤيا (٢٢٦١) .

(٢) رواه مسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة مرفوعا بلفظ : " الرؤيا من الله والحُلْم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه فَلْيَنفُث عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره " ورواه البخاري (١٢ / ٣٦٩ فتح) عن أبي قتادة بلفظ " الرؤيا الصادقة من الله والحُلْم من الشيطان " ورواه البخاري أيضا (١٢ / ٣١٩ فتح) وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي يقول : " إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكرهه فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره " . وانظر " الفتح " (١٢ / ٣٧٠ - ٣٧٢) لشرح الحديث .

(٣) من بداية الفصل إلى هنا تماما كما في " السّنّة " لأحمد بن حنبل (ص ٧٧) .

(٤) المشكاة (ج ٢ حديث ٤٦٠٦ - ٤٦٢٧) . وانظر " صحيح الجامع الصغير " (٣٥٢٠ - ٣٥٣٠) .

فصل

الإجماع على الإسراء والمعراج

وأجمع القائلون بالأخبار، والمؤمنون بالآثار، أن رسول الله ﷺ أسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بنص القرآن، ثم عرج به إلى السماء واحدة بعد واحدة حتى إلى فوق السماوات السبع، وإلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من السماء إلى مكة قبل الصبح.

وفيه أيضا دليل على علو الرب تعالى، وكونه فوق العرش، مستويا عليه، كما قال سبحانه في مواضع من كتابه ومنها قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] [2] .

فمن قال إن الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى فقد غلط [3] ومن قال إنه منام وأنه لم يسر بعبده فقد كفر.

وقد روى قصة الإسراء عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كثيرة [4] وكل ذلك أخبار صحيحة، وآثار صريحة مقبولة، مرضية عند أهل النقل.

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

(٢) سورة طه : ٥ وانظر الأعراف : ٥٤ ويونس : ٣ والرعد : ٢ والفرقان : ٥٩ والسجدة : ٤ والحديد : ٤ .

(٣) قال ابن القيم : " يا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مرارا ! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ثم يتردد بين ربه حتى تصير خمسا فيقول : " أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي " ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها إلى خمس ؟ ! . . . " زاد المعاد (٥ / ٤٢) .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في " تفسيره " (٥ / ٤٢) : " قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه " التنوير في مولد السراج المنير " وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس ، وأُبيّ بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حيّة وأبي ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف : ٨] .

واختلف [1] أهل العلم هل رأى ﷺ ربه ﷻ أم لا ؟ فذهب إلى كل وجهة ذاهب من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأهل الحديث والفقه والتاريخ. والراجح الرؤية، وبه قال الإمام أحمد [2] وروي مأثورًا والحديث الذي جاء فيها على ظاهره [3] وعن أنس أن النبي ﷺ قال: ﴿ فرجعت إلى ربي وهو في مكانه ﴾ [4] . والحديث بطوله مخرج في

(١) انظر لبيان هذا الاختلاف : شرح عقيدة الطحاوية (ص ٢٤٨) و " زاد المعاد " (٥ / ٣٧) و " فتح الباري " (٨ / ٦٠٧ - ٦٠٩) و " السّنة " للالكائي (٣ / ٥١٢) و " لوامع الأنوار " (٢ / ٢٥٠) وغيرها . وقال شارح الطحاوية (ص ٢٤٨ - ٢٤٩) : " . . . الصحيح أنه رآه بقلبه ولم يره بعين رأسه ، وقوله : مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى [النجم : ١١] ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى [النجم : ١٣] ، صح عن النبي أن هذا المرئي جبرائيل رآه مرتين على صورته التي خُلِق عليها ، وأما قوله تعالى في سورة النجم : ثُم دَنَا فَتَدَلى فهو غير الدنّو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء ، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه كما قالت عائشة وابن مسعود - رضي الله عنهما - فإنه قال : عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُم دَنَا فَتَدَلى [النجم : ٥ - ٨] ، فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القُوى .

(٢) ذكر ابن القيم - رحمه الله - في " زاد المعاد " (٥ / ٣٧) قوله " رأيت ربي تبارك وتعالى " - رواه أحمد (١ / ٣٦٨ و ٢٨٥) وابن أبي عاصم (٤٣٣) وغيرهما وهو حديث صحيح كما في " ظلال الجنة " ولكنه قال : مختصر من حديث الرؤيا - : " إن هذا لم يكن في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤيته تلك الليلة في منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد وقال : نعم رآه حقا فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد ولم يقل أحمد - رحمه الله - أنه رآه بعيني رأسه يقظة . ومن حكي ذلك عنه فقد وهم عليه ولكن قال مرة رآه ومرة قال رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان . وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك " انتهى . قلت : والرواية التي أشار لها المؤلف عن أحمد رواها الخلال في كتاب " السّنة " كما في " فتح الباري " (٨ / ٦٠٨ - ٦٠٩) عن المروزي " قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، فبأي شيء يدفع قولها ؟ قال : بقول النبي رأيت ربي ، قول النبي أكبر من قولها " .

(٣) انظر التعليق السابق .

(٤) الحديث الذي أشار إليه المؤلف - رحمه الله - في البخاري (١٣ / ٤٧٨ فتح الباري) من طريق شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك في حديث طويل في قصة الإسراء فيه : " . . . فدنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . فعلا به الجبار فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا . . . " . فائدة : ولقد ذكر الخطابي في نقده لحديث شريك : " في هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضا لم يذكرها غيره وهي قوله . " فعلا به - يعني جبريل - إلى الجبار تعالى وهو في مكانه فقال : يا رب خفف عنا " " لكن قال الحافظ ابن حجر عقبه : " ليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى " فتح الباري (١٣ / ٤٨٤) . وقد وقع في شرح الطحاوية (ص ٢٤٨) في سياق حديث الإسراء : " فعلا به جبرائيل حتى أتى به إلى الجبار تبارك

الصحيحين، والمنكر لهذه اللفظة، بعد ورود الحديث راد على الله ورسوله وفي خطر عظيم.

وتعالى وهو في مكانه " وعزاه للبخاري . وما ذكرته وسقته هو نص البخاري وهو يؤيد ما قاله ابن حجر . تحقيق حديث شريك : حديث شريك بن عبد الله بن أبي نمر ذكره مسلم (٢٦٣) من طريقه قال : " سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدّم فيه وأخّر وزاد ونقص " انتهى كلام الإمام مسلم . قلت : ومنه تعلم أن قول المؤلف عن الحديث إنه مخرج في الصحيحين - يعني بتلك اللفظة - فيه ما فيه . قلت : خلاصة الأمر في " شريك " أنه " صدوق يخطئ " كما وصفه الحافظ في " التقريب " وقال في " مقدمة الفتح " (ص ٤١٠) بعد ذكر أقوال الأئمة فيه : " احتج به الجماعة إلا أن في روايته عن أنس لحديث الإسراء مواضع شاذة " وقال أيضا في " المقدمة " ص (٣٨٣) عن حديث شريك : " خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده ومتنه " . قلت : شريك لم يترك ولذا قال في " الفتح " (١٣ / ٤٨٤) : " إن وهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة المسلمين " وانظر " تذيب التهذيب " للبسط في ترجمة شريك . نعود إلى الحديث ، فالحديث قد انتصر له جماعة منهم أبو الفضل بن طاهر فصنف فيه جزءا كما في " مقدمة الفتح " (ص ٣٨٣) . وتكلم فيه جمع من الحفاظ لتفرد شريك ، ولمخالفته غيره ، ولاضطرابه ، ومن هؤلاء الحفاظ : ١- مسلم بن الحجاج كما سبق ، انظر " صحيحه " (٢٦٣) . ٢- الخطابي ، كما في " فتح الباري " (١٣ / ٤٨٣ - ٤٨٤) . ٣ - ابن حزم كما في " الفتح " (١٣ /٤٨٤) . ٤- البيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٤٤٠ - ٤٤١) . ٥ - القاضي عياض كما فـي " هدي الساري " (ص ٣٨٣) . ٦ - عبد الحق الأشبيلي كما فـي " فتح الباري " (١٣ / ٤٨٤) . ٧ - النووي كما في " الفتح " (١٣ / ٤٢) . ٨ - ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٣ / ٤٢) ٩ - ابن كثير في " تفسيره " (٥ / ٥ - ٦) . ١٠ - الحافظ ابن حجر في " مقدمة الفتح " (ص ٤١٠) ، وقد عدّ لشريك اثني عشر وهما في حديثه انظرها في " الفتح " (١٣ / ٤٨٥ - ٤٨٦) . قلت : بعد ما تقدم أن شريكا انفرد بألفاظ في حديث الإسراء دون غيره ، ومن ذلك اللفظ الذي ذكره المؤلف فلذا لا يثبت منه الرؤية لله رب العالمين ليلة الإسراء لكون الحديث شاذا كما يعلم عند أهل الصناعة ولا ضير على من أنكر ما لم يثبت . وأما إن صح الخبر وثبت فالواجب التسليم ، ومن لم يسلم فهو على خطر عظيم كما قال المؤلف . والله تعالى أعلم .

فصل

وجوب الإيمان بما أخبر الرسول ﷺ

ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا مناما [(١)] .

ومن ذلك: أشراط الساعة، وإن الدجال الأعور خارج في هذه الأمة لا محالة، كما أخبر به النبي ﷺ لا شك في ذلك، ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين [(٢)] .

وأن عيسى ابن مريم [عليهما [(٣)]] السلام، نازل يـ ل على المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فيأتيه - أي الدجال - وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق، فيهرب منه، ويقتله عند باب لُد الشرقي - ولُد أرض [بفسلطين بالقرب] [(٤)] من الرملة نحو ميلين - [(٥)] .

---

(١) أي لا يعول على الرؤية في المنام إثبات عقيدة أو حكم شرعي .

(٢) اعلم أن أحاديث ذكر الدّجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة كما قرر ذلك علماء هذا الشأن . وانظر أحاديث الدجال في الصحيحين وغيرهما : البخاري (١٣ / ٨٩ - ١٠٥) ومسلم (٢٩٣٣ - ٢٩٤٠) .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) في الأصل فلسطين بالقرية .

(٥) انظر ا ول عيسى عليه السلام : صحيح مسلم (٢٩٠١ و ٢٩٤٠) وراجع رسالة " التصريح فيما تواتر في نزول المسيح " للكنوي - رحمه الله - . وروى البخاري في صحيحه (٦ / ٤٩٠ - ٤٩١ فتح الباري) ومسلم في صحيحه (١٥٥) واللفظ لمسلم عن أبي هريرة يقول : قال رسول الله " والذي نفسي بيده ليوشكن أن يـ ل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخ ير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " . ولقد ذهب بعض متعصبي " الحنفية " كالحصكفي في مقدمة كتابه " الدر المختار " إلى أن عيسى يحكم بالمذهب الحنفي . ولهذا قال شيخنا في تعليقه على الحديث في " مختصر صحيح مسلم " للمنذري (ص ٥٤٨) : هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ويقضي بالكتاب والسّنة لا بغيرهما من الإنجيل أو الفقه الحنفي ونحوه ! . فثار بعض الحاقدين المتعصبين فقالوا : كيف يساوي بين المذهب الحنفي والإنجيل ؟ والحقيقة أن الشيخ قاله ردا على غلاة المذهبية كما ذكرناه . وأن العطف لا يقتضي المساواة في كل جانب أيضا لما في الحديث " يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب " رواه مسلم (٥١١) - والبخاري ، والكلب المقصود هو الأسود كما في " صحيح مسلم " (٥١٠) - فهل يقال إن الرسول ساوى بين المرأة والكلب ؟ والجواب : لا وألف لا وإنما الأمر يتعلق بقطع الصلاة ، والله المستعان .

ويظهر المهدي المنتظر [1] .

ويخرج يأجوج ومأجوج [2] .

وتطلع الشمس من مغربا [3] .

وتخرج الدابة [4] والنار [5] .

وأشباه ذلك كما صح به النقل.

وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ومن أنكر قيام الساعة والحشر فقد كفر باللّه العظيم وخرج عن ملة الإسلام.

---

(١) أحاديث المهدي صححها جمع من الحفاظ كالترمذي والحاكم وابن حبان والعقيلي والقرطبي والطيبي وابن حجر وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم . انظر : " الرد على من كذب أحاديث المهدي " لشيخنا العلامة المحقق عبد المحسن العباد - حفظه الله - و " الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر " لفضيلة الشيخ حمود التويجري حفظه الله و " السلسلة الصحيحة " (ج ٤ ص ٤١) لشيخنا محدث العصر الألباني يرحمه الله .

(٢) انظر " صحيح البخاري " (١٣ / ١٠٦ و٦ / ٣٨١ فتح الباري) ومسلم (٢٩٣٧) .

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطّلع النبي علينا ونحن نتذاكر فقال : " ما تذاكرون " ؟ قالوا : نذكر الساعة قال : " إنا لن تقوم حتى ترؤا قبلها عشر آيات " فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربا ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : " خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى مَحْشرهم " .

(٤) قال تعالى : وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أن الناسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ [النمل : ٨٢] وقال تعالى : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبكَ . . . [الأنعام : ١٥٨] . وانظر التعليق رقم (٣) بالصفحة السابقة .

(٥) روى البخاري (١٣ / ٧٨ فتح الباري) عن أبي هريرة أن رسول الله قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى " وانظر البخاري (ص ٧٩ - ٨٠) أيضا لما ذكر من تواتر خروج هذه النار وكيف الجمع بين هذا والحديث السابق ذكره في التعليق . وانظر مباحث الفتن وأشراط الساعة في " لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية " (٢ / ٦٦ - ١٥٧) . [والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير] .

فصل

الإيمان بالموت وملك الموت

ونؤمن بأن الموت حق، وأن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى، فصكه حتى فقأ عينه، كما جاء عن رسول الله ﷺ في " الصحيح " [١] . لا ينكره إلا ضال أو مبتدع راد على الله ورسوله [٢] .

عذاب القبر

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر، وعذاب الآخرة ونعيمها، وقد استعاذ النبي ﷺ من عذاب القبر، وأمر به في كل صلاة [٣] . وفتنة الأجداث وضغطتها [٤] .

وسؤال منكر ونكير حق والناس يفتنون في قبورهم فيقال: من ربك ؟ وما دينك ومن نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس

---

(١) متفق عليه : البخاري (٦ / ٤٤١) ومسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة مرفوعا [صك : ضربه شديدا ، فقأ : قلع] القاموس المحيط .

(٢) قال ابن خزيمة - كما في فتح الباري (٦ / ٤٤٢) - رادا على بعض المبتدعة الذين أنكروا هذا الحديث : " لم يبعث الله ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه الله اختيارا وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فَقْءَ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة الآدميين فلم يعرفاهم ابتداءً ، ولو عرفهم إبراهيم لما قدّم لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه " . وذكر النووي في (شرح صحيح مسلم ١٥ / ١٢٨) من إجابة العلماء أنه " لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم " وقال بعض أهل العلم : " إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبيّ حتى يُخير " والله أعلم .

(٣) روى مسلم في صحيحه (٥٨٨) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله " إذا تشهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال " وانظر " صحيح مسلم " (٥٨٩) لترى الاستعاذة الفعلية في الصلاة .

(٤) الأجداث : القبور . وفي الحديث " إن للقبر ضغطة فلو نجا أو سلم أحد منها لنجا سعد بن معاذ " رواه أحمد (٦ / ٥٥ و ٩٨) وانظر تخريجه في " السلسلة الصحيحة " (١٦٩٥) وراجع " لوامع الأنوار " (١ / ١٤) .

يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة (١) من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى (٢) فتعاد الأرواح إلى الأجساد (٣) . وتقوم القيامة التي أخبر با في كتابه على لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة عراة غرلا (٤) تدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق (٥) (٦) .

(١) المِرْزَبة : عُصَية من حديد ، القاموس (١ / ٧٥) مادة (ر ز ب) .

(٢) انظر " أحكام الجنائز " (ص ١٥٦) لترى التوسع في تخريجه ، وذكر الحديث بطوله عن البراء بن عازب مرفوعا .

(٣) للروح خمسة أنواع من التعلق بالإنسان - وهي متغايرة الأحكام - : الأول : تعلقها به في البطن جنينا . الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض . الثالث : تعلقها به في حالة النوم ، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه آخر . الرابع : تعلقها به في البرزخ ، وإن فارقته وتجردت عنه فإنا لم تفارقه كليا بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة . الخامس : تعلقها به بعد بعث الأجساد وهو أكمل تعلق لها بالبدن لا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوماً ولا فسادا فالنوم أخو الموت . فتأمل هذا يُزح عنك إشكالات كثيرة . انتهى ملخصا من " الروح " لابن القيم (ص ٤٣) والطحاوية (ص ٤٥١) . قلت : لم يتأمل هذه الأنواع الدكتور مسعود عثماني فضل وأضلّ وكفر جماهير المسلمين من السابقين والمعاصرين لإيمانم بأن الروح تعود إلى جسد الميت إعادة تختلف عن الحياة الدنيا . والله المستعان على هذه الانحرافات . وقد رددت عليه بمقال نشر في رسالة باللغة الأردية بعنوان : " إثبات إعادة الروح إلى جسد الميت عند سؤال الملكين والرد على الدكتور عثماني في نفيه ذلك " .

(٤) غْرلا : جمع أغرل وهو الأقلف وزنه ومعناه وهو من بقت غُرْلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر كما في " الفتح " (١١ / ٣٩٤) .

(٥) انظر لأحوال الناس يوم القيامة ، وما ذكره المؤلف صحيح البخاري (١ / ٣٧٧ فتح الباري) ومسلم (٢٨٦٠ - ٢٨٦٤) .

(٦) قارن هذا الفصل " بالعقيدة الواسطية " (ص ١٣) .

فصل

الميزان له لسان وكفتان

وتنصب الموازين، فيوزن فيها أعمال العباد من الحسنات والسيئات، كما يشاء الله أن يوزن ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ ﴾ [1] [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

والميزان [2] له كفتان ولسان [3] .

وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، ومن وراء ظهره، ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما ورد في الكتاب والسنة. وأما الكفار، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حساب لهم، ولكن تعد أعمالهم، فتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخبرون بها.

أصناف ما تضمنته الدار الأولى والآخرة

وأصناف ما تتضمنه الدار الأولى والآخرة، من أشراط القيامة، والحساب، والكتاب، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار، حق.

وكذلك الصور حق ينفخ فيه إسرافيل، فيموت الخلق، ثم ينفخ الأخرى، فيقومون من

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) قال تعالى : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء : ٤٧] . وروى الشيخان : البخاري (١٣ / ٥٣٧ فتح الباري) ومسلم (٢٦١٤) عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " . وقال أبو إسحاق الزجاج : " أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفّتان ويميل بالأعمال . وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسّنة لأن الله تعالى أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم مثلة فيكونوا على أنفسهم شاهدين ، والحق عند أهل السّنة . . . " فتح الباري (١٣ / ٥٣٨) . وانظر " شرح الطحاوية " (ص ٤٧٢) و " لوامع الأنوار البهية " (٢ / ١٨٤) لترى بسط الأدلة عن أن الميزان حقيقة .

(٣) لسان الميزان : عذبته ، القاموس (٤ / ٢٦٨) .

الأجداث إلى الحساب، وفصل القضاء.

واللوح المحفوظ تستنسخ منه أعمال العباد، لما سبق فيه من المقادير والقضاء. والقلم حق [1] كتب الله به كل شيء وأحصاه في الذكر. وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتاب العزيز المنـزل من السماء والسنة المطهرة والمأثور عن سيد الأنبياء. وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ والحديث المأثور عنه ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده.

والموت يؤتى به يـوم القيامة، فيذبح كما روى أبو سعيد عن النبـي ﷺ أنه قال: « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة، فيشرئبون، وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت كلهم قد رآه فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2] » [مريم: ٣٩] [3] .

(١) انظر التعليق رقم (٥) بحاشية ص ٦٣ .

(٢) سورة مريم آية : ٣٩ .

(٣) متفق عليه : البخاري (٨ / ٤٢٨) ومسلم (٢٨٤٩) . فيشرئبون : أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه وكلّ رافع رأسه مُشرئبّ ، النهاية (٢ / ٤٥٥) .

فصل

الحوض المورود وصفته

وفي عرصة القيامة الحوض [(١)] المورود للنبي ﷺ ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

الصراط وحال الناس يومئذ

والصراط [(٢)] منصوب على متن جهنم، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو، ومنهم من يمشي شيئًا، ومنهم من يزحف ويخطف، ويلقى في جهنم.

والجسر عليه كلاليب، تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر عن الصراط دخل الجنة، وإذا عبروا وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ وأول من يدخل الجنة أمته ﷺ [(٣)] والجنة والنار مخلوقتان اليوم، باقيتان [(٤)] ولا يفنى أهلهما، لقوله تعالى في حق الفريقين:... ﴿ خَـٰلِدِينَ

---

(١) انظر لـ " الحوض وصفته " صحيح البخاري (١١ / ٤٦٣ فتح الباري) " وشرح الطحاوية " (ص ٢٥٠ - ٢٥٢) و " لوامع الأنوار " (٢ / ١٩٤) فما بعدها .

(٢) انظر : " صحيح البخاري " (١١ / ٤٤٤ فتح الباري) و " شرح الطحاوية " (ص ٤٦٩) . و " لوامع الأنوار " (٢ / ١٨٩) فما بعدها .

(٣) مـن بداية هذا الفصل إلى هذه العلامة في " العقيدة الواسطية " (ص ١٤) بنصه . وانظر " لوامع الأنوار البهية " (٢ / ٢٧١ - ٢٧٦) بشأن فضل أمته .

(٤) انظر " شرح الطحاوية " (ص ٤٧٦ - ٤٨٨) و " كشف الأستار في الرد على القائلين بفناء النار " للصنعاني بتحقيق الشيخ الألباني .

فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾ (١) [النساء: ٥٧ والجن: ٢٣]، والأصح (٢) أن الجنة في السماء، وجهنم في الأرض، ولم يصرح بتعيين مكانهما، بل حيث شاء الله تعالى.

والجنة دار أوليائه، والنار عقابه لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٣) [الزخرف: ٧٥]، وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله ﷻ قبل القيامة، وخلق لكل منهما خلقًا، ولا يفنيان أبدا.

فإن احتج مبتدع أو زنديق، بقول الله ﷻ .. ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾ (٤) ... [القصص: ٨٨]، أو نحو هذا من متشابه القرآن قيل له: "كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا تمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا، لأن الله تعالى خلقهن للبقاء، لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، ضل عن سواء السبيل (٥) .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٧ .

(٢) الذي حققه ابن القيم في " حادي الأرواح " (ص ٦٦) أن الجنة في السماء والنار في أسفل سافلين واستدل بقوله تعالى : وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى [النجم : ١٣- ١٥] . وقال : وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها وكما استدل بقوله " الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض " وهذا يدل على أنها في غاية العلو . وانظر حادي الأرواح لتمام أدلته والآثار التي استدل بها عن السلف .

(٣) سورة الزخرف آية : ٧٥ .

(٤) سورة القصص آية : ٨٨ .

(٥) من قوله : " فإن احتج مبتدع " إلى هذا الموضع بنصه في " السنة " لأحمد (ص ٧٤) .

فصل

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

ونؤمن بأن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى يوم القيامة، عيانا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوًا، ليس دونا سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون [1] في رؤيته، يرونه سبحانه، وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله سبحانه فيكرمهم، ويتجلى لهم من فوقهم [2] ولا يراه الكافرون قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [3] [المطففين: 15]، وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [4] [القيامة: 22-23]، وقال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [5] [المطففين: 35]، وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [6] ... [يونس: 26]، وقال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [7] [ق: 35].

وهذا الباب في كتاب الله كثير. من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه تبين له طريق الحق.

---

(1) وفيها وجهان بالتخفيف وبالتشديد وهي ثابتة في الحديث والمعنى بالتخفيف أي لا يلحقكم ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال فإنه قد يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يُرى ، وهو سبحانه يتجلّى تجليًا ظاهرًا فيرونه كما تُرى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته وهذه الرواية المشهورة . وقيل : " لا تضامون " بالتشديد : أي لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال " . انتهى من مجموع فتاوى شيخ الإسلام (16 / 85- 86) .

(2) انظر أحاديث الرؤية في " صحيح البخاري " (13 / 419- 424) وصحيح مسلم (183) وهي متواترة وراجع " شرح العقيدة الطحاوية " (ص 203 فما بعدها) و " لوامع الأنوار " (2 / 240 فما بعدها) .

(3) سورة المطففين آية : 15 .

(4) سورة القيامة آية : 22- 23 .

(5) سورة المطففين آية : 35 .

(6) سورة يونس آية : 26 .

(7) سورة ق آية : 35 .

وأن موسى عليه السلام سأل الله الرؤية في الدنيا وأنه تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة.

وما ذكر أهل الكلام في مسألة الرؤية من نفي جهة ومقابلة، واتصال شعاع، وقرب وبعد، وما يتصل بذا، فليس في ذلك كله نص من الشارع، ولم يتفوه به أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما أحدثه المتكلمـون المتخبطون في براهين الفلاسفة، فمن طواه على غرة [١] فقد أحسن واتبع، ومن خاض فيه بعقله الناقص، فقد أبعد وابتدع.

قال الشيخ ولي الله الدهلوي [٢] "وهو مرئي للمؤمنين في يوم القيامة لوجهين: **أحدهما:** أن ينكشف عليهم انكشافًا تامًا بليغًا، أكثر من التصديق به عقلًا، فكأنه الرؤية بالبصر، إلا أنه من غير موازنة ومقابلة وجهة ولون وشكل، وهذا الوجه قال به المعتزلة، وهو حق. وإنما خطؤهم في تأويلهم الرؤية بذا المعنى أو حصرهم الرؤية في هذا المعنى.

وثانيهما: أن يتمثل لهم بصور كثيرة، كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: ﴿ رأيت ربي في أحسن صورة ﴾ [٣] [٤] فيرون هنالك ما يرون في الدنيا مناما.

وهذان الوجهان نفهمهما ونعتقدهما، وإن كان الله ورسوله [أراد] [٥] بالرؤية غيرها فنحن آمنا بمراد الله تعالى ورسوله ﷺ وإن لم نعلمه بعينه " [٦] انتهى.

---

(١) أي على حاله- أي لم يتتبعه ولم يخض فيه- (المعجم الوسيط ص ٦٤٨) .

(٢) واسمه أحمد بن عبد الرحيم ويعرف بـ " شاه ولي الله الدهلوي " فقيه حنفي محدث مات (سنة ١١٧٦هـ) . انظر " أبجد العلوم " (٣ / ٢٤٣) .

(٣) أحمد (٦٦/٤) ، الدارمي الرؤيا (٢١٤٩) .

(٤) روى اللالكائي في " شرح الاعتقاد " (٩١٩) بسنده عن أبي هريرة مرفوعا الحديث وفيه ذكر الرؤية بالمنام . قلت : وفي إسناده : عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك كما في " التقريب " . وانظر التعليق الماضي (رقم ٢٥٤) والحديث ثابت عن النبي من حديث معاذ بن جبل وغيره رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو حديث اختصام الملأ الأعلى انظر شرحه لابن رجب .

(٥) في الأصل " أراد " بالإفراد .

(٦) قلت : عفا الله عن المؤلف حيث قرر عقيدة أهل السّنة والجماعة في الرؤية ثم عقب ذلك بنقله كلام الدهلوي الذي يخالف عقيدة السلف في هذه المسألة وبيان ذلك : أولًا : " إن أهل السّنة والجماعة يثبتون الرؤية يوم

فصل

الملائكة وأعمالهم

ولله تعالى ملائكة، موكلون بكتابة الأعمال، وحفظ العباد عن المهالك والمهاوي، والدعوة إلى الخيرات والحسنات، ويلمون للعبد بالخير والرشد، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا يتجاوز عنه، و... ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (١) [التحريم: ٦] (٢) .

ومن خلق الله سبحانه الشياطين، لهم لمة (٣) شر لابن آدم، وتصرف فيهم، وتجري من ابن آدم مجرى الدم (٤) .

القيامة كما قال المؤلف والمخالف لهم فيها الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية . وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها للّه بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي وفيه دليل على علو الله على خلقه وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ؟ ومن قال : " يرى لا في جهة " فليراجع عقله! فإما أن يكون مكابرا لعقله وفي عقله شيء وإلا فإذا قال : لا يرى أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة " انظر الطحاوية (ص ٢٠٤- ٢١٢) . ثانيًا : لا يقال إن الرؤية يوم القيامة كما يقع في النوم لأن النصوص ظاهرة في أنم يرون ربمعيانا كما يرون الشمس ليس دونا سحاب كما ثبت في السّنة وهذه الرؤية في غاية الوضوح . ثالثًا : نعتقد بما أخبر الله عن نفسه وبما أخبر عنه رسوله من أسماء وصفات لله رب العالمين ونؤمن بما جاءت به النصوص ولا نقول إن أراد الله ورسوله غير هذا فنسلم له لأن الله تعبدنا بما أنزل على رسوله وهذا ليس فيه احتمال آخر والله أعلم . رابعًا : الحق إثبات الرؤية للمؤمنين يوم القيامة كما تواترت به الأدلة ، وهذا هو الواجب اعتقاده وفهمه والقول به ولا حق غيره .

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

(٢) انظر لما يتعلق بالملائكة كتاب " عالم الملائكة الأبرار " للدكتور الشيخ عمر الأشقر .

(٣) لَمّة : أي مسّ كما في " القاموس " (٤ / ١٧٩) مادة (ل م م) .

(٤) في الصحيحين من حديث صفية مرفوعا : " إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم " . وانظر عن أحوال الجن كتاب " عالم الجن والشياطين " للدكتور عمر الأشقر .

فصل

لا يخلد صاحب كبيرة في النار

ولا يخلد صاحب الكبيرة المسلم في النار [(١)] والعفو عن الكبائر جائز، وكذلك العفو عنها عمن مات بلا توبة جائز، من باب خرق العوائد.

وبعثة الرسل إلى الخلق، وتكليف الله عباده بالأمر والنهي على ألسنتهم حق، وهم معصومون من الكفر ومن الكبائر مطلقًا ومن الإصرار على الصغائر، يعصمهم الله عنها.

ودعوة نبينا ﷺ عامة لجميـع الإنس والجن لقوله تعالى:... ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾ [(٢)] [الفرقان: ١]، ولحديث مسلم ﴿ بعثت إلى الخلق كافة ﴾ [(٣)] [(٤)] وفيه من العموم ما لا يقدر قدره.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب بشرط أن لا يؤدي إلى الفتنة وأن يظن قبوله.

والخلافة بعد رسول الله ﷺ في قريش، ما بقي من الناس اثنان [(٥)] وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم ولا يقر لغيرهم با إلى قيام الساعة.

والجهاد ماض قائم، مع الأئمة الأبرار والفجار، مذ بعث النبي ﷺ إلى أن يقاتل آخر [الأمة] [(٦)] الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

---

(١) انظر التعليقين : رقم (٥) بحاشية ص ٦٨ ورقم (٢) بحاشية ص ٩٤ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١ .

(٣) أحمد (١/٣٠١) .

(٤) متفق عليه (البخاري (١ / ٥٣٣ فتح الباري) ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما واللفظ للبخاري وليس لمسلم . وجاء في مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة " وأرسلت إلى الخلق كافة " وانظر التعليق رقم (٣) بحاشية ٩٢ .

(٥) في الصحيحين البخاري (٦ / ٥٣٣ فتح الباري) ومسلم (١٨٢٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا : " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان " . وانظر " السّنة " لابن أبي عاصم (١١٠٩ - ١١٢٩) لترى تخريج الأحاديث في أن الخلافة في قريش .

(٦) في الأصل " أمة " ، والصواب ما أثبتناه .

والجمعة، والعيدان، الفطر، والأضحى، والحج مع السلاطين، وملوك الإسلام، وإن لم يكونوا بررة عدولًا أتقياء.

ودفع الصدقات، والخراج، والأعشار، والفيء، والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا.

والانقياد لمن ولاه الله ﷻ أمر الناس. ولا يـ ع يدًا من طاعته ولا يخرج عليه بسيف حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا.

ولا يخرج على السلطان، يسمع ويطيع، ولا ينكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، مخالف، مفارق للجماعة، ولا يمنعه حقه.

والإمساك في الفتنة سنة ماضية، واجب لزومها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان، ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك [(١)] ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس، ورضوا به، أو غلبهم بسيفه، حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته [(٢)] فيما ليس بمعصية لله ولرسوله، ويحرم الخروج عليه، وشق عصا المسلمين. وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه ألبتة [(٣)] وليس لك أن تخرج عليه.

جواز الاستثناء في الإيمان غير ألا يكون في الشك

والاستثناء في الإيمان جائز غير أن لا يكون للشك، بل هي سنة ماضية عند العلماء ولو سئل الرجل أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، أو مؤمن أرجو الله، أو يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله [(٤)] روي ذلك عن ابن مسعود [(٥)] وعلقمة [(١)]

---

(١) من قوله : " والخلافة بعد رسول الله " إلى هذا الموضع في " السّنة " لأحمد (ص ٧١) بنصه .

(٢) قال الطحاوي في " عقيدته " (ص ٤٢١ شرحها) : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا نـ ع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة اللهفريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة " وانظر شرح العبارة في " شرح الطحاوية " .

(٣) لقوله " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " متفق عليه : البخاري (١٣ / ١٢ فتح الباري) ومسلم (١٨٣٩) عن ابن عمر .

(٤) انظر لزاما " شرح الطحاوية " (ص ٣٩٥ فما بعدها) .

(٥) انظر التعليق رقم (٣) بحاشية ص ٧٦ .

بن قيس، وأسود بن يزيد [٢] وأبي وائل شقيق بن سلمة [٣] ومسروق بن الأجدع [٤] ومنصور بن المعتمر [٥] وإبراهيم النخعي [٦] ومغيرة بن مقسم الضبي [٧] وفضيل بن عياض [٨] وغيرهم. وهذا استثناء على يقين [٩] قال الله تعالى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [١٠] ... [الفتح: ٢٧].

---

(١) ثقة ثبت فقيه عابد مات بعد الستين للهجرة ، تقريب .

(٢) الأسود مخضرم ثقة مكثر فقيه مات (سنة ٧٤ أو ٧٥ هـ) .

(٣) في الأصل " أبو وائل وشقيق بن سلمة " . وأبو وائل هو شقيق بن سلمة ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز ، تقريب .

(٤) ثقة فقيه عابد مخضرم مات (سنة ٦٢ أو ٦٣ هـ) ، تقريب .

(٥) في الأصل ابن المعتمد والصواب " المعتمر " : ثقة ثبت وكان لا يدلس من طبقة الأعمش مات (سنة ١٣٢ هـ) ، تقريب .

(٦) ثقة إلا أنه يرسل كثيرًا مات (سنة ١٩٦ هـ) ، تقريب .

(٧) في الأصل " ابن قاسم والصواب " ابن مقسم " : ثقة متقن إلا أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم مات (سنة ١٣٦ هـ) على الصحيح ، تقريب .

(٨) ثقة إمام عابد . الزاهد المشهور مات سنة (١٩٧ هـ) وقيل بعدها ، تقريب .

(٩) ومنه قوله في زيارته للمقابر : " وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " رواه مسلم . (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٠) سورة الفتح آية : ٢٧ .

فصل

من عقائد أهل السنة والجماعة

وينكرون الجدال والمراء في الدين، والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، بالتسليم للروايات الصحيحة، وبما جاءت به الآثار التي رواها الثقات، عدلًا عن عدل، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولم لأن ذلك بدعة.

ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه، وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك والكفر والمعاصي، وإن كان مريدا له [1] .

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر [فأغفر له] [2] [3] كما جاء، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [4] [النساء: 59].

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين فيما يوافق القرآن والحديث لا في غيره. ولا يبتغون في دينهم ما لم يأذن به الله.

و[يقرون] [5] أن الله تعالى يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [6] [الفجر: 22] وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [7] [ق: 16].

---

(١) سبق أن ذكر المؤلف فصلا خاصا عن " القدر " .

(٢) في الأصل [فأغفره] والصواب ما أثبتناه .

(٣) حديث متواتر مضى تخريجه انظر التعليق رقم (١) بحاشية ص ٦٤ .

(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٥) في الأصل " يقرؤن " .

(٦) سورة الفجر آية : ٢٢ .

(٧) سورة ق آية : ١٦ .

ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام سني، بَر وفاجر [1] .

ويثبتون المسح على الخفين سنة، ويرونه في السفر والحضر [2] [3] .

ويثبتون فرض الجهاد للمشركين، من كانوا، وأينما كانوا، منذ بعث الله رسوله بالحق والصدق إلى آخر عصابة [تقاتل] [4] الدجال.

وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والسداد والنصيحة لهم ولعامتهم ولا يخرج عليهم بالسيف.

وأن لا يقاتلوا في الفتنة، وأن الدعاء لموتى المسلمين، والصدقة عليهم، بعد موتهم تصل إليهم [5] .

ويصدقون بأن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر، وأن السحر كائن موجود في الدنيا [6] .

---

(١) قال الطحاوي رحمه الله (ص ٤٢١- شرح الطحاوية) : " ونرى الصلاة خلف كل بَر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم .

(٢) روى المسح على الخفين ثمانون صحابيا- منهم العشرة المبشرون بالجنة- كما قال ابن منده .

(٣) وسرد الترمذي (٩٣) والبيهقي (١ / ٢٦٩ فما بعدها) منهم جماعة ، ونص على تواتر الحديث جمع من الحفاظ انظر " فتح الباري " (١ / ٣٠٦) و " التلخيص الحبير " (١ / ١٥٨) و " شرح الطحاوية " (ص ٣٤٥) .

(٤) في الأصل " يقاتل " .

(٥) وأما الصدقة عليهم فلا تصل على الإطلاق لقوله تعالى : وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى [النجم- ٣٩] ولا يقاس في هذا الشأن على الدعاء . وقد ذهب الشوكاني إلى أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما . وأما غير الولد فالظاهر من عموم الآيات القرآنية أن لا يصل ثوابا إلى الميت فيوقف عليها حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها . انظر نيل الأوطار (٤ / ٩٩- ١٠٠) " وأحكام الجنائز " (ص ١٧٣) ورسالة " القراءة على الأموات والأدلة على عدم وصولها من الكتاب والسّنة والتفاسير والمذاهب " للشيخ أحمد خضر عبد السلام ، واللّه أعلم . [ما ذكر غير صحيح فقد نقل ابن القيم في كتابه (الروح ٢ / ٤٣٥) وابن أبي العز في كتابه (شرح الطحاوية ٢ / ٦٦٤) إجماع أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير على وصول دعاء المسلمين للميت واستغفارهم له والصدقة] .

(٦) مذهب أهل السّنة والجماعة إثبات السحر وأن له حقيقة كغيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك . وقد ذُكِر السحر في القرآن الكريم وأنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وأمر الله بالاستعاذة منه كما في قوله تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النفاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم [1] .

و[يقرون] [2] أن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالًا كانت أو حرامًا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه.

وأن الصالحين يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم.

وأن الأطفال أمرهم إلى الله [3] .

إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد، والله أعلم بما كانوا عاملين.

والله يعلم ما يعمل العباد، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمر بيد الله.

ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله، والانتهاء عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين.

ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة الإسلام ولكل مسلم.

شَر حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ [الفلق ١- ٥] . انظر شرح صحيح مسلم (١٤ / ١٧٤) وشرح الطحاوية (ص ٥٦٩) .

(١) انظر التعليق السابق رقم (١) بحاشية ص ١٣٨ .

(٢) في الأصل : (يقرؤن) .

(٣) قلت : أما أطفال المسلمين فأجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات منهم فهو في الجنة كما حكاه النووي " شرح صحيح مسلم " (١٦ / ٢٠٧) . وأما أطفال المشركين فذكر الحافظ ابن حجر في " الفتح " فيهم عشرة أقوال (٣ / ٢٤٦-٢٤٧) والمختار الذي ذهب إليه المحققون كما قال النووي " شرح صحيح مسلم " (١٦ / ٢٠٨) أنهم في الجنة ويدل على هذا ما رواه البخاري عن سمرة بن جندب(١٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ فتح الباري) قال : كان رسول الله يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم من رؤيا إلى أن قال وأما الولدان الذين حوله فكل مولود على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله وأولاد المشركين " . وروى أحمد (٥ / ٥٨) وأبو داود (٢٥٢١) عن حسناء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت : قلت يا رسول الله من في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة " قلت : حسناء مقبولة كما في " التقريب " ومع هذا فقد حسن إسناده الحافظ في " الفتح " (٣ / ٢٤٦) وانظر أيضًا لأحاديث الباب ولهذه المسألة " السنة " لابن أبي عاصم (٢٠٧- ٢١٤) و " شرح السنة " للبغوي (٨٣- ٨٦) و " طريق الهجرتين " لابن القيم (ص ٣٨٨-٣٩٧) بل الذي ذهب إليه المحققون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم ، بأن الله أعلم بما كانوا عاملين لحديث أبي هريرة في الصحيحين كل مولود يولد على الفطرة . . إلى أن قال من آخر الحديث : وأولاد المشركين فقال " والله أعلم بما كانوا عاملين " . وأما ما ذكر المحقق من حديث سمرة ، فمحمول على من علم الله أنهم يعملون بعمل المسلمين .

واجتناب الكبائر، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة، وقول الزور، وشهادة الزور، والمعصية، والفخر، والكبر، والازدراء على الناس، والعجب، والتفاخر بالأنساب، والطعن في الأحساب.

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، مع التدبر والإمعان، وكتابة الآثار، ودرس الأحاديث، والتمسك بما في كل حال من السخط والرضا، والنظر في السنة، مع التواضع والاستكانة، وحسن الخلق، وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة.

ويرون السعي، وتفقد المآكل والمشارب، على وجه الحلال، ومن حرم المكاسب والتجارات وطيب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف، بل المكاسب من وجهها حلال، وقد أحلها الله ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله، من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الاكتساب فهو مخالف (١)

والدين إنما هو كتاب الله ﷻ وآثار، وسنن وروايات صحاح، وأخبار صحيحة، عن الثقات، بالرواية القوية المعروفة الصحيحة، يصدق بعضها بعضا، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن تبعهم ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار لا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف أهل الحق (٢) مع أنه يجب على من له أدنى تمييز أن يرجع إلى واضحات الكتاب والسنة ويقلد فيما خفي عليه بقدر الضرورة (٣) .

(١) انظر لهذه الفقرة " السنة " لأحمد (ص ٧٩) .

(٢) انظر السّنة لأحمد (٧٩) .

(٣) قلت : ولقد أحسن المؤلف في قوله " بأن يقلد فيما خفي عليه بقدر الضرورة " أي لا يجعل التقليد دينًا وديدنًا يعارض به النصوص كما قال الكرخي : " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ " تاريخ التشريع الإسلامي للخضري (ص ٣٣٢ (كما في " بدعة التعصب المذهبي " (ص ١٣٣) . ولله در الشافعي حيث قال في " الرسالة " : " وبالتقليد أغفل من أغفل منهم " . وإنما يصار إلى التقليد عند العجز عن تمييز الدليل ومعرفته وعدم وجود من يوثق بدينه وعلمه لأن اللهيقول : فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل : ٤٣] فمن عجز عن اتباع الدليل ولم يجد من

وقد يملأ أحدهم [1] الأرض بتصانيفه، ولو في خدمة الكتاب والسنة، من التفسير والشرح لهما، وهو مع ذلك جاثم على ما اتفق له من التقليد، ساع في نصرة مذهب إمامه، ولو بالتعسف، مطرح لقول الله ورسوله، مؤثر لما وجد عليه سلفه ولا ينكر هذا إلا مغمور في الغفلة والجهل، أو معاند لا يطلب منه المحاكمة إلا بين يدي الله سبحانه، ولو هاب كتاب الله، أو حظي بلمعة من الإيمان الصادق، أو شمة من الإخلاص، أو مذقة من الخوف، لعرف وأنصف.

أخرج أهل السنن والمسانيد والمعاجم عن عدي بن حاتم قال: ﴿ رأيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2] [التوبة: ٣١].

فقال: ﴿ أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئا أحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه ﴾ [3] . وظاهر هذا أنه ليس سواء إحسان الظن بهم، والاطمئنان

يسأله لزمه التقليد بحكم الضرورة على حد " قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع " - كما قال سعيد بن جُبَير لحصين بن عبد الرحمن في أمر الرُّقْية كما في البخاري (١١ / ٤٠٥- ٤٠٦ فتح الباري) ومسلم (٢٢٠)- حتى يصله الخبر ويصير إليه إن خالف ما قلّد مع احترامنا وحُبنا للأئمة جميعا . قال أبو جعفر الطحاوي في " عقيدته " (ص ٥٥٤ شرحها) . " وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين- أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر- لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل " .

(١) لعله يقصد معاصره الشيخ أبا الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الحنفي رحمه الله (ت ١٣٠٤ هـ) لما يُعْلم بينهما .

(٢) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٣) قال في " الدر المنثور " (٤ / ١٧٤) : رواه ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم (ج ٤ ص٤٢ مصورة الجامعة الإسلامية) والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه (١٠ / ١١٦) . قلت : ورواه أيضا ابن جرير الطبري (١٦٦٣١ - ١٦٦٣٣) عن غضيف بن أعْين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم به . والترمذي رواه (٥٠٩٣) عن غضيف بن الحارث أيضا ولم أرى تحسينه في الطبعة السلفية ولا في طبعة أحمد شاكر . بل قال بعد ذكره للحديث : " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغضيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث " . وقال ابن حجر في " التقريب " : غطيف بن أعين الشيباني الجزري ويقال بالضاد المعجمة ضعيف . وللحديث شاهد موقوف كما في الدر (٤ / ١٧٤) رواه عبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم (ج٤ ق٤٢ مصورة بالجامعة) وأبو الشيخ والبيهقي في

إليهم، والاستغناء بكلامهم عن كلام الله وكلام رسله. وقالوا: هم أخص منا وأرسخ به. وتعصب كل لمتبوعه، وصاروا فرقا متفرقة، وأحزابًا متحزبة. وسلكت هذه الأمة [1] مسلك الأمم الماضية حذو النعل بالنعل. وقد تواترت أحاديث الافتراق [2] تواترًا معنويًا وهو من المعجزات النبوية ولم يحمل على هذا في الأمم الخالية وفي هذه الأمة إلا حب الدنيا من الجاه، وجمع الحطام، وإسعاف المرام، وإنجاح الحاجات، وطيب العيش، والمرافق الدنيوية، وأهواء النفس الأمارة بالسوء. وقد رأينا ذلك، وجربناه في كثير من الأحياء، يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، ويسلكون الطريقة الموصلة إلى ما ينفق عند الناس ويدعون ما يوصل إلى حقائق الحق.

فإياك أن تعدل الخلق بربك وتؤثرهم عليه.

اللهم زينا بزينة الإيمان الخالص واجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين سلما

سننه (١٠ / ١١٦) عن أبي البختريقال سأل رجل حذيفةفقال : أرأيت قوله تعالى : اتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله . . أكانوا يعبدونم ؟ قال : لا ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه " ورواه أيضًا الطبري (١٦٦٣٤) . قلت : لكن أبو البخْتري واسمه " سعيد بن فيروز " قد أرسل عن عمر وعلي وحذيفة وسلمان وابن مسعود كما في " التهذيب " (٤ / ٧٢) وفي " التقريب " . " ثقة ثبت فيه تشيع قليل كثير الإرسال " . والحديث حسنه الشيخ الألباني في " المصطلحات الأربعة في القرآن " كما في تخريج " الحلال والحرام " (٦) ولكنني لم أجد الطبعة المحال إليها والتي رأيتها من " المصطلحات " ليس فيها تخريج الحديث . ثم رأيت في " بدعة التعصب المذهبي " (ص ١٤٨) نقلًا عن تخريج " المصطلحات " (ص ١٨-٢٠) : " أنه يرتفع إلى مرتبة الحسن لأمرين : الأول : أن الترمذي قد حسنه مع تضعيفه إسناده وهذا إشارة إلى أن له طريقا أخرى يتقوى با . والثاني : أن من أخرج الحديث ابن أبي حاتم في تفسيره وهو يتحرى فيه أصح الأخبار بأصح الأسانيد فيرجح أنه رواه بإسناد جيد " . ثم ذكر أن له شاهدا موقوفا عن حذيفة نحوه وقال : " وهو وإن كان موقوفا ، فإن له حكم المرفوع " . وكأنه لذلك جزم ابن تيمية في الاقتضاء (ص ٩) وهو من هو في التثبت والتحقيق- بنسبة الحديث إلى النبي انتهى . قال عاصم : أما تحسين الترمذي للحديث فسبق أني لم أقف عليه . وأما إسناد ابن أبي حاتم ففيه غضيف بن الحارث أيضًا وهو ضعيف كما سبق بيانه ، ولعل المرفوع الضعيف ينجبر بالأثر وإن كان ضعيفًا لأنه يمكن أن يقال إن هذا لا يقال بالرأي فُيصار إلى تحسين الحديث والله أعلم .

(١) أي من نج ذلك النهج منها وإلا فقد عصم الله من التقليد الأعمى أناسا الله بم عليم وهذه سنة الله في بقاء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة .

(٢) انظر : التعليق القادم رقم (٢) بحاشية ص ١٤٧ .

لأوليائك وحربا لأعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك وأجرنا من مضلات الفتن آمين يا أرحم الراحمين.

فصل

من السنة هجر أهل البدع

ومن السنة هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين والسنة، وكل محدثة في الدين بدعة، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، في أصول الدين وفروعه، كالرافضة [(١)] والخوارج [(٢)] والجهمية [(٣)] والقدرية [(٤)] والمرجئة [(٥)] والكرامية [(٦)] والمعتزلة [(٧)] فهذه فرق الضلالة وطرائق البدع.

والاختلاف في الفروع شائع، كما في المذاهب الأربعة، والمختلفون فيها محمودون متابعون على اجتهادهم، ما لم يخالف النص، واختلافهم رحمة واسعة [(٨)] .

---

(١) انظر التعليق السابق رقم (٥) بحاشية ص ٦٨ .

(٢) انظر التعليق السابق رقم (٥) بحاشية ص ٦٨ .

(٣) انظر التعليقين السابقين رقم (١) بحاشية ص ٤٥ ورقم (٢) بحاشية ص ٦٦ .

(٤) انظر التعليق السابق رقم (٤) بحاشية ص ٦٧ .

(٥) انظر التعليق السابق رقم (٤) بحاشية ص ٦٧ .

(٦) هم أصحاب أبي عبد الله بن كرام ، كان يرى مع إثبات الصفات التشبيه والتجسيم . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرًا ، وقال أيضا : الإيمان قول اللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن . وانظر " الملل والنحل " (١ / ١٤٤) والميزان (٤ / ٢١) وقال الذهبي عنه : " ساقط الحديث على بدعته " الميزان .

(٧) انظر التعليق السابق رقم (٤) بحاشية ص ٦٧ .

(٨) قلت : لا أعلم شيئا من الاختلاف بين المسلمين يسمى رحمة . قال الله تعالى . وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ . . [الأنفال : ٤٦] . وقال ابن حزم في : " الإحكام في أصول الأحكام " (٥ / ٦٤) في باب ذم الاختلاف . " لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطًا وهذا ما لا يقوله مسلم لأنه ليس إلا اتفاق واختلاف وليس إلا رحمة أو سخط " . وأما حديث " اختلاف أمتي رحمة " فلا أصل له عند علماء الحديث قال المناوي في " فيض القدير " (١ / ٢١٢) : " قال السبكي : وليس بمعروف عند المحدثين ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع " وقد ردّ الحديث ابن حزم وغيره من المحققين . " وأما الصحابة فلا يلحقهم الذم لأنم لم يتعمدوا المخالفة ولا استهانوا بطلب الحق والمصيب منهم مأجور أجرين والمخطئ مأجور أجرًا واحدًا وهكذا المسلم إلى يوم القيامة وإنما الوعيد لمن ترك التعلق بحبل الله وهو القرآن وكلام النبي بعد بلوغ النص إليه وقيام الحجة عليه وتعلق بفلان وفلان مقلدًا عامدًا للاختلاف داعيًا إلى عصبية وحمية الجاهلية قاصدًا للفرقة متحديًا في دعواه . . . " ذكره ابن حزم (٥ / ٦٧- ٦٨) من " الإحكام " . وذكر ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٢ / ١٠٠) عن الإمامين مالك والليث رضي الله عنهما أنما قالا في اختلاف أصحاب رسول الله عبر رادّين على من زعم أن فيه توسعة ورحمة للأمة فقالا : ليس كذلك إنما هو خطأ

إذا كان مبنيًا على أدلة الكتاب والسنة كاختلاف الصحابة فيما بينهم، وهم أسوة الأمة واتفاقهم حجة عند قوم.

ثم من طريقهم اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، والمشي على ظاهر السنة وواضحها، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ﴾ (1) إلى قوله: ﴿ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ﴾ (2) (3) ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله تعالى كما قال تعالى:.. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (4) [النساء: ١٢٢] وخير الهدي هدي محمد ﷺ من هدي كل أحد سواه، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وأهل الحديث والآثار.

مقصود الإجماع

والإجماع ما عليه أهل العلم، من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف، ولم

وصواب " . ومن الاختلاف ما ذم الله به الطائفتين جميعًا كما في قوله : وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ [هود : ١١٨ ، ١١٩] ، وقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ . . [الأنعام : ١٥٩] . والاختلاف قسمان : اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد . فأما اختلاف التنوع فهو على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعًا كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم الرسول عن الاختلاف وقال : " كلاكما محسن " ومثله اختلاف التنوع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وعدد تكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما شرع جميعه وقد يقال إن بعض أنواعه أفضل . واختلاف التضاد هو عندما يكون القولان متناقضين سواء في الأصول أو الفروع . وراجع إلى تفصيل ذلك في " اقتضاء الصراط المستقيم " (ص ٣٦- ٣٩) ومنه نقلت مع تصرف يسير .

(1) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(2) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(3) مضى تخريجه رقم (١) بحاشية ص ٩٧ .

(4) سورة النساء آية : ١٢٢ .

يوجد إجماع على حده، ولهذا أنكره الإمام أحمد، وغيره، من أهل التحقيق [1] .

وهم مع هذه الأصول، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة، ويحافظون على الجماعات والجمعة ويدينون بالنصيحة للأمة ولولاة الأمور ويعتقدون معنى قوله ﷺ ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ﴾ [2] [3] .

وقوله ﷺ ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ﴾ [4] [5] .

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويقولون: ﴿ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ﴾ [6] كما في الحديث [7] .

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون

---

(١) قال الإمام أحمد في " مسائله " لابنه عبد الله (ص ٣٩٠) كما في " آداب الزفاف " (ص ١٤٥) : " من ادّعى الإجماع فهو كاذب وما يدريه لعل الناس اختلفوا " وذكره ابن حزم في " الإحكام " كما في " نظام الطلاق " (ص ١٠٠) وقال العلامة أحمد شاكر في " نظام الطلاق " : " الإجماع الصحيح الذي تثبته الأدلة الذي لا يجوز لأحد خلافه هو الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كلها وليس شيء غيرها يسمى إجماعًا " ثم نقل عن الإمام الطبري قوله : " إن الإجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله من الآثار " . وانظر " الإحكام في أصول الأحكام " (٤ / ١٤٢-١٤٤ (بتحقيق أحمد شاكر و " إرشاد الفحول " (ص ٧١) للشوكاني و " حصول المأمول " لصديق حسن خان (ص ٥٧) ومقدمة الإجماع لابن المنذر للدكتور أبي حماد صغير وغيرها حول الإجماع .

(٢) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٤) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(٣) متفق عليه : البخاري (١٠ / ٤٠٠ فتح) ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى ، ولكن ليس في مسلم التشبيك .

(٤) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

(٥) متفق عليه : البخاري (١٠ / ٤٣٨ فتح) ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير . واللفظ لمسلم .

(٦) الترمذي الرضاع (١١٦٢) ، أحمد (٢٥٠/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٢) .

(٧) رواه الترمذي (١١٧٢) وقال : " حسن صحيح " وأحمد (٢ / ٤٧٢ و ٢٥٠) وابن حبان (١٣١١ موارد) والحاكم (١ / ٣) .

بر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك.

وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفلها.

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقهم هو دين الإسلام، الذي بعث الله به محمدا ﷺ لكن لما أخبر النبي أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة [(١)] وفي حديث أنه قال: ﴿ هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(٢)] [(٣)] .

صـار المتمسكون بالإسلام المحـض الخالص عـن الشوب [(٤)] هم أهـل السـنة

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وابن أبي عاصم في " السّنة " (٢ و ٦٥) واللالكائي في " شرح الاعتقاد " (١٥٠) وأحمد (٤ / ١٠٢) والحاكم (١ / ١٢٨) والآجري في " الشريعة " (ص ١٨) عن معاويةورواه ابن ماجه (٣٩٩٣) والآجري (ص ١٦) عن أنس ورواه ابن ماجه أيضا (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم (٦٣) واللالكائي (١٤٩) عن عوف بن مالك الأشجعي ورواه الآجري (ص ١٧ -١٨) عن سعد بن أبي وقاص . ورواه الترمذي (٢٧٧٨) والآجري (ص ١٥) وابن حبان (١٨٣٤ موارد الظمآن) والحاكم (١ / ١٢٨) عن أبي هريرة الحديث ولكن لم يذكروا فيه " وهي الجماعة " وكذا رواه الدارمي (٢ / ٢٤١) وابن أبي عاصم في " السّنة " (٦٦ و ٦٧) عن معاوية رضي الله عنه . والحديث صحيح لا شك في صحته وقد صححه جمع من الحفاظ انظر " السلسلة الصحيحة " . (٢٠٣) لذلك وللرد على الكوثري في هذا الحديث .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٣) رواه الترمذي (٢٧٧٩) وقال : " حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه " - واللالكائي (١٤٨) وابن نصر المروزي في " السنة " (ص ١٨) والآجري في " الشريعة " (ص ١٥) وابن وضاح في " البدع والنهي عنها " (٨٥) وإسماعيل الأصفهاني في " الحجة في بيان المحجة " (١٦ و١٧ بترقيم الدكتور محمد ربيع ، رسالة دكتوراه) كلهم عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف في حفظه كما في " التقريب " . وروى الطبراني في الصغير (ص ١٥٠) عن وهب بن بقية ثنا عبد الله بن سفيان المدني عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس بن مالك فذكره وقال الطبراني : " لم يروه عن يحيى إلا عبد الله بن سفيان " . وقال العقيلي : " لا يتابع على حديثه " وقال الذهبي في " ميزان الاعتدال " (٢ / ٤٣٠) " إنما يعرف هذا بابن أنعم الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو .

(٤) أي عن الخلط بغيره .

والجمـاعة وفيهم الصـديقون والشـهداء، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة، التي قال فيها رسول الله ﷺ :

﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ﴾ (١) (٢) .

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (١٠) أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) حديث صحيح له طرق متعددة وبألفاظ مختلفة انظر " صحيح البخاري " (١٣ / ٣٩٣ فتح الباري) وصحيح مسلم (١٥٦) و " صحيح الجامع الصغير " (٧١٦٤ - ٧١٧٣ .

فصل
الاعتقاد بالكتاب والسنة

عن مالك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: ﴿ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴾ (١) .

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي [ولن] (٢) يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ﴾ أخرجه الترمذي (٣) .

وعن العرباض بن سارية قال: ﴿ صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا. قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ (٤) أخرجه أبو داود والترمذي (٥) .

---

(١) رواه مالك بلاغا كما ذكر المؤلف (٢ ص ٨٩٩) وله شاهد عند الحاكم (١ / ٩٣) عن أبي هريرة وفي إسناده صالح بن موسى الطلحي وهو " متروك " كما في " التقريب " لكن له شاهد آخر عند الحاكم أيضا (١ / ٩٣) عن ابن عباس وإسناده حسن كما في تخريج " المشكاة " (١٨٦) .

(٢) في الأصل " من " والصواب ما أثبتناه كما في الحديث .

(٣) رقم (٣٨٧٦) وقال : هذا حديث حسن وانظر التعليق السابق رقم (١) بحاشية ص ٩٨ للأهمية . وزيد بن أرقم الخزرجي صحابي مشهور مات (سنة ٦٦ أو ٦٨ هـ) ، تقريب .

(٤) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٥) مضى تخريجه رقم (١) بحاشية ص ٩٧ . والعرباض بن سارية صحابي كان من أهل الصفة (مات بعد السبعين) تقريب .

ومعنى عضوا عليها: أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه.

وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه وما وجدنا فيـه حرامًا حرمنـاه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله ﴾ [1] أخرجه أبو داود والترمذي [2] .

وزاد أبو داود في أوله ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ﴾ [3] وذكره بمعناه.

والأريكة: السرير في الجملة، وقيل: هو كل ما اتكئ عليه.

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكان منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله تعالى به، فعلِمـه وعلمـه، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به ﴾ [4] رواه الشيخان [5] .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٦٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٢) ، أحمد (١٣٢/٤) ، الدارمي المقدمة (٥٨٦) .

(٢) الترمذي (٢٨٠٢) ، وروى أبو داود (٤٦٠٤) نحوه وأوله كما ذكر المؤلف : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " وانظر سنن ابن ماجه (١٢) وشرح السّنة (١ / ٢٠١) " والشريعة " للآجري (ص ١١) وغيرها . والمقدام بن معْد يكرب الكندي صحابي مشهور مات (سنة ٨٧ هـ على الصحيح) ، تقريب .

(٣) أبو داود السنة (٤٦٠٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٢) .

(٤) البخاري العلم (٧٩) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٢) ، أحمد (٣٩٩/٤) .

(٥) البخاري (١ / ١٧٥ فتح الباري) ومسلم (٢٢٨٢) . وأبو موسى الأشعري صحابي مشهور مات (سنة ٥٠ وقيل بعدها) ، تقريب . والكلأ : العشب ، وأجادب : جمع " جدب " : الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء ، وقيعان : جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت ، كذا في " الفتح " (١ / ١٧٦ -١٧٧) .

وعن ابن مسعود قال: ﴿ إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعـدون لآت، ومـا أنتم بمعجزين ﴾ [1] رواه البخاري [2] .

وعـن عائشة قالت: قـال رسول الله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] أخرجه الشيخان وأبو داود وفي رواية ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [4] [5] .

وعن ابن عباس قال: "من تعلم كتاب الله، ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه سوء الحساب في الآخرة" [6] .

وعن عمر بن الخطاب قال: "تُرِكْتم على الواضحة ليلها كنهارها، كونوا على دين الأعراب والغلمان في الكُتاب" [7]

وعن علي بن أبي طالب قال: "تُرِكتم على الجادة: [منهج] [8] عليه أم الكتاب"

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٤٩) ، الدارمي المقدمة (٢٠٧) .

(٤) فتح الباري (١٢ / ٢٤٩) .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (١٤٦/٦) .

(٥) مضى تخريجه برقم (١) بحاشية ص ١١٢ . وفي أبي داود برقم (٤٦٠٦) .

(٦) انظر جامع الأصول (٨١) .

(٧) انظر جامع الأصول (٨٣) . الواضحة : البينة وهي صفة لمحذوف تقديره : على الملة الواضحة الظاهرة ، وأراد بقوله : " دين الأعراب والغلمان " : قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن أهل الزيغ والأهواء ومثله قوله " عليكم بدين العجائز " جامع الأصول (١ / ٢٩٣) .

(٨) في الأصل [منهجا] والتصويب من " جامع الأصول " (٨٣) .

أخرجها رزين [(١)] .

وعن ابن مسعود أنه قال: "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيهم ﷺ ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنم كانوا على الهدي المستقيم" [(٢)] أخرجه رزين.

وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي ﴾ [(٣)] رواه الترمذي [(٤)] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا

(١) هو الحافظ أبو الحسن رُزَين بن معاوية العبدري السرقُسْطي جمع بين كتب : البخاري ومسلم ومالك والترمذي وأبي داود والنسائي وسماه " تجريد الصحاح " مات (عام ٥٣٥ هـ) . وانظر " شذرات الذهب " (٤ / ١٠٦) .

(٢) وأخرجه ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٢/ ٩٧) والهروي (ق٨٦ / ١) من طريق قتادة عنه فهو منقطع انتهى من تخريج المشكاة (١٩٣) .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٣٠) .

(٤) برقم (٢٧٦٥) وقال : " هذا حديث حسن " . قلت : في إسناد الترمذي : كثير بن عبد الله بن عمرو وهو ضعيف ، ومنهم من نسبه للكذب كما قال ابن حجر في " التقريب " . وأما الحديث فرواه مسلم في صحيحه (١٤٥) وغيره عن أبي هريرة دون قوله " وهم الذين يصلحون . . . " . وأما بيان الغرباء بأنم الذين يصلحون . . " ، فقال الشيخ الألباني في " تخريجه للمشكاة " (١٧٠) : " رواه الخطابي في " الغريب " (ق ٣٢ / ١) بذا اللفظ وهو في " المسند " (٤ / ٧٣) بلفظ : " الذين يصلحون إذا فسد الناس " وسندهما ضعيف ، لكن لفظ أحمد رواه أبو عمرو الداني في " السنن الواردة في الفتن " (ق ٢٥ / ١ (والآجري في " الغرباء " (ق ١ / ٢) من حديث ابن مسعود بسند صحيح . ثم رواه الداني من حديث سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو بن العاص بسندين صحيحين وحديث سعد في المسند " أيضا (١ / ١٨٤) .

يفتنونكم ﴾ [1] رواه مسلم [2] .

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ [3] رواه مسلم [4] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ﴾ [5] رواه مسلم [6] .

وعن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا أُلِفين أحدكم مُتكِئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ﴾ [7] رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي في "دلائل النبوة" [8] .

---

(١) مسلم مقدمة (٧) ، أحمد (٣٤٩/٢) .
(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (٧) .
(٣) مسلم الإيمان (٥٠) ، أحمد (٤٥٨/١) .
(٤) برقم (٥٠) .
(٥) مسلم العلم (٢٦٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٧٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٩) ، أحمد (٣٩٧/٢) ، الدارمي المقدمة (٥١٣) .
(٦) برقم (٢٦٧٤) .
(٧) الترمذي العلم (٢٦٦٣) ، أبو داود السنة (٤٦٠٥) ، ابن ماجه المقدمة (١٣) ، أحمد (٨/٦) .
(٨) أحمد (٦ / ٨) وأبو داود (٤٦٠٥) والترمذي (٢٨٠٠) وقال : " هذا حديث حسن " وابن ماجه (١٣) والشافعي في " الرسالة " (٢٩٥) والحاكم (١ / ١٠٨- ١٠٩) وصححه واللالكائي (٩٨) والبغوي في " شرح السنة " ، (١٠١) . وانظر التعليق السابق رقم (١) بحاشية ص ١٥٠ . وأبو رافع قبطي مولى رسول الله اسمه إبراهيم وقيل أسلم أو ثابت أو هُرْمز ، مات في أول خلافة علي على الصحيح ، تقريب .

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به ﴾ رواه في "شرح السنة".

قال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح (١).

وعن بلال بن [الحارث] (٢) المازني قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئًا ﴾ (٣) رواه الترمذي وابن ماجه عن كثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده (٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن بني إسرائيل تفترق على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي ﴾ (٥) رواه الترمذي (٦).

---

(١) شرح السّنة " (١٠٤) و " الأربعين النووية " (٤١) . والحديث ضعفه الحافظ ابن رجب ورد على تصحيح النووي للحديث وذكر له ثلاث علل تراجع في " جامع العلوم والحكم " (ص ٣٣٨- ٣٣٩) فإنه مهم . وانظر تخريج المشكاة (١٦٧) لتخريجه من مصْدَرين أعلى من البغوي .

(٢) في الأصل (حارث) من غير أل التعريف .

(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢١٠) .

(٤) الترمذي (٢٨١٨) وحسنه وابن ماجه (٢١٠) والبغوي في " شرح السّنة " (١١٠) وحسنه ، وابن وضاح في " البدع والنهي عنها " (ص ٣٨) . ولكن زيادة " ضلالة " بعد " من ابتدع بدعة " عند الترمذي وحده . وكلهم رووه من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو وقد كذبه أبو داود . وقال ابن حجر : " ضعيف وقد نسب إلى الكذب " وانظر تخريج المشكاة (٣٠) وبلال بن الحارث صحابي مات (سنة ٦٠ هـ) تقريب .

(٥) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٦) صحيح دون قوله " قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : " ما أنا عليه وأصحابي " وانظر لزاما التعليقين السابقين رقم (١) بحاشية ص ١٤٧ ورقم (١) بحاشية ص ١٤٨ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مائة شهيد ﴾ رواه البيهقي في كتاب "الزهد" له من حديث ابن عباس [(١)] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إنكم في زمان من ترك منكم عُشْر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعُشْر ما أمر به نجا ﴾ [(٢)] رواه الترمذي [(٣)] .

وعن غضيف بن الحارث الثمالي قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة، فتمسكٌ بسنةٍ خير من إحداث بدعة ﴾ [(٤)] رواه أحمد [(٥)] .

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ﴾ رواه البيهقي في "شعب الإيمان" مرسلا [(٦)] .

---

(١) لفظ الحديث الذي ذكره المؤلف هو لفظ حديث ابن عباس في الزهد (٢٠٩) ورواه ابن عدي (ق ٩٠ / ٢) كما في " السلسلة الضعيفة " وفي إسناده " الحسن بن قتيبة " وهو هالك كما قال الذهبي في " الميزان " (١ / ٥١٩) وانظر لكلام الأئمة فيه . وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط " بلفظ " المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد " ومن طريقه رواه أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٨ / ٢٠٠) وفيه عبد العزيز بن أبي روّاد قال الحافظ " صدوق ربما وهم " ومحمد بن صالح العدوي لم يجد الهيثمي من ترجمه " مجمع الزوائد " (١ / ١٧٢) وانظر تخريج المشكاة ٣٧ ، والسلسلة الضعيفة (٣٢٦ و ٣٢٧) .

(٢) الترمذي الفتن (٢٢٦٧) .

(٣) برقم (٢٣٦٩) وقال : " غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد " ورواه أيضا أبو نعيم في " الحلية " (٧ / ٣٣٦) وغيرهما وهو مما تفرد به نعيم كما قال أبو نعيم . ونعيم بن حماد مختلف فيه انظر ترجمته في " التهذيب " (١٠ / ٤٠٨ فما بعدها) وقال الحافظ في " التقريب " " صدوق يخطئ كثيرا " . والحديث قال فيه البخاري " منكر " وانظر " فيض القدير " (٢ / ٦٥٥) .

(٤) أحمد (١٠٥/٤) .

(٥) المسند (٤ / ١٠٥) والبزار (١٣١ كشف الأستار) وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط وبه أعله الهيثمي في " المجمع " (١ / ١٨٨) وعزاه أيضًا للطبراني وضعفه المنذري في " الترغيب والترهيب " (٨٢) بتصديره بقوله روي وانظر " فيض القدير " (٥ / ٤١٢) . وغُضيف بن الحارث مختلف في صحبته كما في " التقريب " .

(٦) ورواه أيضا الطبراني وأبو نعيم من طريقه (انظر فيض القدير ٦ / ٢٣٧) . وقد رواه اللالكائي في " شرح الاعتقاد " (٢٧٢) موقوفًا على " إبراهيم بن ميسرة " ولم يرسله . وقال ابن الجوزي في الحديث : " موضوع "

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ﴾ رواه الدارقطني [(١)] .

وعن عبد الله بن الديلمي قال: "بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سُنة سُنة كما يذهب الحبل قوة قوة" رواه الترمذي [(٢)] .

وعن ابن مسعود قال: "ما سألتمونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به أو سنة من نبي الله أخبرناكم به، ولا طاقة لنا بما أحدثتم " رواه الدارمي [(٣)] .

قلت: هذه جملة مختصرة من الكتاب والسنة، وآثار السلف فالزمها وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله وصالح سلف الأمة بما حصل من الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من عداهم محقورا مهجورا، مبعدا مدحورا، مذموما ملوما، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحـوا إلى أتباعهم فلا تغتر بكثرة أهل الباطل فقد قال تعالى:... ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٤)] [سبأ: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ ﴿ بدأ الإسلام

وقال العراقي : " أسانيدها كلها ضعيفة بل قال ابن الجوزي إنا كلها موضوعة " فيض القدير (٦ / ٢٣٧) . وقال الألباني في تخريج " المشكاة " (١٨٩) : " وقد روي موصولًا ومرفوعا من طرق كثيرة يطول الكلام بإيرادها وقد يرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن " . والله أعلم . وإبراهيم بن ميسرة ثبت حافظ مات سنة (١٣٢ هـ) . تقريب .

(١) في سننه (٤ / ١٨٤) وأخرجه أيضا الحاكم (٤ / ١١٥) والبيهقي (١٠ / ١٢ و ١٣) وغيرهم وحسنه السمعاني والنووي في " أربعينه " (ص ٢٤٢ من جامع العلوم) . وفي " رياض الصالحين " (١٨٤١) وأقره الألباني . وأبو ثعلبة الخشني صحابي مشهور بكنيته اختلف في اسمه على (١٤) قولًا واختلف في اسم أبيه أيضًا مات سنة (٧٥ هـ) وقيل قبل ذلك بكثير ، تقريب .

(٢) رواه الدارمي في سننه (١ / ٤٥) واللالكائي (١٢٧) وابن وضاح في " البدع والنهي عنها " (٦٦) . ويبدو أن (الترمذي) مصحف عن الدارمي من الناسخ والله أعلم . وعبد الله الديلمي هو عبد الله بن فيروز ، ثقة من كبار التابعين ومنهم من ذكره في الصحابة . تقريب .

(٣) في سننه (١ / ٤٦) .

(٤) سورة سبأ آية : ١٣ .

غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء ﴾ [1] رواه مسلم [2] ..

(١) مسلم الإيمان (١٤٥) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٦) ، أحمد (٣٨٩/٢) .

(٢) مضى تخريجه رقم (٢) بحاشية ص ١٥٢ .

وصايا المصنف لطلبة العلم

ولنعم ما قيل:

إن القلوب يد الباري تقلبها فلتسأل الله توفيقًا وتثبيتا

من يضلل الله لا تديه موعظة وإن هديت فبالأخبار أُنبيتا

فهذه غربة الإسلام أنت با فكن صبورًا ولو في الله أوذيتا

فهذه الأقاويل التي وصفت، مذاهب أهل السنة والأثر، وأصحاب الرواية، وحملة العلم النبوي، فمن خالف شيئًا من هذه، أو طعن فيهم، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق.

وما ذكرته من العقائد، ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشأته، ليحفظه، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره، شيئًا فشيئًا، ومن فضل الله على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشأته للإيمان، من غير حاجة إلى حجة وبرهان، فلا بد من إثباته في نفس الصبي، والعامي، حتى يترسخ ولا يتزلزل.

وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صفة الكلام والجدال، بل يشتغل بتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخًا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يَرِد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها.

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدال والكلام غاية الحراسة، فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده الكلام أكثر مما يصلحه، وقد كتبنا في ذم الكلام رسالة سميناها "قصد السبيل في ذم الكلام والتأويل" (١) .

وناهيك بالعيان برهانًا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين، ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود (٢) الشامخ، لا تحركه، الدواهي

---

(١) طبع بـ " بوبال " عام ١٢٩٠ هـ .

(٢) الطَّوْد : الجبل أو عظيمه كما في " القاموس " (١ / ٣٢١) .

والصواعق. وعقيدة المتكلم الحائر بين اعتقاد وتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء، تقلبه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا. ثم الصبي إذا نشأ على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يتضح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوا به أصلًا إن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة وتَنورٌ إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقًا لوعده ﷻ حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ (1) [العنكبوت: ٦٩].

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

خاتمة الكتاب من المصنف

خاتمة الرسالة

قد زعمت في هذه المسائل والأبحاث، التي ذكرتا في هذه الرسالة، وفي رسائل [أخرى] (1) أني لاحظت الحق ونصرته بجهدي، وتابعت الكتاب والسنة بحسب فهمي وغاية ما عندي، وأضربت عن المقاولات والمراجعات، وطويت الكشح (2) عن دفع الاعتراضات الباطلات، مع أني قصير الباع، قليل الاطلاع، فما أخطأت فيه من كلامي، وخالفت فيه واضح الكتاب وصريح السنة فعلى كل مسلم رده، والاجتناب عنه، ومتابعة الكتاب العزيز والسنة المطهرة دونه. فإنما قصدي نصرتما، لا مخالفتهما، فما أصبت فيه فمن الله سبحانه، وله فيه الحمد والمنة والشكر والثناء، وما أخطأت فيه، فالذنب فيه مني، ومن الشيطان، وعلي فيه البراءة منه والتوبة عنه، والاستغفار والتحذير. وأشد الكراهة أن أفرق بين كراهة ما صدر مني من البدع والخلاف، وما صدر من غيري بناء على عدم الإنصاف وركوب الاعتساف.

بل يجب أن أكون أشد كراهة لما صدر مني لأنه ذنب يضرني، وأؤاخذ بسببه، وذنب غيري، لا يضرني ولا أؤاخذ به.

والله سبحانه أسأل أن يسلمني من البدع والذنوب، ويغفر لي ما أخطأت فيه من الأصول والفروع، إنه واسع الغفران والرحمة، وهو حسبي وكفى في الآخرة والأولى.

والمحامي [عن] (3) السنة المطهرة، والكتاب العزيز، والذاب عنهما، كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وروح القدس مع من ذب عن دين الله، وسنة نبيه ونافح عنهما من بعده إيمانًا وحبًا ونصحًا له رجاء أن يكون من الخلف الصالح، والذين قال فيهم رسول الله ﷺ ﴿ يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،

(1) في الأصل (الأخرى) .

(2) طوى كشحه على الأمر : أي أضمره وستره ، القاموس (1 / 254) .

(3) في الأصل " على " .

وتأويل الجاهلين ﴾ [1] .

والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله، وما المراد إلا بيان الحق وانتصار الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما تطابق عليه القرآن الكريم والسنة الغراء. ولا أعيب على من خالفني في شيء، ولا يعاب التقصير فيه علي، لأني مقر به، وأهله، ومحله، مع الدعاء واللجأ إلى الله سبحانه أن يهديني للهدى، وييسر الهدى لي وقد وعد به في كتابه الحكيم مؤكدًا بمؤكدات فقال: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [2] [الليل: ١٢]، وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [3] [النحل: ٩]، هذا للخلق عموما، وللمؤمنين خصوصًا ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ [4] ... [التغابن: ١١].

وإنما يضل أكثر الخلف من تركهم العمل بآيات الله البينات والسنة وتطلبهم غيرها قال الله تعالى: ﴿ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه أحمد في " المسند " (٢ / ١٥٩ و٢٠٢) والخطيب في " شرف أصحاب الحديث " (٥ و٥٢-٥٨) والترمذي (٢٦٦٩) وابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٢ / ٤٠) وأبو خيثمة زهير بن حرب (٤٥) والدارمي (١ / ١٣٦) ورواه أيضًا أبو نصر السجزي في " الإبانة " وأبو نعيم وابن عساكر عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وهو مختلف في صحبته كذا في " جمع الجوامع " (ص ٩٩٥) . وسئل أحمد بن حنبل عن حديث معان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال رسول الله " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين " قيل لأحمد كأنه كلام موضوع قال هو صحيح . انظر " جمع الجوامع " و " شرف أصحاب الحديث " (٥٥) . والحديث أورده ابن عدي من طرق كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر ، وحسنه العلائي كما في " إرشاد الساري " (١ / ٤) وانظر " فتح الباري " (٦ / ٤٩٨) . وللمرتضى الزبيدي رسالة باسم " الروض المؤتلف في تخريج : يحمل هذا العلم) كما في " فهرس الفهارس " (١ / ٥٣٩) و " حركة التأليف في شبه القارة الهندية " . (ص ١٥٠) .

(٢) سورة الليل آية : ١٢ .

(٣) سورة النحل آية : ٩ .

(٤) سورة التغابن آية : ١١ .

شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ [1] [البقرة: ٢١١].

فليحذر من ذلك كل الحذر أي من عدم القنوع بما قنع به السلف من حجج الله، فياله من تخويف شديد، ووعيد عظيم.

وإنما يعرف الحق من جمع خمسة أوصاف [أعظمها] [2] الإخلاص والفهم والإنصاف ورابعها وهو أقلها وجودًا وأكثرها فقدانًا الحرص على معرفة الحق وشدة الدعوة إلى ذلك.

والبدع والمحدثات قد كثرت وقد عمت البلوى بالإشراك بها وكثر الدعاء إليها، والتعويل عليها، وطلاب الحق اليوم شبه طلابه في أيام الفترة وهم سلمان الفارسي [3] وزيد بن عمرو بن نفيل [4] وأضرابهما، فإنهم قدوة لطالب الحق وفيهم له أعظم أسوة لما حرصوا على الحق وبذلوا الجهد في طلبه حتى بلغهم الله إليه [وأوقفهم] [5] عليه وفازوا من بين العوالم الجمة. فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة وكم عمي عنه من طلبه في زمن النبوة، فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك الكرام، فإن الحق ما زال مصونا عزيزا نفيسا كريمًا، لا ينال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوق والإشراف إلى سببه، ولا يهجم على البطالين المعرضين ولا يناجي أشباه الأنعام الضالين.

ما أعظم المصاب بالغفلة، والاغترار بطول المهلة، فليعرف مريد الحق قدر ما هو طالبه، فإنه طالب لأعلى المراتب ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ ﴾ [6] [الإسراء: ١٩]، ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ [7] [البقرة: ٦٣]. فليس في الوجود بأسره أعز من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله، ومتابعتهم، ومعرفة ما جاءوا به،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١١ .

(٢) في الأصل " معظمها " .

(٣) أصله من خراسان وقيل من رامهرمز مات (سنة ٣٤ هـ) ، تقريب .

(٤) لم يدرك الإسلام مات قبل الهجرة بـ (١٧ سنة) ، انظر الإصابة (١ / ٤٥٣ طبع الحلبي) .

(٥) في الأصل " وأوفقهم " .

(٦) سورة الإسراء آية : ١٩ .

(٧) سورة البقرة آية : ٦٣ .

ولا تطلب ذلك أهون الطلب فإن طلبة الدنيا وزخارفها الفانية، يرتكبون الأخطار والمتالف الكبار، وينفق أحدهم غضارة عمره، ونضارة شبابه، وإبّان أيامه فيها، وهي لا تحصل لهم على حسب المراد، فكيف بما هو أبقى وخير منها؟ ولم يرفعوا له رأسًا ولم يبنوا له أساسًا.

وإنما أطلنا القول لأني أعلم بالضرورة في نفسي وغيري: أن جهل الحقائق أكثرها إنما سببه عدم الاهتمام بمعرفتها على الإنصاف، وترك الاعتساف، لا عدم الفهم والإدراك، فإن من [اهتم] [(١)] بشيء أدركه، فكيف لا يفهم طالب الحق مقاصد الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين، مع الاهتمام فيه، وبذل الجهد فيه، وحسن القصد ولطف أرحم الراحمين؟

ولا ينبغي لطالب الحق والصواب أن يصغي إلى من يصده عن كتب الله، وما أنزل فيها من الهدى والنور، والرحمة لطفًا للمؤمنين ونعمة للشاكرين، وليحذر كل الحذر من زخرفتهم وتشكيكهم، وليعتبر بقول الله لرسوله المعصوم ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [(٢)] ... الآية [الإسراء: ٧٣]، ويالها من موعظة موقظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولا يستوحش من ظفر بالحق بكثرة المخالفين، وليوطن نفسه على الصبر واليقين، نسأل الله تعالى أن يرحم غربتنا في الحق ويهدي ضالنا ولا يردنا عن أبواب رجائه ودعائه وطلبه ورحمته محرومين.

وخامسها وهو أصعبها المشاركة في العلم والتمييز والفهم والدراية حتى يتمكن من معرفة الحق ومقدار ما يقف عليه فيرغب فيه من غير تقليد، لأنه لا يعرف المقادير إلا ذو بصر نافذ، وفهم ماض، فإن عرضت له محنة، لم يتطير بطلب الحق، فيكون ممن يعبد الله على حرف، وليثق بمواعيد الله وقرب الفرج قال تعالى ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ

---

(١) في الأصل " هم " .

(٢) سورة الإسراء آية : ٧٣ .

ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] [النمل: ٧٩]، ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [2] [الروم: ٦٠]، وليعلم يقينًا أنه تعالى مع الصابرين والصادقين والمحسنين، وأن الله سبحانه ناصر من ينصره، وذاكر من يذكره [وإن سر رسول الله ﷺ في هذه الأمور عائد على متبعيه، ونصر الله شامل لناصريه] [3] .

وقد أمر الله تعالى بالمعاونة على البر والتقوى. وصح الترغيب في الدعاء إلى الحق والخير، وأن الداعي إلى ذلك يؤتى مثل أجور من اتبعه [4] .. ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعًا، ومن أمر بالصلاح والإصلاح ابتغاء مرضات الله فسوف يؤتيه أجرًا عظيمًا. وفي سورة العصر قصر السلامة من الخسر على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [5] [فصلت: ٣٣].

وأنا أستغفر الله، وأساله التجاوز عني والمسامحة في كل ما أخطأت فإني محل الخطأ والغلط، وأهله، وهو سبحانه أهل التقوى والمغفرة والسعة والمسامحة والغنى الأعظم والكرم الأكبر عن مضايقة المساكين والجاهلين إذْ كان الله سبحانه وتعالى غنًيا عن عرفان العارفين غير متضرِرِ بجهل الجاهلين.

وآخر كلامي كأوله أن الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وشفيع المذنبين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الراشدين المهديين إلى يوم الدين.

---

(١) سورة النمل آية : ٧٩ .

(٢) سورة الروم آية : ٦٠ .

(٣) لم يتضح لي مراد المصنف من هذه العبارة ولعله هناك سقط ، والله أعلم .

(٤) انظر صحيح مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله .

(٥) سورة فصلت آية : ٣٣ .

هذا وكان الفراغ من زَبْرِها [1] غداة يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين وألف في بلدة بوبال المحمية، صانا الله تعالى وأهلها عن جميع البلية والرَّزِيّة.

وأنا العبد الفقير إلى الله، الغني به عمن سواه، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القِنوجي، غفر الله زلّله، وأصلح خلله، وتقبل عمله، وبلغه أمله.

وقد جمعها تعليما لفلذة كبده، وأصغر ولده، وثمرة فؤاده، السيد علي بن صديق بن حسن [2] . فسح الله في علمه وعمره، وعمله وأمده، وبارك له وفيه، وكان مدى الأزمان في مدده، وسميتها:

" قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر"

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

نظم:

إني سألتك بالّله الذي خضعت ... له السماوات وهو الواحد الباري
إذا تأملت فاستغفر لجامعه ... لعل جامعه ينجو من النار

ثم أختم الكلام على هذا النظام :

نظم:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ و[يستجير] المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... لعظيم عفوك ثم إني مسلم

---

(١) الزبْر : هو الكتابة ، القاموس (١ / ٨٣٨) .

(٢) ولد عام (١٢٨٣ هـ) ، وله ترجمة في كتاب أبيه " أبجد العلوم " (٣ / ٢٨٢-٢٨٣) . قال أبو صهيب عاصم بن عبد الله : وكان الفراغ من التعليق على هذه الرسالة القيمة في أواخر شعبان لعام ١٤٠٤ . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبجد العلوم، صديق حسن خان، ط ١ المكتبة القدوسية، باكستان، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ط١ المنيرية، سنة ١٣٥١ هـ.

الإجماع لابن المنذر تحقيق د أبو حماد صغير أحمد، ط١ دار طيبة، سنة ١٤٠٢ هـ الرياض.

الإحكام في أصول الأحكام ابن حزم. تحقيق أحمد شاكر ط ١ السعادة، مصر، سنة ١٩٨٢ م.

إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، مطبعة لجنة الثقافة الإسلامية مصر سنة ١٣٥١ هـ.

الأدب المفرد البخاري.

الأذكار النووي، إحياء التراث، سنه ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ط ١ الحلبى، مصر سنة ١٣٥٨ هـ.

الاستقامة ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

الأسماء والصفات البيهقي، بتعليق الكوثري، دار العلم للتراث الإسلامي، بيروت.

بدعة التعصب المذهبي محمد عيد عباسي، ط ١ دمشق، دار الوعي العربي.

البدع والنهي عنها ابن وضاح القرطبي، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر.

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف جمال الدين المزي، ط ١ إشراف الشيخ عبد الصمد شرف الدين، نشر، الدار القيمة بومباي الهند، سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

الترغيب والترهيب المنذري، ط ١، السعادة، مصر، سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

تفسير ابن كثير ط دار الشعب، مصر.

تفسير الطبري، مصورة عن الأولى الأميرية، مصر، سنة ١٣٢٨ هـ.

تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر، دار المعارف، القاهرة.

تقريب التهذيب ابن حجر العسقلاني، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ابن حجر العسقلاني، تعليق عبد الله هاشم يماني، ط شركة الطباعة الفنية القاهرة، سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

تذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني، ط ١، دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٢٦هـ.

التوحيد وإثبات صفات الرب ابن خزيمة، راجعه الدكتور خليل هراس، مصورة عن دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٧٨ م- ١٣٥٨ هـ.

التوسل أنواعه وأحكامه الألباني ط ٢- الدار السلفية الكويت، سنة ١٤٠٠ هـ.

التوسل والوسيلة ابن تيمية، المطبعة السلفية، مصر، سنة ١٣٧٤ هـ.

التوصل إلى حقيقة التوسل محمد نسيب الرفاعي، ط ١، بيروت، سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

جامع الأصول في أحاديث الرسول ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، ط ١، دمشق، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر، دار الفكر، بيروت.

جامع الترمذي علق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

الجامع الصغير السيوطي، مع فيض القدير للمناوي، ط ٢، دار المعرفة، بيروت.

جامع العلوم والحكم ابن رجب، مصورة عن ط مصر. توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء.

جمع الجوامع السيوطي.

جهود مخلصة في خدمة السنة عبد الرحمن عبد الجبار، ط الهند، الجامعة السلفية بنارس.

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ط ١، المدني، القاهرة، مصر.

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة إسماعيل الأصفهاني، رسالة دكتوراة بتحقيق د محمد بن ربيع مدخلي، جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤ هـ.

حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشرقي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد د. جميل أحمد، وزارة الثقافة، دمشق، سنة ١٩٧٧ م.

حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني ط ٢ دار الكتاب العربي بيروت، سنة ١٣٨٧ هـ.

خلق أفعال العباد البخاري، ضمن "عقائد السلف" نشر مكتبة الآثار السلفية قناة المعارف، الإسكندرية، سنة ١٩٧١ م.

درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

الدر المنثور السيوطي، ط ١، دار الفكر بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المهولين الذهبي، حققه حماد الأنصاري، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، سنه ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

الرحلة في طلب الحديث الخطيب البغدادي، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية، الطائف.

رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد تحقيق محمد حامد الفقي، تصوير حديث أكاديمي فيصل آباد، سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

الرد على الجهمية الدارمي، ط ليدن.

رسالة في الاستواء والفوقية والحرف والصوت أبو عبد الله الجويني والد إمام الحرمين، المنيرية، ط ١، سنة ١٣٤٣ هـ.

الرسالة للشافعي، ط ١ البابي الحلبي، سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٤٠ م.

الروح ابن القيم، ط ٢، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، سنة ١٣٧٦ هـ.

رياض الصالحين النووي، تحقيق الألباني، ط ١ المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٧٩ م، ١٣٩٩ هـ.

الزهد للبيهقي، تحقيق تقي الدين الندوي، ط ٢، دار العلم، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة الألباني، المجلد الأول، ط ٤، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة الألباني، المجلد الثاني، ط ١، عمان، سنة ١٣٩٩ هـ. المكتبة الإسلامية، عمان.

سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني، ج ١، المكتب الإسلامي، بيروت.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني ج ٢ المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ج ٣، الدار السلفية، الكويت، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

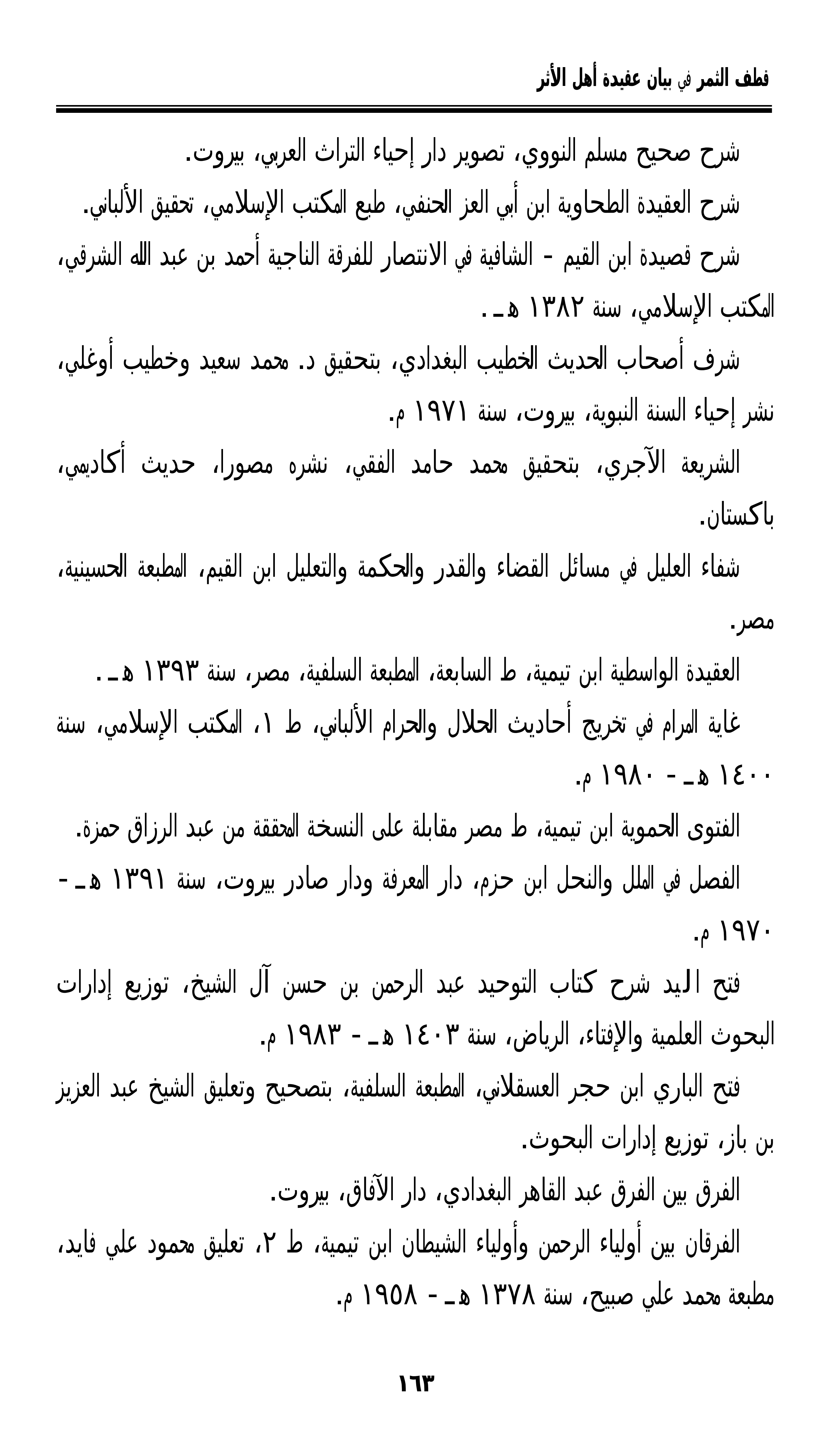
سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني ج ٤ ط ١، الدار السلفية، المكتبة الإسلامية، عمان.

سنن ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، مصر.

سنن أبي داود السجستاني، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء السنة النبوية، بيروت.

سنن الدارقطني بتصحيح عبد الله هاشم يماني، طبع دار المحاسن، القاهرة.

سنن الدارمي بعناية محمد أحمد دهمان، نشر دار إحياء السنة، بيروت.
السنن الكبرى للبيهقي، تصوير دار الفكر، بيروت.
سنن النسائي (المجتبى) تصوير دار الفكر، بيروت.
السنة أحمد بن حنبل، طبع مع الرد على الجهمية لأحمد أيضًا، بتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، الرياض.
السنة عبد الله بن أحمد بن حنبل، ط ١، المطبعة السلفية بمكة، سنة ١٣٤٩ هـ.
السنة محمد بن نصر المروزي، دار الثقافة الرياض، ودار الفكر.
شرف أصحاب الحديث الخطيب البغدادي، تحقيق د. أوغلي، دار إحياء السنة، بيروت، سنة ١٩٧١ م.
صحيح البخاري، الملط مع شرحه فتح الباري، المطبعة السلفية، مصر.
صحيح الترغيب والترهيب الألباني، المجلد الأول، المكتب الإسلامي.
صحيح الجامع الصغير الألباني، المكتب الإسلامي.
صحيح مسلم، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
الصفات الدارقطني، تحقيق د. علي ناصر الفقيهي، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
ضعيف الجامع الصغير الألباني، ط ٢، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ط ٢ السلفية، مصر، سنة ١٣٩٤ هـ.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، مصر، سنة ١٣٥٠ هـ.
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض.
شرح السنة البغوي، تحقيق شعيب أرناؤوط وزهير شاويش، المكتب الإسلامي، ط ١، سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٧١ م.



شرح صحيح مسلم النووي، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.

شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، طبع المكتب الإسلامي، تحقيق الألباني.

شرح قصيدة ابن القيم - الشافية في الانتصار للفرقة الناجية أحمد بن عبد الله الشرقي، المكتب الإسلامي، سنة ١٣٨٢ هـ.

شرف أصحاب الحديث الخطيب البغدادي، بتحقيق د. محمد سعيد وخطيب أوغلي، نشر إحياء السنة النبوية، بيروت، سنة ١٩٧١ م.

الشريعة الآجري، بتحقيق محمد حامد الفقي، نشره مصورا، حديث أكاديمي، باكستان.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم، المطبعة الحسينية، مصر.

العقيدة الواسطية ابن تيمية، ط السابعة، المطبعة السلفية، مصر، سنة ١٣٩٣ هـ.

غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام الألباني، ط ١، المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

الفتوى الحموية ابن تيمية، ط مصر مقابلة على النسخة المحققة من عبد الرزاق حمزة.

الفصل في الملل والنحل ابن حزم، دار المعرفة ودار صادر بيروت، سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٠ م.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

فتح الباري ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، بتصحيح وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، توزيع إدارات البحوث.

الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق، بيروت.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية، ط ٢، تعليق محمود علي فايد، مطبعة محمد علي صبيح، سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.

فضائل القرآن أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، رسالة ماجستير، تحقيق محمد تجاني جوهري. جامعة أم القرى، سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي ط ٢، دار المعرفة بيروت، سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م.

القاموس المحيط الفيروز آبادي، تصوير مكتبة التربية للطباعة والنشر، بيروت.

ك العمال في سن الأقوال والأفعال المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

الكواشف الجلية عن معاني الواسطية عبد العزيز السلمان، ط ١٠، الرياض.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية السفاريني، ط علي نفقة حاكم قطر الشيخ علي آل ثاني.

ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة القويمة البرهان الألوسي، ط، المكتب الإسلامي بتخريج الألباني، سنة ١٣٩١ هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي، طبع مصر، القدسي.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمعها عبد الرحمن بن قاسم.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن القيم، ط ١ المطبعة السلفية، مكة، سنة ١٣٤٨ هـ على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود.

مختصر العلوّ للعلي الغفار الألباني، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، المكتب الإسلامي، بيروت.

مسائل الإمام أحمد سليمان أبو داود بن الأشعث، ط ١، رشيد رضا، سنة ١٣٥٣ هـ.

المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري، تصوير دار الفكر بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

المسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، ط ٢، دار المعارف، مصر.

المسند أحمد بن حنبل، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨ م.

مشاهير علماء نجد وغيرهم عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط ٢، اليمامة للبحث والترجمة، سنة ١٣٩٤ هـ.

مشكاة المصابيح الخطيب التبريزي، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، سنه ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

معجم الأدباء ياقوت حموي، مكتبة القراءة والثقافة، بمصر.

معجم البلدان ياقوت حموي، دار صادر، بيروت.

المعجم الصغير الطبراني، ط الهند.

الملل والنحل الشهرستاني، بهامش الفصل، دار المعرفة والصادر ببيروت، سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

المناظرة في العقيدة الواسطية بين شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء عصره نقلها الشيخ عز الدين على لسان ابن تيمية ط ٥، نشرها محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، سنة ١٣٩٣ هـ.

موارد الظمآن في زوائد ابن حبان الهيثمي، ط مصر السلفية، علق عليها محمد عبد الرزاق حمزة.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي، تعليق علي محمد البجاوي ط ١، طبع البابي الحلبي، سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

نزل الأبرار صديق حسن خان، دار الباز للنشر والتوزيع.

ال ول الدارقطني، تحقيق د. علي ناصر فقيهي، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

نظام الطلاق في الإسلام أحمد شاكر، ط ٢، مكتبة النجاح مصر، ١٣٨٩ هـ.

النهاية في غريب الحديث ابن الأثير، تصوير المكتبة الإسلامية، بيروت.

نوادر الأصول الحكيم الترمذي، دار صادر، بيروت.

نيل الأوطار الشوكاني، ط، البابي الحلبي، سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

هدي الساري ابن حجر، (مع فتح الباري) المطبعة السلفية، مصر، توزيع إدارات البحوث بالرياض.

مسائل الجاهلية

التي خالف فيها رسول الله  أهل الجاهلية

ألف أصلها

الإمام شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥- ١٢٠٦ هـ)

وتوسع فيها على هذا الوضع علامة العراق

السيد محمود شكري الألوسي

أشرفت وكالة شؤون المطبوعات والنشر بالوزارة على إصداره

عام ١٤٢٢ هـ

مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) رافع لواء الهدى في العالمين وبعد فإن الخلفاء الراشدين ورجال الدولة في زمن بنى أمية كانوا يعهدون بلواء الإسلام إلى السواعد العربية تخوض به الآفاق شرقًا وغربًا، وإلى الألسنة العربية تدعو إليه بادية وحاضرة، فكانت الدولة على اتصال بجزيرة العرب تغذي الجيش من فتيانا، وتعنى بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم، وتوسد الأمور في الأقطار إلى النوابغ من عقلائهم وحكمائهم، فكان الإسلام غضًا في جزيرة العرب، وهدايته معمولا با تحت الخيمة وفي بيت الشعر وبين جذوع النخيل فما برح الإسلام بذلك منصورًا، وممالكه بازدياد، والناس يدخلون في دين الله شعوبًا وأممًا، إلى أن استدار الزمان مرة أخرى فجرب الخلفاء من بنى العباس الاعتماد على أهل السياسة والحمية الدنيوية من الفرس في إقامة دعائم ملكهم، ولم يكن أهل السياسة والدنيا منهم كما كان أهل التقوى والدين، فأبدت الوسية نواجذها، ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظلت على ذلك إلى زمن أمير المؤمنين المعتصم فأخذ دفة السفينة من أيدي الفرس وأسلمها إلى أيدي غلمانه من الترك، فنهض من شر واحد ووقع في شرين: لأن للفرس سابقة وحضارة ليس لهؤلاء مثلهما. وفي هذه الحادثة يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده:

[خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه، وبئس ما صنع بأمته ودينه. أكثر من ذلك الجند الأجنبي، وأقام عليه الرؤساء منه. فلم تكن إلا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء، واستبدوا بالسلطان دونم وصارت الدولة في قبضتهم، ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الإسلام، والقلب الذي هذبه الدين، بل جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل، يحملون ألوية الظلم، لبسوا الإسلام على أبدانم، ولم ينفذ منه شيء إلى وجدانم، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه يعبده في خلوته ويصلي مع الجماعات لتمكين

سلطته...] منذ تلك الأزمان وجزيرة العرب مهملة: لا تعنيها الدولة، ولا تستعين بها. وكانت نتيجة ذلك أن "الجاهلية" عادت إلى جزيرة العرب واستقرت فيها قرونًا طويلة.

ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجل عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضومًا فيهم، وأعني به الرجل المصلح، داعية العرب والمسلمين للرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب، هذا الرجل نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء: العصبية الجاهلية كالتي نهى عنها هادي البشر (محمد) ﷺ ودعاء غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته، والاحتيال بمختلف الأسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي كان قبل مبعثه ﷺ ثم التقاطع والتفرق، والتواصي بالباطل دون الحق، والاعتداء على حق الغير، والعطالة، والكسل، والخرافات والأوهام، والضغينة، والفوضى، والقذارة، والمكر، والخداع، وعدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده. هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه وفي بلاده، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الإنسانية من هذه الشوائب، فقال في نفسه: - إذن نحن في مثل ما كان عليه أهل الجاهلية!

حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض، وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله.

قلت إنه كان رجلا عظيما، لأنه ثبت في جهاده إلى أن لقي ربه، فحول الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة إليها، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهده في مصر والشام والعراق من فضائح، ويحجون بقلوب لا متسع فيها لغير الإيمان بالله، وكل رجل منهم عنده كفنه يحمله مع سلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد. إن تحويل هذه الأمة عما كانت عليه إلى ما صارت إليه ليس من الأمور الهينة، وأنا كلما تصورت في ذهني عظمة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل في نظري كثير من الشخصيات التي أنا معجب بها، فأنظر إليه بعين الإكبار والإجلال. نعم، كان في نجد جمود وشدة، لكنهما ناشئان عن

عزلة النجديين في بلاد م وية عن ممر الأمم، وأنا على يقين بأن اتصال نجد بالحجاز واتصال النجديين والحجازيين بحجاج الأقطار، وازدياد عدد الحجيج باستتباب الأمن ورسوخه، سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الإسلامي جميعًا.

وبعد فإن هذه الرسالة إحدى نظرات محمد بن عبد الوهاب إلى المرض العام الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين بأعراضه، والظاهر أنه جعلها رءوس أقلام ليتوسع فيها يومًا ما فلم يتيسر ذلك له وقد طبعت في الهند على اختصارها الذي جعلها بمقام فهرس للمسائل المائة التي خالف فيها رسول الله  أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين، ولما رأى علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله اختصارها، وأدرك أنا ليست تأليفًا ولكنها مذكرة لتأليف، عمد إلى شرحها. ولا أعني شرح ألفاظها بل شرح معانيها، أي أنه أتم العمل الذي كان يريد المصلح النجدي العظيم أن يتمه.

ولما كان كتاب السيد محمود شكري الألوسي لا يزال مخطوطًا يخشى أن تجتاحه الجوائح، فقـد رأى صديقي أديب العراق السيد محمد بجة الأثرى -وهو خير من أنجبهم العلامة الألوسي- أن يجعل هذا الكتاب هديته إلي عند زيارته القاهرة في شهر صفر سنه ١٣٤٧ هـ ـ، ورأيـت من قدر هذه الهدية عندي أن أبادر إلى طبعها ووضعها بين أيدي الناس تعميما لفائدتا وأن أجعلها هدية المكتبة السلفية إلى سيد شباب هذه الدعوة الأمير فيصل السعود لأنه كما ورث حُماتا بآبائه ورث صاحب الدعوة نفسه من طرف أمه، فلم أجد أحدًا أولى با منه.

والله ولي التوفيق.

القاهرة: ١٢ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ　　　　　**محب الدين الخطيب**

مقدمة محمود شكري الألوسي البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للدين المبين، وأنار لنا الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد فيقول العبد المفتقر إلى عفو الله وغفرانه محمود شكري الألوسي البغدادي كان الله تعالى له، وأحسن عمله: إني قد وقفت على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة من المسائل التي خالف فيها رسول الله  أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين، ألفها الإمام محيي السنة، ومجدد الشريعة النبوية، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، تغمده الله تعالى برحمته. فرأيتها في غاية الإيجاز، بل كادت تعد من قبيل الألغاز، قد عبر عن كثير منها بعبارة مجملة، وأتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة. حتى إن من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب، قد عدت فيه المسائل من غير فصول ولا أبواب، ولاشتمالها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها إلى منازل الرحمة، أحببت أن أعلق عليها شرحًا يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل.

مقتصرًا فيه على أوضح الأقوال، ومبيِّنًا ما أورده من برهان ودليل، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين، ويهدي به من يشاء من عباده المتقين. فيكون سببًا للثواب، والفوز يوم العرض والحساب، والأمن من أليم العذاب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف رحمة الله تعالى عليه: هذِهِ مَسائِلُ خالفَ فيها رسول الله ﷺ ما عَلَيْهِ أهلُ الجاهِلِيةِ الكِتابِيينَ والأميينَ، مِما لا غِنى لمُسْلِمٍ عَنْ مَعْرِفَتِها. فالضد يظهِرُ حُسْنَهُ الضد وَبِضِـدهـا تتميز الأشْيـاءُ وَأهَم ما فيها وَأشَدُه خَطَرا، عَدَمُ إيمانِ القَلْبِ بِما جاءَ به الرسولُ ﷺ فَإنِ انْضافَ إلى ذلكَ اسْتِحْسانُ دِينِ الجاهِلِيةِ والإيمانُ بِهِ، تَمتِ الخَسارةُ والعياذُ باللّهِ تعالى، كما قال تعالى [العنكبوت: ٥٢]:... ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾ (١) .

دعاء الصالحين

(المسألة الأولى): أنهم يَتَعَبدونَ بإشْراكِ الصالِحينَ في دعاء اللِه تعالى وعبادته، وَيَرَوْنَ ذلكَ مِنْ تَعْظيم الصالِحينَ الذي يُحِبهُ الله، وُيريدونَ بِذلكَ شَفاعَتهم عند الله لِظَنهم أنهم يُحِبونَ ذلكَ كَمـا قالَ تَعالى في أوائِـلِ [الزمـر٢-٣]: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ (٢) .... وقالَ تعالى [يونس: ١٨]: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٣) ... وهذِهِ أعظمُ مسألة خالَفَهم فيها رَسول الله ﷺ فَأتى بالإخلاص، وأخْبَرَهم أنه دِينُ الله الذي لا يُقْبَلُ مِن أحَدٍ سِواهُ وأن مَنْ فَعَلَ ما يسْتَحْسِنونه، حَرَمَ الله عليه الجَنةَ، ومأواه النارُ.

وهذه المسألةُ هي الدينُ كُلُهُ، وَلأجْلِها تَفَرقَ الناسُ بينَ مسلمٍ وكافِرٍ، وعندَها وَقَعَتِ العَداوةُ، ولأجلِها شُرِعَ الجهادُ؛ كما قالَ تعالى في [البقرة: ١٩٣]: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ ﴾ (٤) ...

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .
(٢) سورة الزمر آية : ٢ - ٣ .
(٣) سورة يونس آية : ١٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٣ .

التفرق

(الثانية): أنهم متفرقون، ويرون السمع والطاعة مهانةً ورذالةً. فأمرهم الله بالاجتماع، ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره [آل عمران: ١٠٢ -١٠٣]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١) .

يُقالُ: أرادَ سُبحانه بما ذُكرَ ما كانَ بين الأوسِ والخزرجِ مِنَ الحُروبِ التي تطاولت مِائةً وعِشرينَ سَنَةً، إلى أنْ ألفَ سُبحانَه بينهم بالإسلام، فَزالتِ الأحقادُ، قاله ابنُ إسحاق، وكان يومُ بُعاث آخِرَ الحُروبِ التي جَرَت بينهم، وقد فُصلَ ذلكَ في "الكامل " ومِن الناسِ مَن يقولُ: أراد ما كان بيْنَ مُشركي العَرَبِ مِنَ التنازعُ الطويلِ والقتالِ العريضِ، ومنه حربُ البَسوسِ، كما نُقلَ عن الحَسَنِ رضي الله عنه. وَقَالَ تعالى [التغابن: ١٦]:

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ (٢) . إلى غيرِ ذِلكَ من الآياتِ الناصةِ على النهي عنِ الاستبدادِ والتفرقِ وعَدَمِ الانقيادِ والطاعة مِما كانَ عليه أهلُ الجاهِلية.

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) سورة التغابن آية : ١٦ .

مخالفة ولي الأمر

(الثالثة) أن مُخالَفةَ ولي الأمْرِ، وعَدمَ الانقيادِ له عندهم فضيلةٌ، وبعضهم يجعلُه دينا. فخالفهم النبي ﷺ في ذلك، وأمرهم بالصبْرِ على جَوْرِ الوُلاةِ والسمعِ والطاعة والنّصيحةِ لَهُمْ، وَغَلظ في ذلك وأبدى وأعادَ. وهذه الثلاثُ هي التي وَرَدَ فيها ما في الصحيح عنه ﷺ ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تُشرِكوا به شيْئا، وأنْ تَعْتصِموا بِحَبل الله جَمِيْعا، وأن تُناصِحوا مَنْ وَلاهُ الله أمرَكُم ﴾ (1) . وروى البُخاري عن ابنِ عباس عن النبي ﷺ قال: ﴿ مَن كَرِهَ مِنْ أميره شيْئا، فلْيصْبِرْ، فإنه مَنْ خَرَجَ مِنَ السلطانِ شِبْرًا، مات مِيْتةً جاهِلِيةً ﴾ (2) وَروى أيْضًا عن جُنادةَ بنِ أبي أُمية، قال: دَخَلنا على عُبادةَ بنِ الصامِتِ وهو مريضٌ، فَقُلْنا: أصلَحَكَ الله، حَدثْ بِحَديثٍ يَنفَعُكَ الله بِهِ سَمِعْتَهُ مِن النبي ﷺ قال: ﴿ دَعانا النبي ﷺ فَبايَعنا، فكان فيما أخَذَ عَليْنا أنْ بايَعَنا على السمْعِ والطاعَة في مَنْشَطِنا وَمكْرهِنا وعُسْرِنا وَيسْرِنا وأثَرَةٍ علينا، وأنْ لا نُنازعَ الأمرَ أهلَهُ، إلا أن تَرَوْا كُفرًا بَواحًا عندكـم من الله فيه برهانٌ ﴾ (3) . والأحاديثُ الصحيحةُ في هذا البابِ كثيرة، ولم يقعْ خَلَلٌ في دِينِ الناسِ أو دُنياهُم إلا من الإخلالِ بِهذِه الوَصِيةِ.

التقليد

(الرابعة): أن دِينَهم مَبْني على أُصولٍ أَعْظَمُها التقْليدُ، فهوَ القاعدةُ الكُبرى لجميعِ الكفارِ مِنَ الأولينَ والآخِرينَ: كما قال تعالى في [الزخرف: ٢٣- ٢٤]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ

(1) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .
(2) البخاري الفتن (٦٦٤٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .
(3) البخاري الفتن (٦٦٤٧) ، النسائي البيعة (٤١٥٤) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٦) ، أحمد (٣٢٥/٥) ، مالك الجهاد (٩٧٧) .

كَفِرُونَ ﴿٢٤﴾ } (١). فَأمَرَهُمُ الله تعالى بقوله في [الأعراف: ٣]: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢).

وقالَ تعالى: [البقرة: ١٧٠]: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ } (٣) إلى غير ذلكَ مِما يَدُل على أن أهلَ الجاهِلية كانوا في رِبْقَةِ التقليدِ، لا يُحكمونَ لهم رَأْيا، وَلا يُشْغِلون فِكرًا؛ فلِذلِكَ تاهوا في أودِيَة الجَهالَة. وهكذا كُل مَنْ سَلَكَ مَسْلَكهم في أي عصرٍ كانَ.

الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل

(الخامسة): الاقتداءُ بِفَسَقةِ أهلِ العِلْمِ وجهالِهم وعبادِهم فَحَذرَهُم الله تعالى مِن ذلكَ بقوله [التوبة: ٣٤]: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ (٤) وقالَ تعالى [المائدة: ٧٧]: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٥). إلى آيات أُخَرَ تُنادي بِبُطلانِ الاقْتِداءِ بالفُساقِ وَأهْلِ الضلالة والغي، وذلِكَ مِنْ سَنن الجاهِلية وطرائِقهمُ المِعْوَجة.

الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل

(السادسة): الاحتِجاجُ بِما كانَ عليه أهلُ القرونِ السالِفَة، مِن غَير تَحكيم العَقْلِ، والأخْذِ بالدليل الصحيح. وقد أبطَلَ الله تعالى ذلكَ بِقولِه في [طه: ٤٩-٥٤]: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ

(١) سورة الزخرف آية : ٢٣ - ٢٤ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٠ .
(٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٧ .

ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ﴾ [1] إلخ.

وقال تعالى في [القصص: ٣٦-٣٧]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [2] وقال عز ذكره في سورة [المؤمنون: ٢٣-٢٥]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [3].

وقال تعالى في [ص:٦-٧]: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [4].

فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل أنه لم يكن عليه أسلافهم، ولا عرفوه منهم، فانظر إلى سوء مداركهم، وجمود قرائحهم، ولو كانت لهم أعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها، لعرفوا الحق بدليله، وانقادوا لليقين من غير تعليله، وهكذا أخلافهم ووراثهم، قد تشابهت قلوبهم.

(١) سورة طه آية : ٤٩ - ٥٤ .
(٢) سورة القصص آية : ٣٦ - ٣٧ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٣ - ٢٥ .
(٤) سورة ص آية : ٦ - ٧ .

الاحتجاج على الحق بقلة أهله

(السابعة): الاعْتِمادُ عَلى الكَثْرةِ، والاحْتِجاجُ بالسوادِ الأعْظمِ والاحْتِجاجُ عَلى بُطْلانِ الشيْءِبِقلةِ أهلِهِ. فَأنْزَلَ الله تَعالى ضِد ذَلكَ وما يُبطِلُه، فَقَالَ في [الأنعام: ١١٦-١١٧]: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [(١)].

فالكثرةُ على خِلافِ الحَق لا تستوجِبُ العُدول عَنِ اتباعِهِ لِمَنْ كانَ لَهُ بَصيرةٌ وَقَلب، فالحق أحَق بالاتباع، وإن قَل أنصارُهُ؛ كما قال تعالى [ص: ٢٤]: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾ [(٢)]، فأخْبَرَ الله عن أهلِ الحَق أنهم قليلون. غيرَ أن القلةَ لا تَضرهُمْ. ، فأخْبَرَ الله عن أهلِ الحَق أنهم قليلون. غيرَ أن القلةَ لا تَضرهُمْ.

تُعَيرُنا أنا قَليلٌ عَدِيدُنا فَقُلْتُ لَهُمْ إن الكِرامَ قَليلُ[(٣)]

فالمقصودُ أن مَن لَهُ بَصيرةٌ ينظرُ إلى الدليلِ، ويأخذُ ما يَسْتَنتِجُهُ البُرْهانُ، وإنْ قَل العارِفونَ بِهِ، المُنْقادونَ لَهُ، ومن أخَذَ ما عَليه الأكثرُ، وما أَلِفَتْهُ العامةُ من غيرِ نظرٍ لدليلٍ فهو مخطئٌ، سالك سبيلَ الجاهِلية، مقدوحٌ عند أهلِ البصائرِ.

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا

(الثامنة) الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا. فرد الله تعالى ذلك بقوله في [هود: ١١٦]: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦ - ١١٧ .
(٢) سورة ص آية : ٢٤ .
(٣) للسموأل .

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ }[1]

ومعنى الآية: (فَلَوْلَا كَانَ) تحضيضٌ فيه معنى التفجع، أي: فهل كان (مِنَ القُرونِ) أي الأقوام المقترنة في زمان واحد ﴿ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾[2] أي ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل، أو ذَوو فضل، على أن يكون البقية اسمًا للفضل، والهاءُ[3] . للنقل، ومن هنا يقال: فلان من بقية القوم، أي: من خِيارهم، ومنه قولهم في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾[4] الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قَصَصهم، وفُسر الفساد بالكفر وما اقترن بـه من المعاصـي، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ ﴾[5] استثناءٌ منقطعٌ، أي وَلَكِن قليلا منهم أنْجَينا لِكَونِهم كانوا ينهون.

انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم

(التاسعة):الاسْتِدلالُ على المطلوب، والاحتجاجُ بِقومٍ أُعْطوا مِن القوةِ في الفَهْمِ والإِدْراكِ، وفي القُدْرَةِ والمُلْكِ؛ ظنًا أن ذلك يَمْنعُهم من الضلالِ. فَرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في [الأحقاف: ٢٤-٢٦]: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[6] . ومعنى

---

(١) سورة هود آية : ١١٦ .
(٢) سورة هود آية : ١١٦ .
(٣) أي هاء التأنيث في " بقية " .
(٤) سورة هود آية : ١١٦ .
(٥) سورة هود آية : ١١٦ .
(٦) سورة الأحقاف آية : ٢٤ - ٢٦ .

الآية: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ ﴾ [1] أي: قوّينا عادًا وأقدرناهم، و "ما" في قولِهِ تعالى: فِيمَا إنْ مَكناكُمْ فِيهِ موصولةٌ أو موصوفةٌ و "إن" نافية، أيْ: في الذي، أو في شيءٍ ما مكناكم فيه من السعَةِ والبَسْطَةِ وطُولِ الأعمارِ وسائرِ مَبادئ التصَرفاتِ كما في قولِهِ تعالى [الأنعام:٦] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ [2] ، ولم يَكن النفيُ بلفظِ "ما" كراهة لِتكريرِ اللفظِ، وإنِ اخْتَلَفَ المعْنى، ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ ﴾ [3] لِيَسْتَعْمِلوها فِيما خُلِقَتْ لَهُ، ويَعْرِفوا لكُل مِنْها ما نِيطَت بِهِ مَعْرِفَتُه مِن فُنونِ النعَمِ، ويُستَدَل بِها على شُؤونِ مُنعِمِها ﷻ ويُداوموا على شُكْرِهِ جَـل ثَناؤُه ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ ﴾ [4] حَيثُ لم يَسْتَعْمِلوه في اسْتِماعِ الوحي ومواعِظِ الرسلِ، ﴿ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ [5] حَيثُ لم يَجْتَلوا بِها الآياتِ التكوِينيةَ المَرسومةَ في صحائفِ العالمِ، ﴿ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم ﴾ [6] حَيثُ لم يَسْتَعْمِلوها في معرفة الله تعالى ﴿ مِّن شَيۡءٍ ﴾ [7] أيْ: شَيْئًا من الأشيـاءِ، و"مِـن" مَزيدَةٌ للتوكيـدِ. وقـولُه: ﴿ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [8] تَعليل للنفيِ ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [9] مِن العذابِ الذي كانوا يَستعجِلونَه بطريقِ الاستهـزاءِ، ويَقُولـونَ: ﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٦ .
(٣) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٤) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٥) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٦) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٧) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٨) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٩) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقومٍ أُعْطُوا مِن القوة في الفهم والإدراك وفي القدرة والملك؛ ظنًا أن ذلك يمنعهم من الضلال.

ألا ترى أن قوم عادٍ كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال والأبدان والإدراك وسعة الأذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الإسلام، ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا الرسل بالأباطيل، فالتوفيق للإيمان بالله ورسله، والإذعان للحق، وسلوك سبيله إنما هو فضلٌ من الله تعالى لا لكثرة مالٍ ولا لحُسْن حالٍ.

ومَنْ يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسنُ حالا منه لم يقبله، ولم يحكم عقله، ويتبعْ ما يوصله إليه الدليل، فقد سلك سبيل الجاهلية، وحاد عن المحجة المرضية. ومثلُ هذه الآية قوله تعالى [البقرة: ٨٩]: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [2] كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمدٍ ﷺ وأن الله سيرسل نبيا كريما من العرب، وكانوا من قبلُ يستفتحون على المشركين ببعثته، ويقولون. يا ربنا أرسل النبي الموعود إرساله؛ حتى ننتصر على الأعداء، فلما جاءهم ما عرفوا، وهو محمد ﷺ كفروا به؛ حسدًا منهم أنْ تكونَ النبوةُ في العرب، وهم بزعمهم أحسنُ أثاثا ورئيا، ولم يعلموا أن النبوة والإيمان بها فضلٌ من الله يؤتيه من يشاء. ومثلها أيضا قوله تعالى [البقرة: ١٤٦-١٤٧]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [3]. الضميرُ في قوله: (يعرفونه) عائد على العلم في قوله [البقرة:١٤٥]: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ٨٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٦ - ١٤٧ .

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [1] ، فَكِتمانُهم الحق، وعَدَمُ جَرْيهم على مُقتضى عِلْمِهم لما فيهم مِن الجاهِلية، والاعتقادِ أن فضلَ الله مقصورٌ عليهم، لا يَتَعداهم إلى غيرهم وآيةُ [الأنعام: ١٩ - ٢٠] موافقةٌ لهذه الآيةِ لفظًا ومعنًى، وهي قولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] .

انخداع أهل الثروة بثروتهم

(العاشرة): الاسْتدلالُ بعطاءِ الدنيا على مَحَبةِ الله تعالى قال سُبحانَه [سبأ: ٣٤-٣٩]: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3] . وقال في سورة "القصص" [٤٦-٥٠]: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ

(١) سورة البقرة آية : ١٤٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٩ - ٢٠ .
(٣) سورة سبأ آية : ٣٤ - ٣٩ .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١) وفي آيات أخرى في سورة [القصص ٧٦ - ٧٨] يقول الله سبحانه ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢) .

فقدْ كفانا الله تعالى إبطالَ هذِهِ الخَصْلة الجاهِلية بقولـه في الآية الأولى [سبأ: ٣٦]: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٣) ، وفي الآية الأخرى بقوله [القصص: ٧٨]: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ (٤) إلخ، فَعَلِمْنا مِن ذلك أن محبة الله ورضاء الله إنما يَكون بطاعَتِهِ والانقياد لرسِلِه، والإذعانِ للحق باتباعِ البُرهانِ. وأما كثرةُ المالِ وسَعَةُ الرزقِ وعيشُ الرخاءِ، فلا دليلَ فيه على نجاةِ المُنْعِمِ عليه بمثلِ ذلك، ولو كانتِ الدنيا وما فيها تُعادِل عند الله جَناحَ بعوضة ما سَقى مَنْ عصاه شربةَ ماءٍ. قالَ سُبحانه [الزخرف: ٣٣]: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ

(١) سورة القصص آية : ٤٦ - ٥٠ .
(٢) سورة القصص آية : ٧٦ - ٧٨ .
(٣) سورة سبأ آية : ٣٦ .
(٤) سورة القصص آية : ٧٨ .

وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1]. وعلى ذلك قول القائل: [2]

كمْ عالم عالِم أعْيتْ مَذاهِبُهُ وجاهِل جاهِل تَلقاهُ مَرْزوقا[3]

ومما يُنْسَبُ لِبعضِ الأكابِر:

رضينا قِسْمَةَ الجَبارِ فينا لَنا عِلم وَللأعْداء مالُ

فإن المال يَفْنَى عَنْ قريبٍ وَإن العِلْـمَ بـاقٍ لا يَـزالُ

والشواهِدُ كثيرة. والمقصودُ أن ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلية مِنْ كون زَخارِف الدنيا مِن الأدلة على قُربِ مَن حازَها مِن الله وقَبوله عندَه فقول بعيد عن الحق، ومذهب باطلٌ لا ينبغي لِمَنْ له بصيرة أنْ يُعَول عَلْيه.

الاستخفاف بالحق لضعف أهله

(الحادية عشرة): الاسْتِدلالُ على بُطْلانِ الشيء بأخذِ الضعَفاءِ بِه، وضَعفِ فَهم من أخَذَ به، على ما يَدُل عليه قولُ قومِ نوح له كما حَكاه عنهم الكِتابُ الكريمُ. قالَ تعالى في سورةِ [الشعراء: ١٠٥ - ١١٥]: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ ﴾ [4].

فانْظُرْ إلى قومِ نُوح كَيفَ اسْتنكفوا مِن اتباعِ نَبيهم لِسَبَبِ اتباعِ الضعفاءِ له، وَذَلكَ لِكونِ مَطْمَحِ أنظارِهِم الدنْيا، وإلا لو كانت الآخرةُ هَمهم، لاتَبعوا الحَق أَيْنما وَجَدوهُ،

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٣ .

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الرواندي الملحد .

(٣)وبعده : هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا .

(٤) سورة الشعراء آية : ١٠٥ - ١١٥ .

ولكن لجاهليتهم أعْرَضوا عَن الحق لاتباع شَهَواتِهم، وانْظُر إلى هِرَقْلَ لَما كان من العَقْل والبَصيرةِ على جانبٍ عظيمٍ، اعتقدَ اتباعَ الضعفاءِ دليلاً على الحَق. فقال في جُملةِ ما سألَ أبا سُفْيانَ عن رسول الله ﷺ . "وَسَألتُكَ عن أشْرافِ الناسِ اتبعوه أم ضُعفاؤهم؟ فَذَكَرْتَ أن ضُعَفاءَهم اتبعوه، وهم أتباعُ الرسُل".

ومِثْلُ ذلكَ قوله تعالى في سُورةِ [هُوْدٍ: ٢٥-٢٧]: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] .

وصم أنصار الحق بما ليس فيهم

(الثانية عشرة) من خصالِ أهل الجاهلية: رمي مَن اتبعَ الحَق بِعَدَمِ الإخلاصِ، وطَلبِ الدنيا. فَرَد الله عَليهم بقولِ نَبيهم الذِي حكاهُ الله عن نوحٍ في الآيات المذكورة في المسألةِ الحاديةَ عشرةَ، بقوله [الشعراء: ١١١- ١١٥] ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [2] . ومقصودُهم أن أتباعَكَ فقراءُ، آمنوا بِكَ؛ لِينالوا مقصدَهُمْ مِن العَيشِ، لا أن إيمانَهم كان لِدَليلٍ يَقْتَضي صِحةَ ما جئتَ بِهِ؛ فَلِهذا رَد عَليهم بِما رَد.

التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء

(الثالثة عشرة) من خصالِ الجاهِلية الإعراضُ عَن الدخولِ في الحَق الذي دَخَلَ فِيهِ الضعَفـاءُ؛ تَكَبرًا وأنفَةً. فرد الله تعالى عَلَيْهم ذِلكَ بقولِهِ في سُورةِ [الأنعام ٥٢-٥٣]: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ

(١) سورة هود آية : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سورة الشعراء آية : ١١١ - ١١٥ .

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (1) ومثلُ ذلكَ قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (2) وغير ذَلِكَ.

وحاصلُ الرد أن مَن آمنَ مِن هؤلاءِ الضعفاءِ، إنما كانَ إيمانُه عَن بُرهانٍ، لا كما زعم خصومهم، ولست أنت بمسئول عنهم، ولا هم بمسئولين عن حسابك، فطردُهم عن بابِ الإيمانِ من الظلمِ بمكانٍ.

استدلالهم على بطلان الشيء بكونم أولى به لو كان حقا

(الرابعة عشرة): الاسْتِدْلالُ على بُطلانِ الشيء بِكونِهم أوْلى بِهِ لَوْ كانَ حَقًّا. قالَ تَعالى في سورةِ [الأحقاف١١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (3) بعدَ قوله [١٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (4).

جهلهم بالجامع والفارق

(الخامسة عشرة): الاسْتِدلالُ بِالقياسِ الفاسِدِ وإنكارُ القِياسِ الصحيحِ، وجَهْلهمْ بِالجامعِ والفارِقِ. قال تعالى في سورةِ [المؤمنين ٢٤-٢٥] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٢ - ٥٣ .
(٢) سورة عبس آية : ١ - ٢ .
(٣) سورة الأحقاف آية : ١١ .
(٤) سورة الأحقاف آية : ١٠ .

بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1].

وقبل الآية [٢٣]: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [2] شُروعٌ في بيانِ إهمالِ الناسِ وتركِهم النظَرَ والاعتبارَ فيما عَددَ سُبحانَه مِـن النعَمِ قبْلَ هـذِهِ الآية، ومـن خلفهم مِن زَوالِها، وفـي ذِلكَ تخويفٌ لِقريشٍ، وتقديمُ قصة نـوحٍ عليه السلام على سائرِ القَصصِ مِما لا يَخفـى وجهُهُ، فَقال مُتعَطفا عليهم، ومُسْتميلا لهُمْ إلى الحَق ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [3] أي: اعْبُدوهُ وحدَه، ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [4] استئنافٌ مَسوق لِتعليل العبادةِ المأمورِ بها، ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [5] الهَمْزَةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِهِ، والفاءُ للعطفِ على مقدر يَقْتضيهِ المَقامُ، أيْ: أتعْرِفونَ ذلكَ، أي مَضْمونَ قولِهِ تعالـى: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [6] عَذابَهُ تعالى الذِي يَسْتوجِبُهُ ما أنْتمْ عَلْيهِ مِن تَرْكِ عَبادِتِهِ سبحانَه وحْدَه، وإشراككم بِهِ ﷻ في العبادةِ ما لا يَسْتَحِق الوجودَ - لَولا إيجادُ الله إياه- فَضْلا عن اسْتحقاقِ العبادةِ، فالمُنكَرُ عـدمُ الاتقاءِ، مَعَ تَحقُقِ ما يوجُبه، ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ [7] أي الأشرافُ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ [8] وصِفَ الملأ بالكُفْرِ مَعَ إشْراكِ الكُل فيه لِلإيذانِ بكمال عَراقَتِهِم وشِدةِ شَكيمَتِهم فيه، وليسَ المُرادُ مِن ذلكَ إلاَ ذَمهُم، دُونَ التمَيزِ عن أشْرافٍ آخَرينَ آمَنوا به عليه السلام أو لم يُؤمِنْ بِهِ أحَدٌ مِن

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٢٤ - ٢٥ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٧) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٨) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

أشرافهم، كما يُفصِح عنه قولُه: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ (١) وهذا القولُ صَدَرَ مِنْهُم لِعَوامهم، ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (٢) ، أي: في الجنس والوصفِ، من غيرِ فرقٍ بينَكم وبَينَه، وَصَفوهُ عليه السلام بِذلِكَ مُبالَغةً في وضْعِ رتْبَتِه العاليةِ، وحَطها عن مَنصِبِ النبوةِ، وَوَصَفوه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٣) : إغْضابا للمخاطبين عَلَيه عليه السلام وإغراء لهم على معاداتِه، والتفَضلُ: طَلَبُ الفَضلِ، وهو كِنايَةٌ عنِ السيادَةِ، كأنه قِيلَ يُريدُ أنْ يَسودَكمْ ويتقدَمَكُمْ بادعاءَ الرسالة، مع كَوْنِهِ مِثْلَكمْ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ (٤) بيانٌ لِعَدَمِ رِسالةِ البَشَرِ عَلى الإطلاقِ على زَعْمهم الفاسِدِ، بَعْدَ تَحْقيقِ بَشَرِيتِهِ عليه السلام. أي وَلَو شَاءَ الله تَعالى إرسالَ الرسلِ، لأَرْسَلَ رُسُلا مِنَ المَلائكةِ، وإنما قيلَ "لأَنْزَلَ" لأن إِرْسَالَ المَلائِكَةِ لا يكونُ إلا بطريقِ الإنزالِ، ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥) ، هَذَا إشارة إلى الكلامِ المُتضمنِ الأمرَ بعبادةِ الله ﷻ خاصةً والكَلامُ على تقديرِ مُضافٍ أيْ ما سَمعنا بمثل هذا الكلامِ في آبائنا الماضينَ قَبْلَ بعثِته عليه السلام. وقُدرَ المضافُ لأن عدمَ السماعِ لكلامِ نوحٍ المذكورِ لا يصلُحُ لِلرد فإن السماعَ بِمِثْلِهِ كـان في القَبول ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ (٦) ، أيْ ما هو إلاَ رَجُلٌ به جُنونٌ أو جِن يخْبلونَه ولذِلكَ يَقـول ما يَقـولُ، ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٧) فاحْتَمِلوهُ واصْبِروا عليه وانْتَظِروا لَعَلَهُ يَفيقُ مِما هو

---

(١) سورة هود آية : ٢٧ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٦) سورة المؤمنون آية : ٢٥ .
(٧) سورة المؤمنون آية : ٢٥ .

فيه مَحْمول على مَرامي أحْوالِهمْ في المُكابَرةِ والعِنادِ، وإضرابُهم عَما وَصَفوه عليه السلام بِهِ مِنَ البَشَرية، وإرادَةِ التفضل، إلى وصفِهِ بِما تَرى، وهُم يَعْرِفونَ أنه عليه السلام أرجَحُ الناسِ عَقْلا، وأرزَنُهم قولا، وهو مَحْمولٌ على تَناقُضِ مَقالاتِهم الفاسِدَةِ، قاتَلَهم الله تعالى أنى يؤفَكونَ والقياسُ الفاسدُ والصحيحُ، والجامعُ والفارِقُ، مُفصلا في كتبِ الأصول [1] فَبَيْنَ الرسلُ عليهم السلام وسائرِ الناسِ مُشابَهَة مِن جهةِ البشريةِ ولوازِمِها الضروريةِ، فَيصِحِ حينئذٍ قياسُ الرسُلِ على غيرِهِم فيها، وعليه قولُه تَعالى [الكهف: ١١٠ فصلت: ٦] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [2] وبيْنَ الرسُلِ والأنبياءِ عليهم السلام وغيرِهِم مِن البَشَرِ فُروق كثيرة منها أن الله تعالى اصْطفاهم على الناسِ بِرسالاتِه وبكلامِهِ ووحْيِهِ وخصهم بذلك، فَلا يُقاسُ أحَدٌ مِن الناسِ بِهِم حِينئذٍ مِن هذِهِ الجِهَةِ، كما لا يَصِح قياسُ غيرِهِم بِهِم في سائر خَصائِصِهِم التي فُصلَتْ في غيرِ هذَا المَوضعِ، فالجاهِليةُ لم يُميزوا بَين القِياس الصحيح والفاسِدِ، ولا عرفوا الجامع ولا الفارِق، كما سَمِعتَ مِن قِياسِهِم الرّسُل على غَيرِهِم، وهَكَذا أتباعُهُم اليومَ ومَن هو على شاكِلَتِهِمْ.

الغلو في الصالحين

(السادسة عشرة): الغُلو في الصالِحينَ مِن العُلَماءِ والأوِلياء، كقوله تَعالى في سورة [التوبة ٣٠- ٣٢]: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ ﴾ [3] فاتخاذُ أحبارِ الناسِ

(١) وأجود ما كتب في الاستدلال بالقياس ، وتمييز صحيحه من سقيمه ، كتاب (القياس في الشرع الإسلامي) لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم ، وقد طبعته المطبعة السلفية مرتين .

(٢) سورة فصلت آية : ٦ .

(٣) سورة التوبة آية : ٣٠ - ٣٢ .

أربابا يُحَللون ويُحَرمونَ، ويَتصَرفونَ في الكَون ويُنادَونَ في دَفعِ ضُر أو جَلْبِ نَفْعٍ من جاهِليةِ أهل الكِتابيينَ، ثُم سَرى إلى غيرِهم من جاهِليةِ العَرَبِ، ولهمُ اليومَ بقايا في مَشارقِ الأرضِ ومَغارِبها، تصديقًا لقولِ النبي ﷺ ﴿ لَتتبِعُن سَنن مَنْ كانَ قَبْلَكُم ﴾ [1] الحديث، حَتّى نَرى غالبَ الناسِ اليومَ مُعْرضينَ عن الله، وعن دينه الذي ارْتضاه، مَتوَغلينَ في البِدَع، تائِهينَ في أودِيَة الضلال، مُعادينَ لِلْكِتابِ والسنةِ ومَن قامَ بهما، فأصْبَحَ الدينُ منهم في أنينٍ، والإسلامُ في بَلاءٍ مبينٍ. وحسبُنا الله، ونعْمَ الوَكيلُ.

الاعتذار بعدم الفهم

(السابعة عشرة): اعْتِذارهم عَن اتباعِ الوَحْيِ بِعَدَمِ الفَهْمِ، قَال تعالى في سورة: [البقرة: ٨٧-٨٨]: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] وفي [سورة النساء: ١٥٥] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [3]. الغُلْفُ: جمعُ أغْلَفَ، كأحْمَرَ وحُمْرٍ، وهو الذي لا يفقهُ. وأصلُه ذو القَلَفَةِ: الذي لم يُخْتَنْ، أو جَمْعُ غِلافٍ، ويُجمعُ على غُلُفٍ بضمتَينِ أيضًا. وأرادوا على الأول: قُلوبُنا مُغَشاةٌ بأغشيةٍ خَلْقِيةٍ مانِعَةٍ عن نُفوذِ ما جئتَ بِهِ فيها. وهَذَا كقولهِم [فصلت: ٥]: ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [4]. قَصدوا به إقناطَ النبي ﷺ عن الإجابة، وقَطْعَ طَمَعِهِ عنهم بالكُلية.

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .
(٢) سورة البقرة آية : ٨٧ - ٨٨ .
(٣) سورة النساء آية : ١٥٥ .
(٤) سورة فصلت آية : ٥ .

ومِنهم مَن قالَ معنى غُلْف: مُغَشاةٌ مِعُلوم مِنَ التوراةِ تحفظُها أنْ يَصلَ إليها ما تأتي به، أو بِسلامةٍ مِنَ الفِطْرَةِ كذِلكَ. وعلى الثاني أنها أوعِيَةُ العِلْمِ، فَلَو كانَ ما تقولُهُ حَالا وصِدقًا لَوَعَته.

قالَ ابنُ عباسٍ وقتادةُ والسدي: أو ملوءَةٌ عِلْمًا، فَلا تَسَعُ بعدُ شيئًا، فَنحنُ مُسْتَغْنونَ بِما عندَنا عَن غيره. ومنهم مَن قالَ: أرادوا أنها أوعِيَةُ العِلْمِ؛ فَكَيْفَ يَحِل لنا اتباعُ الأمي، ولا يخفى بُعْدُهُ. وَقَالَ تعالى في سورةِ [هودٍ: ٨٩- ٩١]: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾ [1]. وهذه الآية بمعنى الآية الأولى، وقد كَذَبَهُمُ الله تعالى في دَعواهم هذِهِ في الناس كثيرةٍ، وذَكَرَ أن السَبَبَ في عَدَمِ الفَهْمِ إنما هو الطَبْعُ على القُلوبِ بكُفْرِهِم، لا القُصورُ في البيانِ والتفهيمِ.

وما أحسنَ قولَ القائلِ[2]:

والنجْمُ تَستَصْغِرُ الأبصارُ صورَتَــه والذنْبُ للطرْفِ لا لِلنجْمِ في الصغَرِ

إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم

(الثامنة عشرة): من خصال الجاهِليةِ: أنهم لا يَقْبلونَ مِنَ الحَق إلا ما تَقولُ بِهِ طائِفَتهمْ. قَالَ تعالى [البقرة: ٩١]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [3].

(١) سورة هود آية : ٩٨ - ٩١ .
(٢) هو أبو العلاء المعري .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .

ومعنى ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [(١)] أي: نستمر على الإيمان بالتوراة وبما في حكمها، ومرادهم بما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل- وهو الظاهر، وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم، وإما أنفسهم، ومعنى الإنزال عليهم: تكليفهم بما في المنزل من الأحكام.

وذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن، ودسائس اليهود مشهورة، أو لأنهم تأولوا الأمر المطلق العام، ونزلوه على خاص هو الإيمان بما أنزل عليهم، كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه. ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [(٢)] أي: هم مقارنون لحقيقته، أي: عالمون بها ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [(٣)] لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، فالتصديق لازم لا ينتقل، وقد قررت مضمون الخبر، لأنها كالاستدلال عليه، ولهذا تضمنت رد قولهم: ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [(٤)] حيث أن من لم يصدق بما بما وافق التوراة، لم يصدق بها.

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [(٥)] : أمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيتا لهم، حيث قتلوا الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة، وهي لا تسوغه.

---

(١) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٢) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٩١ .

التمسك بخرافات السحر

(التاسعة عشرة) من خِصالهم: الاعتياض عن كِتابِ اللهِ تَعالى بكُتُبِ السحرِ، كَما قال تَعالى في سورةِ "البقـرةِ" [١٠١ - ١٠٢]: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1] والكلامُ على هذِهِ الآية في التفاسيرِ مشهور، وهذه الخَصلةُ الجاهِلِّيةُ مَوجودة اليومَ في كثيرٍ من الناسِ، لا سِيما مَن انتسبَ إلى الصالِحينَ وهو عنهم بِمراحِلَ، فَيَتعاطَى الأعمالَ السحريةَ مِن إمساكِ الحَياتِ، وضرْبِ السلاحِ، والدخولِ في النيرانِ، وغيرِ ذلك مِما وَرَدَتِ الشريعةُ بإبطالِهِ، فَأعْرَضوا، ونبذوا كتابَ الله وَراءَ ظُهورِهِم، واتَبعوا ما ألْقاهُ إليهم شَياطِيُنُهم، وادعَوا أن ذِلكَ مِنَ الكَراماتِ، مَعَ أن الكَرامةَ لا تصدرُ عن فاسِقٍ، وَمَن يَتعاطى تلكَ الأعمال فِسْقُهُم ظاهِرٌ لِلْعيانِ، ولِذا اتخَذوا دِيْنَهم لَعِبًا ولَهْوًا، وفي مِثلهم قالَ تَعالى [الكهف: ١٠٤]: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [2].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) سورة الكهف آية : ١٠٤ .

التناقض في الانتساب

(العشرون): تناقضهم في الانتساب. فينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام وإلى الإسلام، مع إظهارهم ترك ذلك، والانتساب إلى غيره.

صرف النصوص عن مدلولاتها

(الحادية والعشرون): تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون. ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم، تراه يصرف النصوص، ويؤولها إلى ما يشتهيه من الأهواء.

تحريف كتب الدين

(الثانية والعشرون): تحريف العلماء لكتب الدين. قال الله تعالى [البقرة: ٧٨-٧٩]:

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1]. ومن نظر إلى قضاة هذا الزمان [2] وما تلاعبوا به من الأحكام، وصرف التصرف إلى ما تهواه أنفسهم، وتبديل الحق وإبطاله، بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم، تبين له من ذلك بحر لا ساحل له وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور، وقد بين حالهم في غير هذا الموضع.

الانصراف عن هداية الدين إلى ما يخالفها

(الثالثة والعشرون): وهي من أعجب المسائل والخصال معاداة الدين الذي انتسبوا إليه أشد العداوة، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكمل الموالاة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى، واتبعوا كتب السحر، وهو من دين آل فرعون ومثل هؤلاء في الأمة الإسلامية كثير، هجروا السنة، وعادوها، ونصروا أقوال الفلاسفة

(١) سورة البقرة آية : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) المؤلف رحمه الله عاصر الدولة العثمانية؛ ويذكر المشاهد في زمنه .

وأحْكامَهُمْ.

كفرهم بما مع غيرهم من الحق

(الرابعة والعشرون): أنهُم لَما افْترقوا، وَكلّ طائِفَةٍ لا تَقْبلُ مِنَ الحَق إلاَ ما قالَتْهُ طائفتهُم، وكَفَروا بِما مَعَ غَيرِهِم مِـنَ الحَق، قـالَ تَعالى فـي [سورة البَقَرةِ: ١١٣]:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [(١)]. ولا شَك أن هذِهِ مِنَ خِصالِ الجاهِلِيةِ، وَعِلْيَةِ القوم وكَثير مِنَ الناسِ، لا يَعْتقِدُ الحَق إلاَ مَعَهُ، لا سِيما أرباب المذاهِبِ، يَرى كل أهلِ مَذْهَبٍ أن الدينَ مَعَه لا يَعْدوهُ إلى غيرِه، وكل حزب بما لديهم فرحون.

وكل يَدعي وَصْلا بِلَيْـلى وَلَيْـلى لا تُقِر لَهُـمْ بِذاكـا

والحَزْمُ أنْ يَنْظُرَ إلى الدليل، فما قام عليه الدليلُ، فهو الحَق الحَري أن يُتلقى بالقَبولِ، وما لَيْسَ عَلَيْهِ بُرْهان ولا حُجةٌ يُنْبَذُ وَراءَ الظهورِ، وكل أحَدٍ يُؤخذ من قَولِهِ ويُرَد إلا مَنِ اصْطفاه الله لِرسالَتِهِ.

ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها

(الخامسة والعشرون): أنم لَما سَمِعوا قولَه ﷺ في حَديثِ الافْتِراقِ: ﴿ وَسَتَفْتَرِقُ أُمتِي إلى ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَةً، كُلها في النار إلاَ واحِدَة ﴾ [(٢)] ادعى كُل فِرْقَةٍ أنها هِي الناجِيَةُ كما حَكى الله عَن اليهودِ والنصارى في قوله تعالى [البقرة: ١١٣]: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [(٣)]. مَعَ أن

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٣) سورة البقرة آية : ١١٣ .

النبي ﷺ بين في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية، فقال: ﴿ وَهُمْ ما كُنت أنا عَلَيه وَأصْحابِي ﴾ [1] أو كما قـال. ورد الله تعالـى عليهم بقوله [البقرة: ١١١-١١٢]: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾ [2]. والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى، بل الدليل على خلاف ذلك. وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه، حيث استدل به الرافضي على حقية مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة، فراجعه إن أردته [3]

إنكار ما أقروا أنه من دينهم

(السادسة والعشرون): أنـهم أنكروا ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فتعبدوا بإنكاره والبراءة منه مع ذلك الإقرار كما قال تعالى فـي سورة [البقرة: ١٢٥] ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾ [4] إلى أن قال [١٣٠- ١٣٢]: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ [5].

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) سورة البقرة آية : ١١١ - ١١٢ .

(٣) وقد ازدان (منهاج السنة) بالتعليقات النفيسة على مختصره للحافظ الذهبي الذي سماه (المنتقى من منهاج الاعتدال) . نشرته المطبعة السلفية سنة ١٣٧٤ وأعيد طبعه منقحًا سنة ١٣٩٤ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٢٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٣٠ - ١٣٢ .

يُقالُ: إن سَبَبَ نُزولِ قوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ ﴾ [1] إلخ ما رُوِيَ أن عبدَ اللّهِ بنَ سَلاَم دَعا ٱبْني أخيه: سَلَمَةَ ومهاجِرًا إلى الإِسلام، فقال: قَد عَلِمْتُما أن الله تعالى قالَ في التوراةِ: إني باعِثٌ مِن ولدِ إسماعيلَ نبيا اسْمُهُ أحمدُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ، فَقَد اهْتَدى وَرَشَدَ، وَمَنْ لَم يؤمِنْ بِهِ، فهو مَلْعون. فأسْلَمَ سلَمَةُ، وأبى مُهاجِرٌ، فَنَزَلَتْ. انتهى.

الداهرة بكشف العورات

(السابعة والعشرون): الداهرة بِكَشْفِ العَوْراتِ، قال تعالى في سورة [الأعراف: ٢٨-٢٩] ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2]. قال بعض المفسرين: الفاحشة هنا: الفعلة القبيحة المتناهية في القبح، والتاء إما لأنا مجراة على الموصوف المؤنث، أي: فعلة فاحشة. وإما للنقل من الوصفية إلى الاسمية، والمراد با هنا: عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف، ونحو ذلك. وعَنِ الفَراءِ تَخصِيصُها بِكشفِ العَورةِ. وفي الآية حَذْفٌ، أيْ: وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَة فنهوا عنها قَالُوا: وَجَدَنَا عليها آباءنا وَاللهُ أمرَنا بِهَا، مُحْتَجين بِأمْرين: بِتَقْلِيدِ الآباءِ، والافتراءِ على الله. وكان مِن سُنةِ الحُمْسِ أنهم لا يَخْرُجون أيامَ الموسِم إلى عَرَفاتٍ. إنما يقِفونَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وكانوا لا يَسلأون، وَلا يَأقطون، ولا يَرْتبطون عَنْزًا ولا بَقَرَةً، ولا يَغْزِلونَ صوفًا ولا وَبرًا، ولا يَدْخُلونَ بَيْتًا مِنَ الشعْرِ والمَدرِ، وإنما يَكْتنونَ بالقبابِ الحُمْرِ في الأشْهُرِ الحُرُمِ، ثُم فَرَضوا على العَرَبِ قاطِبةً أنْ يطرِحوا أزْوادَ الحِل إذا دَخَلوا الحَرَمَ، وأنْ يتركوا ثِيابَ الحِل، ويَسْتبدِلوها بثيابِ الحَرَم، إما شراء وإما عارِيّة وإما هِبة، فإنْ وَجَدوا ذلك فيها، وإلا طافوا بالبَيتِ عَرايا. وَفَرَضوا على نِساءِ العربِ مثلَ ذلكَ. غيرَ أن المرأةَ كانت تَطوفُ في درج مُفرَجِ القَوادِمِ والمآخير.

(١) سورة البقرة آية : ١٣٠ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٨ - ٢٩ .

قالتِ امرأةٌ [1] وهي تطوفُ بالبيتِ: وهي تطوفُ بالبيتِ:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ
أَخْثَمَ مِثْلَ القَعْبِ بَادٍ ظِلُّهُ كَأَنَّ حُمى خَيْبَرٍ تَمُلُّهُ

وكلفوا العربَ أن يُفيضوا مِن مُزْدَلِفَةَ، وقد كانوا يُفيضون مِن عَرَفَةَ، إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ التي ٱبتَدَعوها وتَشَرعوها، مِما لم يأذنْ بِهِ الله. ومَعَ ذِلكَ كانوا يَدعونَ أنهم على شَريعةِ أبيهم إبراهيم عليه السلام وما ذلكَ إلا لِجاهِلِيتِهم.

وغالبُ مَن يَنْتَمي إلى الإسلامِ اليومَ ٱبتَدَعوا في الدينِ ما لم يأذَنْ بِهِ الله: فَمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون با في بيوت الله ومساجده، ومِنهم مَن اتخَذَ الطوافَ على القُبورِ والقصد إليها والنذورَ أخْلَصَ عِبادَتِهِ وَأَفْضَلَ قُرُباتِهِ، ومِنهم مَن ٱبتَدَعَ الرهْبانِيّةَ والحِيَلَ الشيْطانِيّةَ، وَزَعَمَ أنهُ سَلَكَ سبيلَ الزهادِ وطريقَ العُبادِ، ومَقْصِدُه الأعلى شَهَواتِهِ الحيْوانِيةِ، والفَوزُ بذِهِ الدنيا الدِنية، إلى غيرِ ذلك مِما يَطول، ولا يعلمُ ماذا يقولُ:

إلى دَيانِ يَوْمِ الدينِ نَمْضي وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُوْمُ

التعبد بتحريم الحلال

(الثامنة والعشرون): التعَبدُ بِتَحْرِيمِ الحَلالِ، فَرد الله تعالى ذِلكَ عَليهم بِقولِهِ في سورة [الأعراف:٣١-٣٣]، ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصة .

مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

ومعنى الآيات. ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [2] أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة. وسبب النزول: أنه كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة، حتى أن كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة، فتعلق على سفلها سيورًا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب، وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ [3] قال الكلبي: كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتًا، ولا يأكلون دسمًا في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله، نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى الآية.

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا. ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾ [4] بتحريم الحلال، كما هو المناسب لسبب النزول، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [5] بل يبغضهم، ولا يرضى أفعالهم.

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [6] من الثياب وكل ما يتجمل به وخلقه لنفعهم من الثياب كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [7] ، أي: المستلذات، وقيل المحللات، ومن المآكل والمشارب كلحم الشاة

(١) سورة الأعراف آية : ٣١ - ٣٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٧) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

وَشَحْمِهَا وَلَبنها ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [1] أيْ هي لَهُم بالأصالَة لِمَزيدِ كَرَامَتِهِمْ على الله تعالى والكَفَرَةُ وإنْ شارَكوهُم فيها فِبالتبع، فَلاَ إشْكالَ في الاخْتِصاص ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ [2] أيْ: لا يُشارِكُهم فيها غَيْرُهم ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] أي: مِثْل تَفْصِيلنا هذا الحُكْمَ، نُفَصل سائِرَ الأحكامِ لِمَنْ يَعْلَمُ ما في تَضامينها مِنَ المَعاني الرائِقَةِ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [4]، أيْ ما تَزايَدَ قُبْحُه مِنَ المَعاصي، ومِنْهُ ما يَتَعَلقُ بِالفُروج ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [5] بَدَل مِنَ الفَواحِشِ، أيْ جَهْرَها وَسرها. وعَنِ البَعْضِ: "مَا ظَهَرَ" الزنا عَلانِيةً، "وَمَا بَطَنَ" الزنا سِرا وَكانوا يَكْرَهونَ الأولَ، وَيَفْعَلونَ الثانيَ، فنهوا عَن ذِلكَ مُطْلَقًا.

وعن مُجاهِدٍ: "مَا ظَهَرَ" التَعَري في الطوافِ، "وَمَا بَطَنَ" الزنا. والبَعْضُ يَقولُ: الأولُ طَوافُ الرجالِ بالنهارِ، والثاني طوافُ النساءِ بالليلِ عارِياتٍ. ﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ [6]، أي: ما يُوجِب الإثمَ، وأصله الذمّ، ثُم أُطْلِق على ما يوجِبه مِن مطلَقِ الذنْبِ، وَذُكِرَ لِلتعميمِ بَعْدَ التخْصيصِ بِناءً على ما تَقدم مِن معْنى الفَواحِشِ.

ومِنهم مَن قالَ: إن الإثم هو الخَمْرُ، وَعَلَيهِ أهلُ اللغَة، وَأنْشَدوا له قَولَ الشاعِرِ:

نَهانا رَسول الله أنْ نَقْرَبَ الزنى   وَأنْ نَشْرَبَ الإثْمَ الذي يوجِبُ الوِزْرا

وَقَولَ الآخَرِ:

شَرِبتُ الإثْمَ حَتى ضل عَقْلِي   كذلكَ الإثمُ يَـذْهَـبُ بِـالعُقـول

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

﴿ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (١) وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد بالذكر بناء على التعميم فيما قبله، أو دخوله في الفواحش للمبالغة في الزجر عنه ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢) بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم [الأعراف: ٢٨] ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ (٣) ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية: فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس صلاحهم، وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في المأكل والملبس وسائر شئونهم، وما دروا أنهم بذلك من القوم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

الإلحاد في أسماء الله سبحانه وصفاته

(التاسعة والعشرون): الإِلْحادُ في أَسْمائِهِ وصِفاتِهِ، قالَ سُبحانَه في سورة [الأعراف: ١٨٠]: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (٤) تَفسيرُ هذِهِ الآية: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٥) تنبيه للمُؤمِنينَ على كَيْفيةِ ذِكْرِهِ تَعالى، وكَيْفِيّة المُعامَلِةِ مَعَ المُخِلينَ بذِلكَ الغافِلينَ عَنه سُبحانَه، وَعَما يَليقُ بِشأنِه، إثْرَ بيانِ غَفْلَتِهِمُ التامة، وَضَلالَتِهِمُ الطامة.

﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (٦) : إما مِنَ الدعْوَةِ بِمعْنى التسمِيَةِ، كَقَولِهِم: دَعَوْتُهُ زَيدًا، أوْ بِزيد أيْ: سَمّيتُه، أو الدعاءِ بِمعْنى النداءِ، كَقَولِهِم: دَعْوتُ زيدًا، أيْ: ناديْتُه.

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٨ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ ﴾ [(١)] أيْ يَميلونَ وَيَنْحَرِفون فيها عَنِ الحَق إلى الباطِلِ، يُقال: ألْحَدَ، إذا مال عَنِ القَصْدِ والاستِقامَةِ، ومنه لَحْدُ القَبْرِ لِكَونِهِ في جانِبِهِ بِخلافِ الضريح، فإنَّه في وَسَطِهِ.

والإلحادُ في أسمائِهِ سبحانَه أنْ يُسمى بِلا تَوْقيفٍ فيه، أوْ بِما يُوهِمُ مَعْنًى فاسِدًا، كما في قولِ أهلِ البَدْوِ: يا أبا المَكارِمِ، يا أبيضَ الوجْهِ، يا سَخِي، ونحو ذلك، فالمُرادُ بِتَرْكِ المأمورِ بِهِ الاجتنابُ عن ذلك، وأسائِهِ ما أطْلَقوهُ عَلَيه تعالى وَسَموهُ به على زَعَمِهم، لا أسماؤه تعالى حَقيقَةً، وعلى ذلك يحْمَل تَرْكُ الإضمارِ، بأنْ يُقالَ: يُلحِدون بِها. وَقالَ تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَـٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَـٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ [(٢)] وهذِهِ الآيةُ في سورةِ [الرعد: ٣٠] عن قَتادَةَ وابنِ جُرَيْجٍ ومُقاتِلٍ أن الآية نَزَلَتْ في مُشْرِكي مَكةَ لَما رَأوا كِتابَ الصلْحِ يومَ الحُدَيْبِيَةِ وقد كَتبَ فيه عَلي رضي الله عنه "بِسْمِ الله الرحْمنِ الرحيمِ"، فَقالَ سُهيلُ بنُ عَمْرٍو: ما نَعْرِفُ الرحْمنَ إلا مُسَيْلمَةَ.

ومِنهم مَن قال: سَمِعَ أبو جَهْلٍ قَولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿ يَا الله يا رحمن ﴾ فقال: إن محمدًا يَنهانا عَن عبادةِ الآلِهةِ وهو يَدعو إلهينِ، فَنزَلتْ وَعَن بعضِهِم أنه لَما قِيلَ لِكُفارِ قُريشٍ: اسجدوا للرحمن قالوا: وَمَا الرحمَنُ، فَنزَلتْ، وقيلَ غَيْرُ ذِلكَ مِما يَطول.

وَقَالَ تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [(٣)] من سورة حم [السجدة: ٢١-٢٣]، وفي هذِهِ

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٢) سورة الرعد آية : ٣٠ .

(٣) سورة فصلت آية : ٢١ - ٢٣ .

الآية إخبارٌ أن أهلَ الجاهِلِيةِ كانوا يُلْحِدونَ في صِفاتِهِ، كما كانوا يُلحِدونَ في أسمائِه تعالى.

أخرَجَ أحمدُ والبُخاري ومُسلِم والترمذي والنسائِي وجَماعةٌ عن ابنِ مسعودٍ، قالَ: كُنتُ مُسْتندًا بأستارِ الكعبةِ، فجاءَ ثلاثةُ نفرٍ- قُرشي وثقفيان، أو ثقفي وقُرشيانِ- كثيرٌ لحمُ بُطونهم؛ قليلٌ عفة قُلوبهم، فتكلموا بكلامٍ لم أسْمَعْه، فقال أحَدُهُم: أترَونَ الله يَسمعُ كلامَنا هذا؟ فقَال الآخَرُ: إذا رَفعنا أصْواتَنا يَسْمَعُه، وإذا لم نَرْفعْ لم يَسْمَعْ، فقال الآخَرُ: إنْ سَمِعَ منه شَيئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قال: فذَكَرْتُ ذلِكَ للنبي ﷺ فأنْزَلَ الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]

فهذا هو الإلحادُ في الصفاتِ. وأنت تَعْلَمُ أن ما عَلَيهِ أكثرُ المُتكلمينَ المُسلِمينَ مِنَ الإلحادِ في الأسماءِ والصفاتِ فَوْقَ ما كانَ عَلَيه أهل الجاهِلِيةِ، فَسَموا الله بأسماءٍ ما أنزلَ الله بها مِن سُلطانٍ، ومِنهم مَن قالَ: ليسَ لِلهِ صفات قامتْ بِهِ، ومِنهم مَن قالَ: صِفاتُه ليسَتْ عَيْنَ ذاتِهِ ولا غيرَهُ، ومِنهم مَن قالَ: إن صفاتِه غيرُه، ومِنهم مَن قال: إن الله لم يَتكلَّمْ بالكُتبِ التي أنزَلَها، وأثبتوا لَه الكَلامَ النفسي، وأنه لم يُكلِّمْ أحدًا مِن رُسُلِهِ، إلى غير ذلك من الإلحادِ الذي حَشَوا به كُتبَهُمْ ملؤوها مِن الهَذَيانِ، وظنوا أن الآية مُخْتَصةٌ بِأهلِ الجاهِلِيةِ، وَمَا دَرَوا أنهُمُ الفَرْدُ الكامِلُ لعُمومِها. ومَن بَصرَه وَنورَ قَلْبه، أعْرَضَ عَن أخْذِ عَقائِدِهِ مِن كُتبِ هؤلاءِ الطوائفِ، وتَلقى مَعْرفةَ إلهِهِ مِن كُتبِ السلَفِ المُشْتمِلَةِ على نُصوصِ الكِتابِ والسنةِ.

نسبة النقائص إلى الله سبحانه

(الثلاثون): نسْبة النقائصِ إليه سبحانه كالولَدِ والحاجَةِ. فإن النصارى قالوا: المَسيحُ ابنُ الله، وطائفة مِن العَرب قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وقوم مِن الفَلاسِفَةِ قالوا بتوليدِ العُقولِ، وقوم مِن اليَهودَ قالوا: العُزيْرُ ابنُ الله، إلى غيرِ ذلِكَ.

---

(١) سورة فصلت آية : ٢٢ - ٢٣ .

وقد نَزهَ الله نَفْسَه عن كُل ذلِكَ وَنفاه عنه بقوله: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [1] .

وبقوله [الصافات: ١٥١- ١٥٢]: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ ﴾ [2] وقوله [الأنعام: ١٠٠- ١٠١]: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٠١ ﴾ [3] وهذا يَعُم جميعَ الأنواعِ التي تُذْكُرُ في هذا البابِ عن بعضِ الأَمِمِ، كما أن ما نفاه من اتخاذِ الوَلَدِ يَعُم أيْضًا جميعَ أنواعِ الاتخاذاتِ، لا اصطفاؤُه. كما قال تَعالى [المائدة: ١٨]: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٨ ﴾ [4] . قالَ السدي: قالوا: إن الله َتعالى أَوْحى إلى إسرائيلَ إنّ وَلَدَكَ بِكْرِي مِن الوَلَدِ فَأُدْخِلُهُمُ النارَ، فَيكونونَ فيها أربعينَ يومًا حَتى تُطَهرَهم وتأكلَ خطاياهم، ثم ينادي منادي: أخْرِجوا كل مَخْتونٍ مِن بني إسرائيل. وقدْ قال الله َتعالى [المؤمنون: ٩١]: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾ [5] .

وقال [الإسراء: ١١١]: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي

---

(١) سورة الإخلاص آية : ١ - ٤ .
(٢) سورة الصافات آية : ١٥١ - ١٥٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٠ - ١٠١ .
(٤) سورة المائدة آية : ١٨ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ (1) . وقال تعالى [الفرقان: ١- ٢]: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (2) . [الأنبياء: ٢٦-٢٩] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (3) .

وقال سبحانه وتعالى [النحل: ٥١-٥٧] ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ ﴾ (4) إلى قوله ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ (5) إلى قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (6) .

وقال الله تعالى [الإسراء: ٣٩-٤٢]: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (7) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١١١ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ - ٢ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٦ - ٢٩ .
(٤) سورة النحل آية : ٥١ - ٥٢ .
(٥) سورة النحل آية : ٥٦ .
(٦) سورة النحل آية : ٥٧ .
(٧) سورة الإسراء آية : ٣٩ - ٤٢ .

وقال [الصافات: ١٤٩-١٦٣] ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۝١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝١٥٦ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٠ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣ ﴾ [(١)] وقال [النجم: ١٩ -٢٧] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ ﴾ [(٢)] إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢٧ ﴾ [(٣)] .

وقالَ تعالى [الزخرف: ١٥] ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾ [(٤)] ، قال بعضُ المفسرينَ: (جُزءًا)، أيْ: نصيبًا وبعضًا. وقال بعضُهم: جعلوا لِلهِ نصيبًا من الولدِ. وعن قَتادةَ ومقاتل: عدلا. وكلا القولين صحيح، فإنهم يَجْعَلون له وَلَدًا، والولَدُ يُشبِهُ أباهُ.

ولهذا قال [الزخرف: ١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ [(٥)] وَهُوَ كَظِيمٌ أيْ البنات، كما قالَ في الآية الأخرى [النحل: ٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ ﴾ [(٦)] فَقَد جَعَلوها لِلرحْمنِ مَثَلا،

---

(١) سورة الصافات آية : ١٤٩ - ١٦٣ .
(٢) سورة النجم آية : ١٩ - ٢٣ .
(٣) سورة النجم آية : ٢٧ .
(٤) سورة الزخرف آية : ١٥ .
(٥) سورة الزخرف آية : ١٧ .
(٦) سورة النحل آية : ٥٨ .

وَجَعَلوا لَهُ مِن عِبـادِه جُزْءًا، فَإن الولدَ جُزء مِنَ الوالِدِ، قالَ ﷺ ﴿إنما فاطِمَةُ بضعَةٌ مِنّي﴾ (1) .

وقولُه [الأنعام: ١٠٠]: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ (2) . قالَ الكَلْبِي: "نَزَلَتْ في الزنادِقَة، قالوا: إن الله وإبليسَ شَريكانِ، فاللهُ خالقُ النورِ والناسِ والدواب والأنعامِ، وإبليسُ خالقُ الظلْمَةِ والسباعِ والحَياتِ والعَقارِبِ. وَأما قولُه: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴾ (3) فقيلَ: هو قولُهم: الملائكةُ بناتُ الله، وسمى الملائكة جِنا؛ لاختِفائِهم عَن الأبصارِ، وهو قولُ مُجاهِدٍ وقتادة.

وقيل: قالوا لِحَي مِن الملائكةِ يُقالُ لهم: الجِن، ومنهم إبليسُ: هم بناتُ الله. وَقالَ الكَلْبِي: قالوا لَعَنهمُ الله: بَلْ بذور يَخْرُجُ مِنها الملائكةُ. وقولُه: ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ (4) قالَ بعضُ المفسرينَ: هُم كُفارُ العَرَبِ، قالوا: الملائكةُ والأصنامُ بناتُ الله، واليَهودُ قالوا: عُزير ابنُ الله، والذين كانوا يَقولونَ مِن العَرَبِ: إن الملائكةَ بناتُ الله، وَمَا نُقِلَ عَنهم مِن أنه صاهَرَ الجِن، فوَلَدَتْ له الملائكةَ، فَقَد نَفاه عنه بامْتِناعِ الصاحِبَة، وبامتناعِ أنْ يكونَ منه جُزْءٌ، فإنه صَمَدٌ. وقولُه: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ ﴾ (5) ، وَهذَا لأن الولادةَ لا تكونُ إلا مِن أصْلَينِ، سَواءٌ في ذِلكَ تولُدُ الأعيانِ - التي تُسَمى الجواهِرَ- وتولد الأعراض والصفاتِ، بَلْ وَلاَ يَكونُ تولُد الأعْيانِ إلا بانفصال جُزْءٍ مِن الولِدِ، فإذا امتنعَ أنْ تكونَ لَه صاحِبةٌ، امْتنعَ أنْ يَكونَ لَه وَلَدٌ، وقد عَلِموا كُلُهُم أنْ لا صاحِبَة له لا

---

(1) البخاري المناقب (٣٥١٠) ، مسـلم فضائل الصحابة (٢٤٤٩) ، أبو داود النكاح (٢٠٧١) ، ابن ماجه النكاح (١٩٩٩) ، أحمد (٣٢٦/٤) .
(2) سورة الأنعام آية : ١٠٠ .
(3) سورة الصافات آية : ١٥٨ .
(4) سورة الأنعام آية : ١٠٠ .
(5) سورة الأنعام آية : ١٠١ .

مِن الملائكةِ، ولا مِن الجِن، ولا مِنَ الإنْسِ، فلم يَقُلْ أحَدٌ مِنْهُم إن له صاحِبَةً؛ فَلِهذا احْتج بِذِلكَ عَلَيهم.

وما حُكِيَ عَن بعضِ كُفارِ العَرَبِ أنَّهُ صاهَرَ الجِن، فهذا فيه نَظَرٌ. وذلكَ إنْ كانَ قَدْ قيلَ فهوَ مِما يُعْلَمُ انْتِفاؤُهُ مِن وُجوهٍ كَثيرةٍ، وكذلك ما قالَتْهُ النصارى مِن أن المَسيحَ ابنُ الله وما قالَه طائفةٌ مِنَ اليهودِ أن العُزَيْرَ ابنُ الله، فإنه قد نَفاه سُبحانه بِهذا وَهذا. وَتمامُ الكَلامِ في هذا المَقامِ في كتابِ (الجَوابِ الصحيحِ لِمَنْ بَدل دِيْنَ المَسيح) و (تَفْسير سورةِ الإخلاص) وَغَيرِهِما مِن كُتُبِ شيخِ الإسلامِ تقي الدينِ قدس الله روحه.

ت يههم المخلوق عما نسبوه للخالق

(المسألة الحادية والثلاثون): تَنْزيهُ المَخْلوقِ عما نَسَبوه لِلخالِقِ مِثل: تَ يه أحبارِهم عَنِ الوَلَدِ والزوجة لأنم يَقولونَ: إن الراغِبينَ في استحصالِ الكَمالاتِ كالرهبانِ وأضْرابِهِم يَترفعونَ عَن أنْ يَتَدَنسوا بِدَناءَة التمتعِ بِالنساءِ، اقتِداءً بِالمَسيحِ عليه السلام، فانْظُرْ إلى سَخافَةِ العُقولِ وما قادَهُم إليه ضَلالُهم حَتى اعترضوا على سَيدنا ومولانا مُحمد ﷺ في زَواجِهِ. وما أحْسَنَ ما قالَ الفاروقي [(١)] ردا على بعضِ أحبارِ النصارَى بقوله: ردا على بعضِ أحبارِ النصارَى بقوله:

قل لِلفرِسْنَلِ قُدْوَةِ الرهبانِ الجاثليقِ البَتْرِكِ الرباني
أنتَ الذي زَعَمَ الزواجَ نَقيصَةً مِمّنْ حَماهُ الله عَنْ نُقْصانِ
وَنسيتَ تَزْويجَ الإلهِ بِمَرْيَم في زَعْمِ كُل مُثَلثٍ نَصْراني

وَمَن جَعَلَ منَ العَرَبِ الملائكةَ بناتِ الله، كانَ يأنفُ مِنْهُن، وسَن وَأْدَهُن وَقَتْلَهُن، وَنَسَبوا لِلهِ ما يَكرهونَ. والمقصودُ أن هذِهِ المَقالاتِ وأشباهَها مَنْشَؤها الجهلُ بِما جاءَت بِهِ الرسُلُ، وَعَدَمُ تَحْكيمِ العَقْلِ، وإلا فأهلُ البصائِرِ لا يَتَطَرقُ إليهم هذا الخَلَلُ، واللهُ المَوفقُ.

---

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري .

قولهم بالتعطيل

(الثانية والثلاثون): القولُ بالتعطيلِ، كما كانَ يقوله آل فِرْعَونَ. والتعطيلُ: إنكارُ أنْ يكونَ للعالَمِ صانِع، كما قال فرعونُ لقومِهِ [القصص: ٣٨] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [(١)]، ونحو ذلكَ، ولم يَخْلُ العالَمُ عن مثلِ هذهِ الجَهالاتِ في كُلِ عَصرٍ مِنَ العُصورِ، وأبناءُ هذا الزمانِ إلا النادِرَ على هذه العَقيدةِ الباطِلة، ولو نَظَروا بِعينِ الإنصافِ والتدَبرِ، لَعلِموا أن كُل مَوجودٍ في العالَمِ يَدُل على خالِقهِ وبارِئه:

وفـي كُـل شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تـدُل علـى أنـهُ واحِـدُ

ومِن أينَ للطبيعَةِ إيجادُ مِثل هذِهِ الدقائِقِ التي نَجِدُها في الآفاقِ والأنفُسِ، وهي عَديمَةُ الشعُورِ لا عِلْمَ لَها وَلا فهْمَ تَعالى الله عَما يَقولونَ عُلوا كَبيرًا.

الشركة في الملك

(الثالثة والثلاثون): الشركَةُ في المُلْكِ، كما تَقولُه المَجوسُ، والمجوسُ أمة تُعظمُ الأنوارَ والنيرانَ والماءَ والأرضَ، ويُقرونَ بِنُبوةِ زرادِشْتَ، وَلَهُم شَرائِعُ يَصيرونَ إليها. وهم فِرق شَتى: مِنهم المَزْدَكِيةُ أصحابُ مَزْدَكَ المُوبَذ، والمُوبَذُ عندهم العالِمُ القُدوةُ، وهؤلاءِ يَرونَ الاشتِراكَ في النساءِ والمَكاسِبِ كما يشترَكُ في الهَواءِ والطُرقِ وغيرِها.

ومِنهم الخُرَميّة أصحابُ بابَكَ الخرمى. وهم شَر طوائِفِهم، لا يُقرون بِصانِعٍ ولا مَعادٍ ولا نبوةٍ ولا حَلالٍ ولا حَرامٍ، وعلى مذهِبهم طوائِفُ القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية، فكل هؤلاء يجمعهم هذا المَذهَبُ، ويَتفاوَتونَ في التفصيلِ، فالمجوسُ شُيوخُ هؤلاءِ كلِهم، وأئمتُهم وقُدوتُهم، وإن كانَ المَجوسُ قد يَتقَيدونَ بأصلِ دِينهم وشَرائِعهم، وهؤلاءِ لا يَتقَيدونَ بِدينٍ مِنْ دياناتَ العالم ولا بِشَريعَةٍ مِن الشرائع.

---

(١) سورة القصص آية : ٣٨ .

إنكار النبوات

(الرابعة والثلاثون): إنكارُ النُبواتِ. وَكانوا يَقولون: ما حَكى الله عنهم بقوله في [الأنعـام: ٩٠- ٩١]: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1] .

تفْسيرُ هذه الآية: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [2] ، شُروع في تَقْرير أمْرِ النُبوةِ، بَعْدَ ما حَكى الله سبحانَه عن إبراهيمَ عليه السلام أنه ذَكَرَ دَليلَ التَوحيدِ وإبطالِ الشركِ، وَقَررَ سبحانَه ذلكَ بأفصحِ الدليلِ بأوْضَحِ وَجهٍ.

﴿ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [3] أيْ: حَق مَعْرفَتِهِ وعن بعضِهم: ما عَظموا الله حَق تَعْظِيمِهِ إذْ قالُوا مُنْكرينَ لبعثةِ الرسُلِ وإنزالِ الكُتبِ، كافِرْينَ بِنعمةِ الله الجَليلةِ فِيهما: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ [4] أيْ: شَيئًا مِن الأشياءِ.

واخْتِلفَ في قائِلِ ذلكَ القَولِ الشنيعِ: فَعَن مُجاهِدٍ أنهم مُشركو قُريشٍ، والجمهورُ على أنهُم اليَهودُ، ومُرادُهُم مِن ذَلكَ الطَعْنُ في رِسالَتِهِ ﷺ على سَبيلِ المُبالَغةِ.

فَقيلَ لَهم على سبيلِ الإلزامِ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ [5] ، فإنِ المُرَادَ أنهُ تَعَالى قَدْ أنزَلَ التوراةَ على موسى عليه السلام وَلاَ سَبيلَ لَكم إلى إنكارِ

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٠ - ٩١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٩١ .

ذلكَ، فَلِمَ لا تُجوزونَ إنزالَ القُرآنِ على مُحمدٍ ﷺ .؟ والكلامُ في إثْباتِ النُبوةِ مُفَصلٌ في غيرِ هذا الموضِع، والمقصودُ أن إنكارَها مِن سَنن الجاهِلية، وفي الناسِ كَثيرٌ مِمن هو على شاكِلَتِهم ومُعْوَج طَريقهم.

جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله

(الخامسة والثلاثون): جحودُ القَدَر، والاحْتِجاجُ بِهِ على الله تَعالى ومعارَضَةُ شرعِ الله بِقَدَرِ الله. وهذِهِ المَسألةُ مِن غَوامِض مَسائِل الدينِ، والوُقوفُ عَلى سِرها عَسِر إلا على من وَفقَه الله تَعالى. ولابنِ القيمِ كِتاب جَلِيلٌ في هذا البابِ سماه (شِفاءَ العَليل في القَضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَعْليل). وقد أبْطَل الله سُبحانَه هذه العَقيدةَ الجاهلية بقولِهِ تَعالى في آخر سورة [الأنعام: ١٤٨-١٤٩]: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [1]. تَفسيرُ هذه الآية: (سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا): حِكاية لفَن آخَرَ مِن أباطِيلِهم. ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا ﴾ [2] لَمْ يُريدوا بِهذا الكَلامِ الاعتذار عَنِ ارْتكابِ القَبيحِ، إذْ لم يَعْتقِدوا قُبحَ أفعالِهم، بل هُم كما نَطَقَتْ بِهِ الآيات يحسُبونَ أنمُ يحسِنُونَ صُنعًا، وأنم إنما يَعْبدونَ الأصنامَ لِيُقَربوهُم إلى الله زلْفى، وأن التحريمَ إنما كانَ مِن الله ﷻ فَما مرادُهم بذِلكَ إلا الاحتجاجُ على أن ما ارْتكَبوهُ حَق ومَشروع ومَرضي عند الله تَعالى على أن المشيئةَ والإرادةَ تُساوي الأمرَ، وَتسْتَلْزِمُ الرضى، كما زَعَمَتِ المُعْتزِلةُ، فَيكونُ حاصِلُ كلامِهم أن ما نَرتكِبُهُ مِنَ الشركِ والتحريمِ وغيرِهما تَعَلقَتْ بِهِ مَشيئة الله تعالى وإرادَتُه، وكل ما تَعَلقَتْ بِهِ مَشيئته سبحانه وإرادَتُه فَهو مَشروعٌ ومَرْضِي عندَ الله تَعالى.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨ - ١٤٩ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

وبَعْدَ أنْ حَكَى سُبحانُه وتَعالى ذِلكَ عَنهم، رَد عَلْيهِم بقولِهِ عَز مِنْ قائِلٍ ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [1] وهم أسلافُهم المُشرِكونَ. وحاصِلُه أن كلامَهم يَتضَمنُ تكذيبَ الرسُلِ عليهم السلام، وَقَدْ دَلتِ المُعْجِزَةُ على صِدْقهم.

أو نَقولُ حاصِلُه أن ما شاءَ الله يَجِبُ، وما لم يَشَأْ يمْتَنِعُ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليفَ بِهِ لِكونِهِ مَشروطًا بالاسْتِطاعة، فَيَنْتُجُ أن ما ارْتكَبُه مِن الشرك وغيرِه، لَم يتكَلفْ بتَرْكِهِ ولمْ يبْعَثْ لَهُ نَبِيٌّ. فَرَد الله تَعالى عَلَيهم بأن هَذِهِ كَلِمَةُ صِدْقٍ أُريدَ بِها باطِلٌ، لأنهم أرادوا بِها أن الرسُلَ عليهم السلام في دَعْواهُمُ البِعْثةَ والتكليفَ كاذِبونَ. وَقَدْ ثَبتَ صِدْقُهُم بالدلائِلِ القَطْعِيّة، ولِكَوْنهِ صِدْقًا أُريدَ بِهِ باطِلٌ، ذَمهُمُ الله تَعالى بالتكْذيبِ. ووجوبُ وُقوعِ مُتعَلقِ المَشيئَةِ لا يُنافي صِدقَ دَعْوى البِعثِةِ والتكليفِ؛ لأنهما لإظهارِ المَحَجةِ وإبلاغ الحُجةِ ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ [2] أي نالوا عَذابَنا الذي أنزَلْناهُ عَلَيْهم بتكْذيبهم، وفيه إيماءٌ إلى أن لهم عَذابًا مُدخَرًا عِندَ الله تَعالى؛ لأن الذوقَ أولُ إدْراكِ الشيْءِ ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ [3] أي هلْ لَكُمْ مِنْ عِلمٍ بأنّ الإشراكَ وسائِرَ ما أنتُم عَلَيه مَرْضي عند اللِهِ تَعالى فُتظْهِروهُ لَنا بالبُرْهانِ؟ وهذا دَليلٌ على أن المُشرِكينَ أُمِرَ اسْتوجَبوا التوبيخَ على قولِهم ذلك؛ لأنهَم كانوا يَهْزءونَ بالدين، ويَبْغونَ رَد دَعْوةِ الأنبياء عليهم السلام، حَيثُ قرع مسامعهم من شَرائِعِ الرسُلِ عليهم السلام تَفْويضُ الأمورِ إلْيهِ سُبحانَهُ وتَعالى، فَحينَ طالبوهُم بالإسلامِ، والِتزامِ الأحكامِ، احْتَجوا عَلْيهم بِما أخَذوه مِن كَلامِهم مُسْتَهزِئينَ بِهم عليهم الصلاة والسلامُ، ولم يَكُنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرَ ما يَنْطَوي عَلْيهِ عِقْدُهُم، كَيفَ لا والإيمانُ بصفاتِ الله تَعالى فَرْعُ الإيمانِ بِهِ عَز شَأْنُه وَهُوَ عَنهم مناطُ العَيوق.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (١) أيْ تكْذِبونَ على الله تعالى ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ﴾ (٢) أي البينَةُ الواضِحَةُ التي بَلَغتْ غَايَةَ المَتانَةِ والقُوةِ على الإثباتِ، والمُرادُ بها في المَشهورِ: الكتابُ والرسولُ والبَيانُ.

﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (٣) بالتوفيقِ لَها، والحَمْلِ عَليها، وَلَكِنْ شاءَ هِدايَةَ البَعْضِ الصارِفينَ اخْتِيارَهُم إلى سُلوكِ طَريقِ الحَق، وضَلالَ آخَرينَ صَرَفوه إلى خِلافِ ذَلكَ. ومِنَ الناسِ مَنْ ذَكَرَ وَجْهًا آخَرَ في توجيهِ ما في الآية، وهو أن الرد عَليهم إنما كانَ لاعْتِقادِهِم أنهم مُسَلمونَ اخْتِيارَهم وقُدْرتم، وأن إشراكَهم إنما صَدَرَ مِنهم على وجْهِ الاضْطرارِ وَزَعَموا أنهم يُقيمونَ الحُجةَ على الله تعالى ورسوله عليه الصلاةُ والسلامُ بِذَلكَ، فَرد الله تعالى قَولَهم في دَعْواهُم عَدَمَ الاخْتيارِ لأنفسِهم، وَشَبَهَهُمْ بِمَن اغْتَر قَبْلَهُم بِهذا الخَيال، فَكَذبَ الرسُلَ، وَأَشْرَكَ باللهِ ﷻ واعْتَمَدَ على أنه إنما يَفْعَلُ ذَلكَ بِمَشِيْئَةِ اللهِ تعالى وَرامَ إفْحامَ الرسُلِ بِهذِهِ الشُبْهَةِ، ثُم بَينَ سُبْحانَهُ أنهم لا حُجةَ لَهم في ذَلكَ، وأن الحُجةَ البالِغَةَ لَه تعالى لا لَهم، ثُم أوْضَحَ سُبحانَه أن كُل واقِعٍ واقع بِمَشيئَتِه، وأنه لم يَشَأْ مِنهمْ إلا ما صدَرَ عَنهم، وأنه تعالى لَو شاءَ مِنهمُ الهِدايةَ لاهْتَدَوا أجْمَعينَ.

والمقصودُ أنْ يَتَمَحضَ وجهُ الرد عَليهم، وَتَتَخَلصَ عَقيدةُ نُفوذِ السنة وعموم تغلغلها بكُل كائن عنِ الرد، وينْصَرِفَ الرد إلى دَعواهُم سَلْبَ الاخْتيار لأنفُسهم، وأنّ إقامتهم الحجة بِذلِكَ خاصة. وإذا تَدَبرْتَ الآية وَجَدْتَ صَدرَها دَافِعًا لِصُدورِ الجَبْرية، وعَجُزَها مُعْجزًا للمُعْتزلة، إذِ الأولُ مُثبتٌ أن لِلْعَبدِ اختيارًا وقُدْرةً على وجْهٍ يَقْطَعُ حُجَتَه وعُذْرَه في المُخالَفَةِ والعِصْيانِ، والثاني مُثبتٌ نُفوذَ مَشيئَةِ الله تعالى في العبدِ، وأن جَميعَ أفعالِه على وَفْقِ المَشيئة الإلهيةِ، وبذلكَ تَقومُ الحُجةُ البالغة لأهلِ السنةِ على المُعتزلةِ، والحمدُ لِلهِ رب

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

العالمين.

ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم رد دعوة الأنبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا، وأراده منا، وأنتم تخالفون إرادته، حيث تدعونا إلى الإيمان، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدة: منها قوله سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [1] فإنه بتقدير الشرط، أي إذا كان الأمر كما زعمتم ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [2].

وقوله سبحانه: ﴿ فَلَوْ شَآءَ ﴾ [3] بدل منه على سبيل البيان، أي لو شاء لدل كلًّا منكم ومن مخالفيكم على دينه، لو كان الأمر كما تزعمون، لكان الإسلام أيضًا بالمشيئة، فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الإسلام، كما وجب بزعمكم ألا يمنعكم الأنبياء عن الشرك. فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعاداة، بل موافقة وموالاة. وحاصله أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عندكم حقًّا؛ لأنه بمشيئة الله تعالى، فيلزم تصحيح الأديان المتناقضة.

وفي سورة [النحل: ٣٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [4]: الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة، ولا تراهم يتشبثون بالمشيئة إلا عند انخذال الحجة. ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتم في سورة الأنعام في الآية السابقة، وكذلك في سورة [الزخرف: ١٩-٢٢]: وهو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .
(٤) سورة النحل آية : ٣٥ .

تَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) ويكفي في الانقلاب ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ (٢) والمُرادُ بِما حَرموهُ السوائِبُ والبَحائرُ وغيْرُها. وَفي تَخْصيصِ الاشْتِراكِ والتحْريمِ بالنفي؛ لأنهما أعْظَمُ وأشْهَرُ ما هُمْ عَلْيه. وَعَرَضُهم مِنْ ذَلكَ تكْذيبُ الرسولِ عَلْيهِ الصلاةُ والسلامُ والطعْنُ في الرسالةِ رَأْسًا، فَإن حاصِلَهُ أيْ ما شاءَ الله يَجِبُ، وما لمْ يَشَأْ يَمْتنِعُ، فَلوْ أنهُ سُبحانَهُ وَتعالى شاءَ أنْ نُوحدَهُ، وَلا نُشرِكَ بِهِ شيئا، وَنُحَللَ ما أحلَهُ، ولا نُحَرمَ شيْئا مِما حَرمْنا كَما تَقولُ الرسُلُ وَيَنْقُلونَه مِنْ جِهَتِهِ تَعالى لَكانَ الأمرُ كَما شاءَ مِنَ التوحيدِ وَنفْيِ الإشراكِ، وَتحْليلِ ما أحَلهُ، وَعَدَمِ تَحْريمِ شَيْءٍ مِنْ ذَلكَ، وَحَيْثُ لم يَكُنْ كَذلِكَ، ثبتَ أنه لم يَشَأْ شَيْئًا مِن ذَلكَ بَلْ شاءَ ما نحنُ عَلْيهِ.

وَتحَققَ أن ما يَقولُهُ الرسُلُ عليهم السلام مِن تِلْقاءِ أنفُسِهِمْ. فَرد الله تَعالى عَلْيهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٣) مِن الأممِ، أيْ: أشْرَكوا بِاللهِ تَعالى، وَحَرموا مِنْ دونِهِ ما حَرموا، وجادَلُوا رُسُلَهُمْ بِالباطِلِ لِيُدْحضوا بِهِ الحَق ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٤)، أيْ: ليستْ وَظيفَتُهمْ إلا البَلاغ للرسالَةِ، المُوضحَ طَريق الحَق والمُظْهر أحْكامَ الوحْيِ التي مِنها تَعَلقُ مَشيْئَتِهِ تَعالى باهْتِداءِ مَنْ صرَفَ قُدْرَتَهُ واخْتِيارَهُ إلى تَحْصَيلِ الحَق؛ لقولِهِ تَعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٥) وأما إلْجاؤهمْ إلى ذَلِكَ، وتنفيذُ قَوْلِهم عليهِ شاءوا أوْ أبَوْا كما هو مُقْتضى اسْتِدْلالِهم فليسَ ذَلِكَ مِن وَظيفَتِهم، ولا

---

(١) سورة الزخرف آية : ١٩ - ٢٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٣ .
(٤) سورة النحل آية : ٣٥ .
(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

مِن الحِكْمَةِ التي يَتوَقفُ عَلَيْها التكليفُ، حَتّىَ يُسْتَدَل بعدمِ ظُهورِ آثارِهِ على عدمِ حَقيقةِ الرسلِ عليهم السلام أو على عدمِ تَعَلقِ مَشِيْئَتِهِ تَعالى بذَلكَ، فإن ما يَتَرَتبُ عليه الثوابُ والعِقابُ مِن الأفْعالِ لا بُد في تَعَلقِ مَشيئتِهِ تَعالى بِوقوعِهِ مِن مُباشَرَتهم الاخْتِيارِيّة، وَصَرْفِ اخْتِيارِهِم الجُزْئي إلى تَحْصيلِه، وإلا لَكانَ الثوابُ والعِقابُ اضطِراريين، والكلامُ على هذهِ الآية ونحوِها مُسْتوفىً في تفسير (رُوحِ المعاني) وغيرِه. فجُحودُ القَدَرِ والاحتجاجُ بِه على الله ومُعارَضَةُ شرع الله بِقَدَرِه، كُل ذَلكَ مِن ضلالاتِ الجاهِلِية.

والمَقْصودُ أنهُ لا جَبْرَ وَلا تَفْويضَ، ولكنْ أمر بَيْنَ أمْرَين، فمَنْ زَلتْ قَدَمُهُ عَنْ هَذِهِ الجادةِ كانَ على ما كانَ عليهِ أهلُ الجاهِلِية، وهِيَ الطريقَةُ التي رَد عَلَيْهَا الله سبحانَه ورَسُولُه ﷺ .

مسبة الدهر

(السادسة والثلاثون): مَسَبة الدهْر: كقولهم في سورةِ [الجاثية: ٢٤] ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ (١) ، وذلكَ أن الله تعالى أرادَ بيانَ أحْكامِ ضلالِهم والخْتمِ على سَمْعِهم وقُلوبِهم وجَعل غِشاوة على أبصارِهم، فَحَكى عنهم ما صدَرَ عَنهم بقوله سُبحانَه وتَعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢) التي نَحْنُ فيها ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ (٣) أيْ تموتُ طائِفَة، وَتَحْيا طائِفةٌ، ولا حَشْرَ أصلا.

ومِنهم مَن قالَ: إن كَثيرًا مِن عُبادِ الأصنامِ كانَ يقول بالتناسُخ، وَعَلْيهِ فالمُراد بالحياةِ: إعادةُ الروحِ لِبَدَنٍ آخَرَ ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ (٤) أيْ طول الزمان.

وإسنادُهُمْ الإهلاكَ إلى الدهرِ إنكار مِنهم لِمَلَكِ الموتِ وقَبْضِهِ الأرواحَ بِأمرِ الله تَعالى، وكانوا يُسْنِدونَ الحوادِثَ مُطْلقًا إلْيهِ؛ لِجَهْلِهم أنها مُقدَرة مِن عندِ الله تَعالى، وَأشْعارُهُم لِذَلِكَ مَملوءة مِن شَكْوى الدهْرِ (٥) وهؤلاءِ مُعْترفون بوجودِ الله تعالى، فَهُمْ غَيرُ الدهْرية. فإنهم مَعَ إسنادِهِمُ الحوادِثَ إلى الدهْرِ لا يَقولونَ بِوُجوده سُبْحانَه وَتعالى عَما يَقولونَ عُلوّا كَبيرا والكُل يَقولُ بِاسْتِقْلالِ الدهْرِ بالتأثيرِ.

وقَد جاءَ النهيُ عَنْ سب الدهْرِ، أخْرجَ مُسْلِمٌ: ﴿ لا يَسُبّ أحَدُكُم الدهْرَ، فإن الله هو الدهْرُ ﴾ (٦) وفي رِوَايةٍ لأبي داودَ والحاكِمِ "قالَ الله ﷻ ﴿ يُؤذيني ابنُ آدَمَ يقولُ: يا

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٢) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٣) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٤) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٥) مثل قول قائهم : أشاب الصغير وأفنى الكبير كـر الغـداة ومـر العشـي ومثل قول الآخر : منـع البقـاء تقلـب الشمـس وطلوعها من حيث لا تمسي وقول الآخر : رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال وكنـت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال والشعر في ذلك قديمًا وحديثًا كثير .
(٦) مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٧) ، مالك الجامع (١٨٤٦) .

خيبةَ الدهرِ، فلا يَقُلْ أحَدُكُم يا خيبةَ الدهرِ، فإني أنا الدهرُ، أقلبُ ليْلَهُ وَنهارَهُ ﴾ [(١)]
وَروى الحاكِمُ أيضًا: ﴿ يقولُ الله ﷻ اسْتقْرَضتُ عَبْدِي فلم يُقرِضْني، وَشَتَمَني عبدي وهو لا يَدْري، يقولُ: وادَهْراهُ! وَأنا الدهرُ ﴾ [(٢)] . وَرَوى البيهقي: ﴿ لا تَسُبوا الدهرَ، قال الله ﷻ أنا الأيامُ والليالي، أجَدِدُها وأبليها، وآتي بِملوكٍ بعدَ مُلوكٍ ﴾ [(٣)] . ومَعْنى ذَلكَ أن اللهَ تعالى هو الآتي بالحوادِثِ، فَإذا سَببتُمُ الدهرَ على أنهُ فاعِل، وَقعَ السب عَلى الله عز وجل.

﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ ﴾ [(٤)] ، أيْ: ليسَ لهم بِما ذُكِرَ مِنْ قَصْرِ الحياةِ على ما في الدنيا وَنِسْبَة الإهلاكِ إلى الدهرِ عِلم مُسْتنِــد إلى عَقْــلٍ أو نَقْــلٍ ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [(٥)] أيْ ما هُم إلا قوم قُصارَى أمرِهِم الظن والتقليدُ مِنْ غيْرِ أنْ يَكونَ لَهُم ما يَصِح أنْ يَتمَسكَ بِهِ في الجُمْلةِ. وقدْ ذكرْنا في غيْرِ هذا المَوْضِع ما يَتعَلقُ بالدهْرِيينَ، والمقصودُ أن يقول بإسنادِ الحوادِثِ إلى غيرِ اللهِ تعالى كالدهرِ، فَذلك ليسَ لَهُ مستندٌ عقلَيّ وَلا نَقْلِي، بَل هو مَحْضُ جَهْلٍ، وقائِلُهُ جاهلٌ في أي عَصْرٍ كانَ. ولأهل زماننا حظ وافر من هذا الاعتقاد الباطل. والله المستعان.

إضافة نعم الله إلى غيره

(السابعة والثلاثون): إضافةُ نِعَمِ الله إلى غيرِه، قال اللهُ تعالى في سورةِ [النحْل: ٨٣]:

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٥٤٩) ، مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أبو داود الأدب (٥٢٧٤) ، أحمد (٢/٢٣٨) ، مالك الجامع (١٨٤٦) .
(٢) أحمد (٢/٣٠٠) .
(٣) أحمد (٢/٤٩٦) .
(٤) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٥) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(١)] وقدْ عَددَ الله تعالى نِعَمَهُ على عِبـاده في هذهِ السورةِ [٧٨: ٨٠] إلى أنْ قالَ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(٢)]

فقوله ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)] إلخ اسْتِئناف لِبيانِ أن تولي المُشركينَ وإعراضَهم عن الإسلامِ لْيسَ لِعَدَمِ مَعْرِفتِهم نعمةَ الله سُبحانَه وَتعالى أصلا، فإنهم يعرفون أنها مِن الله تعالى، ثُم يُنكِرونَها بأفعالِهم، حيثُ لم يُفرِدوا مُنعِمَها بالعِبادةِ، فَكأَنهم لمْ يَعْبُدوه سُبحانه وَتعالى أصْلا، وذَلِكَ كُفْران مُنزل مَنزِلَةَ الإنكارَ. وأخرجَ ابنُ جريرٍ وغيرُه عَنْ مُجاهِدٍ أنه قَالَ: إنكارُهُم إياها قولُهم: وَرِثْناها مِن آبائِنا وأخرجَ هو وغيرُهُ أيْضًا عن عونِ بن عبدِ اللّهِ أنه قالَ: إنكارُهم إياها أنْ يقولَ الرجُلُ: لَوْلا فلانٌ أصابَني كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلا فلانٌ لم أُصِبْ كَذَا وَكَذَا. وَفي لَفظٍ: إنكارُها: إضافَتُها إلى الأسبابِ، وبعضُهُم يقولُ: إنكارُهُم: قولُهم: هي بشفاعة آلِهتهم عند الله تعالى. وَمِنهم مَن قال: النعمةُ هنا مُحَمد ﷺ أيْ: يَعْرِفونَ أنه- عليه الصلاة والسلامُ- نَبيٌّ بِالمُعجِزاتِ، ثُم يُنكِرون ذَلِكَ، وَيَجْحَدونَه عِنادًا ﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(٤)] أيْ المُنكِرون بِقُلوبِهم، غيرُ المُعترَفين بما ذُكِرَ. والتعبيرُ بالأكثرِ إما لأن بعضهم لم يَعْرِفِ الحقَ لِنُقصانِ عقلِه وعدمِ اهتدائِهِ إليه، أو لِعدمِ نَظَرِهِ في الأدلة نَظَرًا يُؤدي إلى المَطْلوبِ، أو لأنه لمْ تَقُمْ عليه الحُجةُ؛ لِكونِهِ لم يَصِلْ إلى حَد المُكَلفينَ لِصغرٍ ونحوِه، وإما لأنه يُقامُ مقامَ الكُل، فإسنادُ المعرفةِ والإنكارِ المتفرع عَلَيْها إلى ضَميرِ المشركينَ على الإطلاقِ مِن باب إسناد حالِ البعضِ إلى الكل.

---

(١) سورة النحل آية : ٨٣ .

(٢) سورة النحل آية : ٨١ - ٨٣ .

(٣) سورة النحل آية : ٨٣ .

(٤) سورة النحل آية : ٨٣ .

وَمِما يَجْرِي هذا المَجْرى قولُهُ تَعالى في سورةِ [الواقِعةِ:٨١-٨٢] ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ [1] أيْ: تَقولونَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا وكَذا.

رَوَى مُسْلِم وغيرُهُ عن ابنِ عباس قالَ: «مُطِرَ الناسُ على عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ" أَصْبَحَ مِنَ الناسِ شاكِرٌ، ومِنهم كافِرٌ، قالوا: هذِهِ رحمة وضَعَها الله" وقالَ بعضُهم: لَقَد صَدَقَ نَوْءُ كَـذا، فَنَزَلَتْ هَـذه الآيَـة ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ ﴾ [2] حتى بَلَغَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ [3] » إلَى غيرِ ذَلكَ مِنَ الآثارِ. والمقصود أن إسناد النعم إلى غير منعمها الحقيقي كفران لها. وَقَدْ ذَكَرْنا مَذهبَ العربِ في الأنواءِ في غيرِ هذا الموضِع، وَفَصلْناه تفْصيلا، وَذَكَرْنا شِعْرَهُمُ الدال على مَذهِبِهم هذا. واللّهُ المُوفقُ.

الكفر بآيات الله

(الثامنة والثلاثون): الكفرُ بآيات الله. والنصوصُ الدالةُ على ذلك في القرآنِ كثيرة: مِنها قولُهُ تَعالى في [الكَهْفِ: ١٠٥- ١٠٦]: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۝١٠٦ ﴾ [4] بَعْدَ قـولِهِ سُبـحانَه [الكهف: ١٠٣- ١٠٤]: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾ [5].

---

(١) سورة الواقعة آية : ٨١ - ٨٢ .

(٢) سورة الواقعة آية : ٧٥ .

(٣) سورة الواقعة آية : ٨٢ .

(٤) سورة الكهف آية : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) سورة الكهف آية : ١٠٣ - ١٠٤ .

فقوله (أولئكَ) كلام مُسْتَأنفٌ منهُ مَسوق لتكْميلِ تعريفِ الأخْسَرينَ، وَتبيينِ خُسرانِهم وضَلالِ سَعْيِهم وَتَعْيينهم، بِحيثُ يَنْطَبِقُ التعريفُ على المُخاطَبينَ. أيْ أولئكَ المَنعوتونَ بِما ذُكِرَ من ضَلالِ السعْيِ والحُسْبانِ المذكورِ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ (١) بِدلائِلِهِ سُبحانَه الداعِيَة إلى التوحيدِ الشامِلة للسمعيةِ والعقلِيّة ﴿ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ (٢) هو كِنايةٌ عن البعثِ والحَشْرِ وما يَتْبَعُ ذلك مِن أُمورِ الآخِرَة، أي لم يؤمِنوا بِذَلِكَ على ما هو عَلَيه ﴿ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ﴾ (٣) أيْ: فَنَزْدَري بِهِم، وَنَحْتَقِرُهُم. وِمنَ النصوصِ ما يَدُل على أن مِنهم مَن كان يُنكِرُ بعضَ الآياتِ، ومِنهم مَن كانَ مُعْرِضًا عَنْها وهاجرًا لها، ولا يَخْفى عليك أن مِنَ الناسِ اليومَ مَن هُوَ أدْهى وأمَر مِما كانَ عَلَيهِ أهلُ الجاهِلية فِي هَذَا البابِ.

اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله

(التاسعة والثلاثون): اشْتِراء كُتُبِ الباطِلِ واخْتِيارُها عليها، أيْ عَلى الآيات. قالَ تَعالى [البقرة: ٩٩-١٠٣]: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ

(١) سورة الكهف آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الكهف آية : ١٠٥ .
(٣) سورة الكهف آية : ١٠٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩٩ - ١٠٢ .

لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1] .

وَمعنى قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ [2] ، أيْ اسْتبدَلَ ما تَتلوا الشياطينُ بِكتابِ الله. ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ ﴾ [3] أي: نَصيبٍ ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ [4] أيْ: واللّهِ لَبِئْسَ شيئًا شَروا بِهِ حُظوظَ أنفُسِهم، أيْ: باعوها أو شَروْها في زعْمِهم ذَلِكَ الشراءَ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ [5] أيْ بِالرسول أوْ بِما أُنزِلَ إليهِ مِنَ الآياتِ أو بِالتوْراةِ ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ [6] أيْ المَعاصي التي حُكِيَتْ عَنْهُمْ. ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [7] أيْ أن ثَوابَ الله تَعالى خَيْرٌ لَهُمْ، وبِمَعْنى هذه الآيةِ قولُه تَعالى [البقرة: ٧٨-٧٩] ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [8] .

وَهذه الآية نَزَلَتْ في أحبارِ اليهودِ الذينَ خافُوا أنْ تَذهبَ رِياسَتُهم بِإبْقاءِ صفَةِ النبي ﷺ على حالِهـا، فَغيروها.

القدح في حكمة الله تعالى

(الأربعون): القَدْح في حِكْمَتِهِ تَعالى. أقولُ: مِنْ خِصالِ الجاهلية: القَدْحُ في حِكْمَتِهِ

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ - ١٠٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٣ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٣ .
(٧) سورة البقرة آية : ١٠٣ .
(٨) سورة البقرة آية : ٧٨ - ٧٩ .

تعالى، وأنهُ ليسَ بحكيمٍ في خَلْقِهِ. بمعنى أنه سُبحانه يَخْلُقُ ما لا حِكْمَةَ لَهُ فيهِ، ويأمُرُ وينهى بما لا حِكْمَةَ فيهِ. وقد حَكى الله تعالى ذَلِكَ بقولِهِ في سورةِ [ص: ٢٧]: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) وَقالَ سُبحانه في سورةِ [المؤمنين: ١١٥-١١٦]: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٢) وفي سورةِ [الدخان: ٣٨-٣٩]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) وفي سـورةِ [الأنبيـاء: ١٦-١٧]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (٤).

وفي سورةِ [الحِجْر: ٨٥] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (٥) إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الناصةِ على أن الله تعالى لَم يَخلُقْ شَيْئًا مِن غيرِ حِكمةٍ وَلا عِلة، عَلى خِلافِ ما يَعْتَقِدُهُ أهلُ الباطِلِ مِنَ الجاهِلينَ، وَمَن نَحا نَحْوهُمْ مِن هذِهِ الأمةِ مِمنْ نَفى الحِكمةَ عَن أفعالِهِ سُبحانه وَتعالى. وهَذِهِ مَسألةٌ طويلةُ الذيلِ، قَدْ كَثُرَ فيها الخِصامُ بَيْنَ فِرَقِ المُسلمينَ، والحق ما كانَ عَلَيه السلَفُ مِن إثباتِ الحِكمةِ والتعليلِ. وقَدْ أطْنَبَ الكلامَ عليها الحافِظُ ابنُ القيم في كِتابِه (شِفاءِ العليلِ في مسائلِ القَضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَة والتعْليلِ) وَعَقَدَ بابًا مُفصلا في طُرُقِ إثباتِ حِكمة الرب تعالى في خَلْقِهِ وَأمْرِهِ، وإثباتِ الغاياتِ المَطلوبةِ والعواقِب الحَميدَةِ

(١) سورة ص آية : ٢٧ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٥ - ١١٦ .
(٣) سورة الدخان آية : ٣٨ - ٣٩ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٦ - ١٧ .
(٥) سورة الحجر آية : ٨٥ .

التي فَعلَ وَأمَرَ لأجلِها.

ومِن جُملةِ ما قالَ في هذا البابِ: إنه سُبحانَه وَتعالى أنكرَ على مَن زَعَمَ أنه لم يخلُقِ الخَلْقَ لغايةٍ ولا لحِكمةٍ، كَقَولِهِ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ [1] وَقَولِهِ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [2] والحَق: هو الحِكَمُ والغاياتُ المحمودةُ، التي لأجلِها خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ وهو أنواعٌ كثيرةٌ منها أنْ يُعْرَفَ اللهُ بأسمائِه، وصِفاتِه، وأفعالِه، وآياتِه. ومِنها: أنْ يُحَب، ويُعْبَدَ، ويُشْكَرَ، ويُطاعَ ومِنها: أنْ يأمُرَ، وينْهى، ويُشَرعَ الشرائِعَ.

ومِنها: أنْ يُدَبرَ الأمرَ، ويُبرِمَ القَضاء، ويَتَصَرفَ في المَمْلَكَة بأنواعِ التصَرفاتِ. ومِنها: أنْ يثيبَ ويُعاقِبَ، فيُجازِيَ المُحْسِنَ بإحْسانِه، والمُسيءَ بإساءَتِه، فَيكونَ أثَرُ عَدْلِه وفَضْلِه موجودًا مُشاهَدًا، فيُحْمَدَ على ذَلِكَ ويُشْكَرَ.

ومِنها: أنْ يُعْلِمَ خَلْقَهُ أنه لا إِلَهَ غيْرُه، وَلا رَب سِواه. ومِنها: أنْ يَصْدُقَ الصادِقُ فيُكْرِمَهُ، وَيكْذِبَ الكاذِبُ فيُهينَهُ. ومِنْها: ظُهورُ آثارِ أسْمائِه وَصِفاتِه عَلى تنوعِها وكَثرتِها في الوُجودِ الذهْنِيَ والخارجي، فيعلم عباده ذلك علمًا مطابقًا لما في الواقع. ومِنْها: شَهادةُ مَخلوقاتِه كُلها بأنه وَحْدَهُ ربا وَفاطِرُها ومَليكُها، وأنه وَحْدَهُ إِلهُها ومَعْبودُها. ومِنْها: ظُهورُ آثارِ كَمالِه المُقَدسِ، فإن الخَلْقَ والصنْعَ لازِمُ كَمالِه، فإنه حَي قديرٌ، ومَن كانَ كَذَلِكَ لم يَكُنْ إلا فاعِلا مُختارا. ومِنها أنْ يُظهِرَ أثَرَ حكمتِه في المخلوقاتِ بوضعِ كُل مِنها في مَوضِعِه الذي يَليقُ بِه، ومَجيئِه على الوجهِ الذي تَشْهَدُ العُقولُ والفطَرُ بِحُسْنِه، فتشهدَ حِكْمَتَه الباهِرة ومِنها: أنه سُبحانه يُحِب أنْ يَجودَ ويُنعِمَ ويَعْفُوَ ويَغْفِرَ ويُسامِحَ، ولا بُد مَن لوازِمِ ذَلِكَ خَلْقًا وشَرْعًا. ومِنها: أنه يُحِب أنْ يُثْنى عَلَيْه، ويُمْدَحَ ويُمَجدَ، ويُسَبحَ ويُعَظمَ ومِنها: كثرةُ شواهِدِ رُبوبيتِهِ وَوَحْدانِيتِهِ وَإلهيتِه. إلى غير ذلكَ من الحِكَمِ التي

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .

(٢) سورة الدخان آية : ٣٨ - ٣٩ .

تضمنها الخلْقُ، فَخَلَقَ مَخْلوقاتِهِ بسببِ الحَق. ولأجْلِ الحَق، وَخَلْقُها مُلْتبس بالحَق، وهو في نفسِهِ حَقّ: فَمَصْدَرُهُ حَق، وغايتُه حَق، وهو يَتضَمنُ الحَق. وقَدْ أثنى على عِبادِهِ المؤمنينَ حَيْثُ نَزهوهُ عَنْ إيجادِ الخَلْقِ، لا لِشَيْءٍ ولا لِغاية، فَقَالَ تعالى [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ (١) وَأَخْبَرَ أن هَذَا ظَن أعدائِه، لا ظَن أوليائِه فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ (٢).

وكيفَ يَتوَهمُ أنه عَرَفَهُ مَن يقولُ: إنه لم يَخلقِ لِحكمةٍ مطلوبة له، ولا أمرَ لِحكمةٍ، ولا نَهى لِحكمةٍ، وإنما يَصدُرُ الخَلْقُ والأمرُ عن مشيئَةٍ وقُدْرَةٍ مَحْضَةٍ، لا لِحكمةٍ ولا لِغاية مقصودةٍ.

وهلْ هذا إلا إنكارٌ لحقيقة حَمْده بَل الخَلْقُ والأمرُ إنما قامَ بالحكمِ والغاياتِ، فَهُما مَظْهرانِ لِحمده وحِكمتِه. فإنكارُ الحكمةِ إنكارٌ لِحَقيقةِ خَلْقِهِ وأمرِه، فإن الذي أثبَتَهُ المُنْكِرونَ مِن ذَلكَ لَنزهُ عنه الرب، ويَتعالى عَن نسبتِهِ إليه، فإنهم أثْبتوا خَلْقًا وَأمرًا لا رَحْمَةَ فيهِ ولا مَصْلَحَة ولا حِكمةَ، بَلْ يجوزُ عِنْدَهُم أو يَقعُ أنْ يَأمرَ بما لا مَصلحةَ لِلْمُكلفِ فيه ألبتة، ويَنْهى عَما فيه مَصلحة، والجميعُ بالنسبة إليه سواءٌ ويَجوزُ عِندَهم أنْ يَأْمُرَ بِكُل ما نَهى عَنه، ويَنْهَى عن جَميعِ ما أمَرَ بِهِ، ولا فَرْقَ بَيْنَ هذا وهذَا إلا بِمُجَردِ الأَمرِ والنهْي.

وَيجوزُ عِندَهم أنْ يُعَذبَ مَنْ لم يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، ويثيبَ مَن عصَاهُ بلْ أفْنى عُمُرَهُ في الكُفْرِ بِهِ والشرْكِ والظلْمِ والفُجورِ، فَلاَ سَبيلَ إلى أنْ يُعْرَفَ خِلافُ ذِلكَ منه إلا بِخَبَرِ الرسول، وإلا فهو جائِزٌ عليهِ. وَهَذَا مِن أقْبَحِ الظن وأسوئِهِ بالرب سُبحانَه، وَتَنزيهُهُ عَنْهُ كَتَنزيهِهِ عن الظلْمِ والجَوْرِ، بَلْ هذا هو عَيْنُ الظلْمِ الذِي يَتعالى الله عَنْهُ. والعَجَبُ العُجابُ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) سورة ص آية : ٢٧ .

أن كثيرًا من أرباب هذا المذهب يـ هونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتا تجسيمٌ وتشبيهٌ، ولا يـ هونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن التوحيد عندهم لا يتم إلا به، كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، وتكلمه وتكليمه، وصفات كماله فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي وذلك الإثبات، والله ولي التوفيق. انتهى المقصود من نقله، وتمام الكلام في هذا الباب من ذلك الكتاب (١) وإليه سبحانه المآب.

الكفر بالملائكة والرسل، والتفريق بينهم

(الحادية والأربعون): الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم. قال تعالى [البقرة: ٨٧ - ٩٩] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٢). إلى أن قال: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ

(١) وهو " شفاء العليل " لابن القيم رحمه الله .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٧ - ٩١ .

بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [1] . فَقَدْ تَبينَ مِنْ هذهِ الآيات أن بَعْضَ الكِتابِيينَ كانُوا يَكفُرونَ بِالمَلائكةِ والرسُل، يُفَرقونَ بينَهُمْ، أيْ يؤمِنونَ بَبَعْضٍ ويَكفُرونَ بَبعضٍ، وهم طائفةٌ مِن جاهِليةِ اليَهودِ. وَلِهَذا أمَرَنا الله تَعالى بالإيمانِ بم وَعَدَمِ التفْرقَةِ بَيْنَهُم، فَقَالَ [البقرة: ٢٨٥] ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [2] .

الغلو في الأنبياء والرسل

(الثانيـة والأربعـون): الغُلُو في الأنبيـاءِ والرسُل عليهم السلام، قالَ تَعالى في سورةِ [النسـاءِ:١٧١] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ ﴾ [3] وَالغُلُو في المخلوقِ أعْظمُ سَبَبٍ لعبادةِ والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الأصنامِ والصالِحينَ، كَما كانَ في قوم نوح مِن عبادةِ نَسْرٍ وَسُواعٍ وَيغوث وَنحْوِهِم، وكما كان مِنْ عبادةِ النصارى لِلمسيحِ عليه السلام، ومِثلُ ذلِكَ القولُ على الله بِغيرِ الحَق.

الجدال بغير علم

(الثالثة والأربعون): الجِدالُ بِغيرِ العِلم كما تَرى كثيرًا مِن أهلِ الجَهلِ يُجادِلونَ أهلَ العِلْمِ عِندَ نَهْيِهِم عَما أِلفوه مِنَ البِدَعِ والضلالاتِ. وهي صِفَةٌ جاهِلِّيةٌ نَهانا الله تَعالى عَن التخَلقِ بِها.

قال تَعالـى في سـورةِ [آل عمران: ٦٥-٦٦] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ

(١) سورة البقرة آية : ٩٧ - ٩٩ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .
(٣) سورة النساء آية : ١٧١ .

فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] .

أخْرَجَ ابنُ إسحاقَ وابنُ جَريرٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قالَ: ﴿ اجْتَمَعَتْ نَصارى نَجْرانَ وأحبارُ يهودَ عِندَ رَسُولِ الله ﷺ فَتنازَعوا عِنْدَهُ، فَقالَتِ الأحبارُ: ما كانَ إبراهيمُ إلا يهوديا، وقالتِ النصارى: ما كان إبراهيمُ إلا نصرانيا، فأنْزَلَ الله فيهم هذهِ الآية ﴾ المُنادِيَةَ على جَهْلِهم وعِنادِهم، كما لا يخْفى على مَنْ راجَعَ التفسيرَ.

الكلام في الدين بلا علم

قال الشيخ: (الرابعة والأربعون) الكَلامُ في الدين بِلا عِلْمٍ، أقولُ: أجْمَلَ الشيخُ رحمه الله تعالى الكَلام في هذهِ المسألة كُل الإجمالِ كما فَعلَ مِثْلَ ذَلِكَ في كَثيرٍ مِنَ المَسائِلِ، وما أحَقها بِالتفصيلِ. وَذَلِكَ أن أهلَ الجاهِلية مِنَ العَرَبِ وغيرِهِم مِنَ الكِتابِيينَ شَرَعوا في الدينِ ما لَم يَأذَنْ بِهِ الله، أما العَرَبُ فقد كانَ الكثيرُ مِنهُم على دين إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهم السلام إلى أنْ ظَهَرَ فيهِمُ الخُزاعِي[2] فَغيرَ وَبدلَ، وابْتَدَعَ بِدَعًا كَثيرةً، وَأغْرى العَرَبَ عَلى عِبادةِ الأصنامِ، وَبحَرَ البَحيرَةَ، وَحَمى الحامِ، واسْتَقْسَمَ بِالأزلامِ، إلى غيرِ ذَلِكَ مِما فَصلْناه في غيرِ هَذا الموضِعِ. وإنْ شِئْتَ أنْ تَعْرِفَ جَهْلَ العَرَبِ، وما ابْتَدَعوهُ فاقْرأْ سورةَ الأنعامِ فَإن فيها كَثيرًا مِن ضَلالاتِهم ومُبْتَدَعاتِهم.

وأما الجاهِليونَ مِنَ اليَهودِ والنصارى، فَقَدِ اتخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أرْبابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم، وَذَلِكَ أن أحبارَهم ورُهبانَهمُ ابْتَدَعوا لَهُم في الدينِ بدَعًا، وَحَللوا وَحَرموا ما اشْتَهَتْهُ أنفسُهُم، فَقَبِلوا ذَلِكَ مِنهم وأطاعوهُم عليه، مع أن الدينَ إنما يَكونُ بِتشريعِ الله ووحْيِهِ إلى أنْبيائِهِ ورُسُلِهِ عليهم السلام، ولا يَكونُ بِآراءِ الرجالِ وبِحَسَبِ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٥ - ٦٦ .

(٢) وهو عمرو بن لحي وكان الحجازيون ربا في امتثال أمره وطاعته والانتهاء عما ينهى عنه .

أهوائِهِمْ، فَكُل ما لا دَليلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتابٍ ولا سُنةٍ مَرْدودٌ على صاحِبِه. وَقَدْ ذم الله تعالى اليهود عَلى مِثل ذَلِكَ فَقَال عَز اسْمُهُ في سورةِ [آلِ عِمران: ٧٨]، ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] فَمَنْ أول نصوصَ الكِتابِ والسنة على حَسَبِ شَهواتِهِ وبِمُقْتضى هَواهُ فَهو أيْضًا مِنْ قَبيلِ الذين يَلْوون ألْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ. وَأنتَ تَعْلَمُ ما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ اليومَ كَثيرٌ مِن كُتب الشريعَةِ مِنَ الآراءِ التي لَيْسَ لَها مُسْتند مِنْ دَلائِلِ الشريعَةِ. فإلى الله المُشْتكى مِنْ صَوْلَةِ الباطِلِ وخُمولِ الحَق.

الكفر باليوم الآخر

(الخامسة والأربعون): الكُفر باليومِ الآخِرِ، والتكذيبُ بِلِقاءِ الله، وَبَعْثِ الأرْواحِ، وَبِبَعْضِ ما ذَكَرَتْهُ الرّسلُ مِنْ صِفاتِ الجَنةِ والنارِ. قال تعالى في سورةِ [الكَهْفِ: ١٠٣-١٠٥]، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ [2] الآية. وقد مَر الكَلامُ عَلَيها قريبًا. وَقالَ تعالى في سورةِ [النحْلِ: ٣٨-٣٩]، ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3]. إلى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ النصوصِ الوارِدَةِ في ذَلِكَ كُلِه. ولِقومِ عَصْرِنا مِنْ هذا الاعْتِقادِ الجاهِلي حَظ وافِرٌ، وَنصيبٌ كامِلٌ، ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ، نَسْألُهُ تَعالى التوْفيقَ للهِدايَةِ.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٨ .
(٢) سورة الكهف آية : ١٠٣ - ١٠٥ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٨ - ٣٩ .

التكذيب بآية ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (١)

(السادسة والأربعون): التكذيب بقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (٢) وهو اليومُ الذي يَدينُ الله تعالى العِبادَ فِيه بأعمالِهم، فيُثيبُهمْ عَلَى الخيْراتِ ويُعاقِبُهم على المَعاصِي والسيئاتِ. والتكذيبُ بهذا اليومِ مُتفرِعٌ عَلى إنكارِ البعثِ والحِسابِ والجَنةِ والنارِ.

التكذيب بآية ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ ﴾ (٣)

(السابعة والأربعون): التكذيب بقولِهِ تعالى [البقرة: ٢٥٤] ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ ﴾ (٤) من قوْلِهِ سُبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤ ﴾ (٥). والخُلةُ: المَودة والصداقةُ، ومَعْنى وَلا شَفَاعَةٌ أيْ لا أحَدَ يَشْفَعُ لأحَدٍ إلا مِن بَعْدِ أنْ يأْذَنَ الرحْمنُ لِمَنْ يَشاءُ ويَرْضى. وأرادَ بِذلِكَ يومَ القيامَة. والمُرادُ مِن وصْفِهِ بما ذُكِرَ: الإشارةُ إلى أنه لا قدرةَ لأحَدٍ فيه على تحصيلِ ما ينْتفَعُ بِهِ بوجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، لأن مَن في ذِمتِهِ حَقٌ مَثَلا إما أنْ يأخُذَ بالبيع ما يُؤَديهِ بِهِ، وإما أنْ يعينَهُ أصدقاؤُه، وإما أنْ يلتجئ إلى مَنْ يَشفعُ لَهُ في حَطه، والكُل مُنتَف، ولا مُسْتعان إلا باللّهِ عز وجل.

الخطأ في معنى الشفاعة

(الثامنة والأربعون): التكذيبُ بقولِهِ تعالى في سورةِ [الزخْرُفِ: ٨٦] ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ

(١) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [(١)] . قولُه: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ [(٢)] أي ولا يملكُ آلِهَتُهُمُ الذين يَدْعونَهم مِن دونِهِ الشفاعَةَ، كما زَعَموا أنهم شُفعاؤُهم عِندَ الله ﷻ ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [(٣)] الذي هو التوحيدُ.

﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [(٤)] أيْ: يَعْلَمونَه. والمرادُ بِهم: الملائِكَةُ وَعِيسى وعُزَيرٌ وَأضرابُهُمْ. وَأنتَ تَرى الناسَ اليومَ عاكِفينَ على أصنامٍ لَهُمْ يَدْعونَهُمْ مِن دونِ الله، وعُذْرُهم عِندَ توبيخِهم أن هؤلاءِ شُفَعاؤُهم. تَعالى الله عَما يُشرِكون.

قتل أولياء الله

(التاسعة والأربعون): قَتْلُ أولياءِ الله، وقَتْلُ الذينَ يأمرونَ بالقِسْطِ مِنَ الناسِ، قالَ تعالى في سورةِ [البقَرَة: ٦١] ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [(٥)] وقالَ في سورةِ [آل عِمرانَ: ١٨٣] ﴿ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [(٦)] إلى آياتٍ أخَرَ في هذا المعْنى صَرحَتْ بِما لاقاهُ الأنبياءُ والرسُلُ عليهم السلام وأتباعُهُم المُخْلِصونَ ودُعاةُ الحَق [(٧)]

(١) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٥) سورة البقرة آية : ٦١ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٣ .
(٧) من ذلك أن الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم إلى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تنهد له الصياصي وتشيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته الطاهرة ، تغمده الله برحمته ورضوانه .

وبما كابدوه مِن أعداءِ الله والجَهَلَةِ الطُغاةِ مِما تنهد لَهُ الصياصِي وتَبيض مِنْهُ النواصِي. هؤلاءِ أكابِرُ الأمةِ المُحَمدِيةِ وَعُلَماؤُها الأعلامُ، قد صادَفوا عِندَ دَعوتِهم إلى الحَق والمحافظَةِ عَليه ما يَسْوَد منه وجه القِرْطاسِ، وَتشيبُ مِنه لَمَمُ المِدادِ. والأنبياءُ- صلواتُ الله عليهم- وأتباعُهُم المُؤمنونَ- وإنْ كانوا يُبْتَلونَ في أولِ الأمْر- فالعاقبَةُ لَهم، كما قالَ تعالى لَما قَص قصةَ نوح [هود: ٤٩]: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]. وفي الحَديثِ المتفَق على صِحتِهِ ﴿ لما أرسلَ النبي ﷺ رسولا إلى مَلِكِ الرومِ، فَطَلَبَ مَنْ يُخْبِرُهُ بسيرته، وكانَ المُشرِكونَ أعداءَهُ، لم يَكونوا آمنوا بِهِ فقالَ: "كيفَ الحربُ بَيْنكُم وَبَيْنهم قالوا: الحَرْبُ بَيْننا وَبَيْنَهُ سِجالٌ، يُدالُ علينا المرَةَ، وَنُدال عَليه الأخْرَى. فقال: كذلك الرسُلُ تُبْتلى، وتكونُ لها العاقِبَةُ ﴾ [2]. فإنه كان يومُ بدرٍ نَصر الله المُؤمنينَ، ثُم يَوْمَ أُحُدٍ ابتُلِي المُؤمنونَ، ثم لم يُنصَرِ الكُفارُ بَعْدَها، حَتى أظهَرَ الله تَعالى الإِسْلامَ. فإنْ قِيلَ: ففي الأنبياءِ مَن قد قُتِلَ، كما أخْبَرَ الله تعالى في الآيات السابقَةِ أن بَني إسرائيلَ يَقْتُلونَ النبيينَ بِغير الحَق، وفي أهل الفُجورِ مَن يُؤتيهِ الله مُلكًا وسُلْطانا وَيسلطُهُ على المُتَدَينين كما سَلط بُخْتَ نصرَ عَلى بَني إسرائيلَ، وكما سَلطَ كفار المُشرِكينَ وأهلِ الكتابِ- أحيانًا- على المُسْلِمينَ قيلَ: أما مَنْ قُتِلَ مِن الأنبياءِ فهم كمَنْ يُقْتَلُ مِنَ المُؤمِنينَ في الجِهادِ شَهيدا. قالَ تعالى [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [3]. ومعلومٌ أن مَنْ قُتِلَ مِنَ

(١) سورة هود آية : ٤٩ .
(٢) البخاري بدء الوحي (٧) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣) ، أحمد (٢٦٣/١) .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٤٦ - ١٤٨ .

المُؤمنينَ شَهيدا في القتالِ، كان حالُه أكملَ من حالِ مَن يموتُ حتْفَ أنفِهِ قالَ تعالى [آل عمران: ١٦٩]: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١). ولهذا قال تعالى [التوبة: ٥٢]: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ ﴾ (٢)، أيْ: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة.

ثُم إن الدينَ الذي قاتَلَ عليه الشهَداء ينْتصِرُ ويَظْهَرُ، فَيكون لِطائفتِه السعادةُ في الدْنيا والآخرةِ، مَن قُتِلَ مِنهم كان شهيدا، ومَن عاشَ مِنهم كانَ منصورًا سَعيدا، وهذا غايةُ ما يكونُ مِن النصرِ، إذْ كان الموتُ لا بُد منه، فالموتُ على الوجهِ الذي تحصُلُ به سعادةُ الدنيا والآخرةِ أكملُ، بِخلافِ من يهلكُ هو وطائفتُه، فلا يفوزُ لا هو ولا هم بمطلوبِهم، لا في الدنيا ولا في الآخِرةِ. والشهَداءُ مِنَ المؤمنين قاتَلوا باختيارِهم، وفَعَلوا الأسبابَ التي بِها قُتِلوا، كالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنْكَرِ، فَهُمُ اختاروا هَذا المَوْتَ، إما أنهم قَصَدوا الشهادَةَ، وإما أنهم قَصَدوا به ما يصيرونَ شُهَداءَ، عالِمينَ بأن لهُم السعادةَ في الآخِرَةِ وفي الدنيا بِانتصارِ طائِفَتِهم وبَقاءِ لسانِ الصدقِ لهم ثَناءً ودُعاءً، بِخِلافِ مَن هَلَكَ مِن الكُفارِ، فإنهم هَلَكوا بِغيرِ اختيارِهم، هَلاكا لا يرجونَ مَعه سعادةَ الآخِرةِ، ولم يَحصلْ لَهُمْ ولا لِطائِفَتِهم شَيْءٌ مِن سعادةِ الدنيا، بَلْ أُتبعوا فِي هَذِهِ الدُّنيا لَعْنَةً وَيومَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبوحِينَ، وَقيلَ فيهمْ [الدخان: ٢٥-٢٩]: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣). وقد أخْبَرَ سُبحانَه أن كثيرا مِن الأنبياء قُتِلَ مَعَهُ رِبيونَ كثيرٌ، أيْ: أُلوفٌ كثيرةٌ، وأنهم ما ضَعُفوا ولا اسْتكانوا لِذَلِكَ، بل اسْتَغْفَروا مِنْ ذُنوبِهم التي كانتْ سببا لظُهورِ العدو، وأن الله تعالى آتاهُمْ ثَوابَ الدنيا

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٩ .
(٢) سورة التوبة آية : ٥٢ .
(٣) سورة الدخان آية : ٢٥ - ٢٩ .

وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ، فإذا كان هذا قَتْلَ المُؤمنينَ، فَما الظن بِقتلِ الأَنبياءِ؟ ففيه لهم ولأتباعِهم مِن سَعادةِ الدنيا والآخِرَةِ ما هو مِن أعظمِ الفَلاحِ. وظُهورُ الكُفارِ على المُؤمنينَ- أَحْيانا- هو بِسببِ ذُنوبِ المسلِمينَ، كَيومَ أُحُدٍ، فإنْ تابوا انْتَصَروا على الكُفارِ، وكانتِ العاقِبةُ لهم، كما قد جَرى مِثْلُ هَذا لِلمُسْلمينَ في عامةِ ملاحِمهم معَ الكفارِ. وَهَذا من آيات النُبوةِ وأَعْلامِها ودَلائِلها، فإن النبي، ﷺ إذا قاموا بعُهودِهِ ووَصاياهُ، نَصَرَهُمُ الله، وأظْهَرَهُمْ على المُخالِفينَ له، فإذا ضَيعوا عُهودَهُ ظَهَرَ أُولِئكَ عَليهم.

فمَدارُ النصرِ والظهورِ مَعَ مُتابَعَةِ النبي ﷺ وُجودا وعَدَما مِن غير سَبَبٍ يُزاحم ذلك، ودوران الحُكْمِ مع الوصفِ وجودا وعدما مِن غير مزاحَمَة وصفٍ آخَرَ يوجِب العِلْمَ بأن المَدارَ عِلة للدائِرِ، وقولُنا: "مِن غير وصفٍ آخَرَ": يُزيلُ النقوضَ الوارِدَةَ. فهذا الاستقراءُ والتتّبعُ يُبينُ أن نَصْرَ الله وإظهارَه هو بسببِ اتباعِ النبي، وأنه سُبحانَه يُريدُ إعْلاءَ كَلِمَتِهِ وَنَصْرَه وَنصْرَ أَتباعِهِ عَلى مَن خالَفَه، وأنْ يَجعلَ لهم السعادةَ ولِمَن خالَفَهم الشقاءَ، وهذا يوجبُ العِلْمَ بنُبوّتِه، وأن مَن اتبَعَهُ كانَ سَعيدا، ومَن خالَفه كانَ شَقِيًا. ومن هذا ظُهورُ بُخْتَ نَصرَ على بَني إسرائيلَ، فإنه مِن دلائِل نبوةِ موسى؛ إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بِذَلِكَ، وكانوا- إذْ كانوا مُتبِعينَ لِعُهودِ موسى - مَنْصورينَ مُؤيدينَ، كما كانوا في زَمنِ داودَ وسُلْيمانَ وغيرِهما. قَالَ تعالى [الإسراء: ٤-٨]: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [1] . فَكانَ ظُهورُ بَني إسرائيلَ على عَدُوهِم

---

(١) سورة الإسراء آية : ٤ - ٨ .

تارةً، وظُهورُ عَدُوهِم عَلَيهم تارةً من دَلائِلِ نبوةِ موسى ﷺ وآياتِه، وكذلِكَ ظُهورُ أُمة محمد ﷺ على عَدُوهم تارةً، وظُهورُ عَدُوهِم عليهم تارةً، هو من دلائِلِ رِسالة محمد ﷺ وأعلامِ نبوته. وكانَ نَصْرُ الله لِموسى وقومِه على عَدُوهِم في حَياتِهِ وبَعْدَ مَوْتِه، كما جَرَى لَهُمْ مِنْ يوشعَ وغيرِه من دَلائِلِ نبوةِ موسى، وكذلك انتِصار المؤمنين مَعَ مُحَمد ﷺ في حياته وبَعْدَ مماتِهِ مع خُلفائِهِ مِن أعلامِ نبوته ودَلائِلها. وهذا بِخلافِ الكُفارِ الذين يَنتصِرون عَلى أهل الكِتابِ أحيانا، فإن أولئكَ لا يكونُ مُطاعُهم إلى نبي، ولا يُقاتلونَ أتباعَ الأنبياءِ على دِينٍ، ولا يَطلُبونَ مِن أولئكَ أنْ يَتبعوهُم على دينهم، بَلْ قَدْ يُصَرحونَ بأنا نُصِرْنا عَلَيكم بِذُنوبكم، وأنْ لَو اتبَعْتم دِيْنكم لم ننصرْ عَليكـــم.

وأيضا فلا عاقِبَةَ لهم، بَل الله يُهلِكُ الظالِمَ بالظالِمِ، ثُم يهلِكُ الظالِمينَ جميعًا، ولا قَتيلُهم يَطلبُ بِقَتْلِهِ سَعادةً بعدَ الموتِ، ولا يَخْتارونَ القَتْلَ لِيَسْعَدوا بعد المَوتِ. فهذا وأمثالُه مِما يُظْهِرُ الفَرْقَ بينَ انتِصارِ الأنبياءِ وأتباعِهم، وبَيْنَ ظُهورِ بعض الكفارِ على المُؤمنينَ، أو ظُهورِ بعضِهم على بعض، ويُبينُ أن ظُهورَ محمد ﷺ وأُمتِهِ على أهلِ الكِتابِ: اليهودِ والنصارى، هو من جنسِ ظُهورِهم على المُشركينَ: عَبَدَةِ الأوثانِ، وذلك مِن أعلامِ نبوتِهِ ودلائلِ رِسالَتِه، لَيس هو كَظُهورِ بُخْتَ نَصرَ على بني إسرائيلَ وظُهورِ الكُفارِ على المُسْلِمينَ. وهذه الآية مِما أخْبَرَ بِهِ موسى، وبَينَ أن الكذابَ المُدعي لِلنُبوةِ لا يَتِم أمرُهُ، وإنما يَتِم أمرُ الصادِقِ. فإن مِن أهلِ الكِتابِ مَن يَقولُ: مُحَمد وأُمتُه سُلطوا عَلَيْنا بذُنوبِنا مَعَ صِحةِ دِيننا الذي نَحْنُ عَلَيهِ، كَما سُلطَ بُخْتَ نَصرَ وغيرُه مِن المُلوكِ. وهذا قِياس فاسِدٌ، فإن بُخْتَ نَصرَ لَم يَدع نبوة، ولا قاتَلَ على دينٍ، ولا طَلَب مِن بني إسرائيلَ أنْ يَنتقِلوا عَن شَريعة موسى إلى شَريعتِهِ، فلم يَكن في ظُهورِهِ إتمام لِما ادعاهُ مِن النُبوةِ ودَعَا إلَيهِ مِنَ الدينِ، بَل كانَ بِمَنْزِلة المُحاربينَ قُطاعِ الطريقِ إذا ظَهَروا على القَوافِلِ. بِخِلافِ مَن ادعى نبوةً ودِينا، ودَعا إليه، ووَعَدَ أهلَه بِسعادَةِ الدنيا والآخِرةِ، وتَوعَدَ مُخالِفيه بِشَقاوةِ الدنيا والآخِرَةِ، ثُم نَصرَه اللهُ، وأظْهَرَهُ، وَأتم دِينَه، وأعْلى كَلِمَتَه، وجَعَلَ لَهُ العاقِبةَ، وَأذَلَ مُخالِفيه. فإنَ هذا مِن جِنسِ خَرقِ العاداتِ المقْتَرِنِ بِدَعوى النُبوةِ، فإنه دليلٌ

عَليها. وقدْ تَغْرقُ في البَحْرِ أُممٌ كثيرة، فلا يَكونُ ذَلِكَ دَليلا على نُبوةِ نَبي، بِخِلافِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَقومِهِ، فإنه كانَ آيةً بينةً لموسى. وهذا مُوافِقٌ لِما أخْبَرَ بِهِ موسى - عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ- مِن أن الكذابَ لا يَتِم أمْرُهُ، وذَلِكَ بأن الله حَكيم لَا يَليقُ بِهِ تَأْييدُ الكَذابِ على كَذِبِهِ مِن غَيْرِ أنْ يُبين كَذِبَهُ.

ولِهذا أَعْظَمُ الفِتَنِ: فِتنةُ الدجالِ الكَذابِ، لَما اقْتَرَنَ بِدَعْواهُ الألوهِيةَ بعضُ الخَوارِقِ، كان مَعَه ما يَدُل على كَذِبِهِ مِن وجوهٍ: مِنها: دَعْواهُ الألوهِيّةَ، وهو أعْوَرُ، واللّهُ ليس بأعْوَرَ، مَكتوبٌ بَيْنَ عَيْنيهِ كافرٌ، يَقْرَؤه كل مُؤمِنٍ قارئ وغير قارئ، واللّهُ تعالى لا يَراهُ أحَدٌ حَتّى يموتَ، وقد ذكر النبي ﷺ هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة. فَأما تَأْييدُ الكَذاب، وَنَصْرُهُ، وإظهارُ دعوتِه دائمًا، فهذا لم يَقَعْ قط، فَمَن يَستدل على ما يَفْعَلُهُ الرب سُبحانَه بالعادةِ والسنةِ، فهذا هو الواقع على ذلك- أيضا- بِالحِكمةِ، فحِكمتُه تُناقِضُ أنْ يفعلَ ذلكَ، إذ الحَكيمُ لا يَفعلُ هذا. وقد قالَ تعالى [الفتح: ٢٢-٢٣]: ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [1]. فَأخْبَرَ أن سُنةَ الله التي لا تَبديلَ لَها: نصرُ المُؤمنينَ على الكافِرينَ. والإيمانُ المُسْتَلزِمُ لِذَلِكَ يَتضَمنُ طاعةَ الله ورسولِه، فإذا نَقَصَ الإيمانُ بِالمَعاصي كانَ الأمْرُ بِحَسبِهِ، كمـا جَرى يومَ أُحُـدٍ. وقالَ تَعالى [فاطر: ٤٢-٤٣]: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾ [2] فَأخْبَرَ أن الكفارَ لا يَنظرونَ إلا سُنةَ الأولين، ولا يوجَد لِسُنةِ الله تبديلٌ، لا تُبدلُ بغيرها، ولا تَتحولُ، فكيفَ النصْرُ لِلكُفارِ على المُؤمنينَ الذين يَسْتَحِقُونَ

(١) سورة الفتح آية : ٢٢ - ٢٣ .
(٢) سورة فاطر آية : ٤٢ - ٤٣ .

هذا على الأمم؟ وكذلك قال في المنافِقينَ وهم الكفارُ في الباطِن دونَ الظاهِرِ وَمَنْ فيه شُعبةُ نفاقٍ [الأحـزاب: ٦٠-٦٢]: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ ﴾ [1]. والسنةُ هي العادةُ، فهذه عادةُ الله المعلومةُ، فإذا نَصَرَ من ادعى النبوةَ وأتباعَه على مَن خالَفَه، إما ظاهِرا وإما باطِنا نصرا مستقرّا، فإن ذَلكَ دليلٌ على أنه نبي ﷺ إذ كانت سُنةُ الله وعادُته نصرَ المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين، كما أن سُنَتَه تأييدُهم بالآيات البينات، وهذه منها.

ومن ادعى النُبوةَ وهو كاذب، فهو مِنْ أكْفَرِ الكُفارِ وأظْلَمِ الظالِمينَ، قال تعالى [الأنعام: ٩٣]: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [2]. وَقَالَ تعالى [الزمر: ٣٢]: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ ﴾ [3]. وقَـالَ تعالـى [العنكبوت: ٦٨]: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ ﴾ [4]. وَقَالَ تعالى [الأنعام: ١٤٤]: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ﴾ [5] وَمَنْ كانَ كَذلِكَ، كانَ الله يمقته، ويُبغضُه، ويُعاقِبُه، ولا يَدومُ أمرُه، بَلْ هو كما قالَ النبي ﷺ في الحديثِ الصحيح عن أبي هريرةَ قالَ: ﴿ إن

(١) سورة الأحزاب آية : ٦٠ - ٦٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٣ .
(٣) سورة الزمر آية : ٣٢ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٨ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٤ .

الله يُمْلي لِلظالِم، فإذا أخَذَهُ لَمْ يُفلِتْه "، ثم قرأ [هود: ١٠٢]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) ، وقال - أيضا - في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثلُ المُؤْمِن كَمَثل الخامَةِ مِنَ الزرعِ، تفيؤُها الرياحُ، تُقيمُها تارة وتُميلُها أخْرى، وَمَثلُ المُنافِق كَمَثلَ شَجَرَةِ الأرْزِ، لا تَزالُ ثابِتةً عَلى أصلِها، حَتّى يكونَ انْجِعافُها مرةً واحدةً » . فالكاذبُ الفاجِرُ وإنْ عَظُمَتْ دولَتُه، فلا بُد من زوالِها بالكُلية، وبقاءِ ذَمِهِ ولسانِ السوْءِ لَه في العالَمِ، وهو يَظْهَرُ سَريعا، ويَزولُ سَريعا، كَدَوْلة الأسودِ العنسي، ومُسَيْلَمَةَ الكذابِ، والحارِثِ الدمَشقي، وبابِكِ الخُرمِي ونحوِهِم. وأما الأنبياءُ، فإنهم يُبْتَلونَ كثيرًا لِيُمَحصوا بالبَلاءِ، فإن الله تعالى يُمَكنُ لِلْعَبْدِ إذا ابْتلاه، ويُظْهِرُ أمرَه شَيْئا فشيئا، كالزرع، قال تعالى [الفتح: ٢٩]: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ (٢) (أي فِراخَه) ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ (٣) (أي قَواه) ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (٤) . ولِهذا كان أولى مَن يَتبعُهُمْ ضُعفاءُ الناسِ بِاعْتِبارِ هذه الأمورِ. وسُنةُ الله في أنبياءِ الله وأوليائِه الصادقين وفي أعداء الله والمُتنبئين الكذابين مِما يوجِبُ الفرقَ بين النوعَين، وبَيْنَ دَلائِل النِبي الصادقِ ودَلائِل المُتنبي الكذابِ. وقد ذُكِرَ ابتلاءُ النِبي والمؤمِنينَ ثُم كَونُ العاقِبَةِ لهم في غيرِ موضعٍ كقوله تعالى

(١) سورة هود آية : ١٠٢ .
(٢) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٣) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٤) سورة الفتح آية : ٢٩ .

[الأنعام: ٣٤]: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(١)]. وقال تعالى [البقرة: ٢١٤]: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [(٢)]. قال تعالى [يوسف: ١٠٩- ١١١]: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [(٣)].

والمقصودُ أن إيذاءَ القائمينَ بالحَق، والناصِرينَ له مِن سننِ أهْلِ الجاهِلية، وكَثيرٌ مِن أهلِ عصرِنا على ذلك، واللّهُ المُستَعانُ.

الإيمان بالجبت والطاغوت

(الخمسون): الإيمانُ بِالجِبْتِ والطاغوتِ، وَتفْضيلُ المُشرِكينَ على المسلمين. قال تعالى في سورةِ [النساء: ٥١]: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [(٤)]. هَذِهِ الآية نَزَلْت في حُيي بنِ أخْطَبَ وَكَعْبِ بنِ الأشرَفِ في جَمعٍ مِن يهودَ، وذلك أنهم خَرَجوا إلى مَكةَ بَعْدَ وقْعَةِ أُحُدٍ؛ لِيحالِفوا قُريشا على رسول الله ﷺ وَينقُضوا العَهْدَ الذي بَينَهم وبَيْنَ

(١) سورة الأنعام آية : ٣٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤ .
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٩ - ١١١ .
(٤) سورة النساء آية : ٥١ .

رَسُولِ الله ﷺ فنَزَل كعبٌ على أبي سُفيانَ، فأحْسَنَ مَثواه، وَنَزَلَتِ اليهودُ في دورِ قُرَيْشٍ، فقالَ أهلُ مَكةَ: أَنْتُمْ أهلُ كِتاب، ومحمد ﷺ صاحبُ كِتابٍ، فلا يُؤمَنُ هذا أنْ يكونَ مَكرًا مِنْكُـمْ، فإنْ أَرَدْتَ أن نَخْرج معَكَ، فَاسْجُدْ لِهذينِ الصنَمَينِ وآمِنْ بِهما، فَفَعَلَ، ثُم قَال كعبٌ: يا أهلَ مَكةَ! لِيَجيء مِنكم ثلاثونَ ومِنا ثلاثونَ، فنلْزِقْ أكْبادَنا بالكعبةِ، فنعاهِدْ رب البيتِ لَنَجْهَدَن على قِتالِ مُحَمدٍ، ففَعَلوا ذلك، فَلَما فَرَغُوا قال أبو سُفيانَ لِكَعبٍ: إنك امرؤ تَقْرَأُ الكتابَ وَتَعْلَمُ، ونحنُ أميون لا نَعلَمُ، فَأينا أَهْدى طَريقا وأقرَبُ إلى الحَق: أنَحْنُ أمْ مُحمد؟ قال كعبٌ: اعرِضوا علي دِينَكم، فَقالَ أبو سُفيانَ: نَحْنُ ننحَرُ لِلْحَجيجِ الكَوْماءَ، وَنَسْقِيهِمُ اللبَنَ، ونقري الضيفَ، وَنَفُك العانِيَ، وَنَصِلُ الرحِمَ، وَنَعْمُرُ بيت رَبنا، وَنَطوفُ بِهِ، وَنَحْنُ أهلُ الحَرَمِ، ومحمدٌ فارَقَ دِينَ آبائِهِ، وَقَطَعَ الرحِـمَ، ودِينُنا القديمُ، ودينُ محمدٍ الحديثُ، فقال كَعب: أَنْتم واللّهِ أهدى سَبيلا مِما عَلَيْهِ مُحَمد، فَأَنْزَلَ الله في ذلكَ الآيات. والجِبْتُ في الأصلِ: اسمُ صَنَمٍ، فاستُعْمِلَ في كُل مَعبود غَير الله. والطاغوتُ: يُطْلَقُ على كُل باطِلٍ مِنْ معبودٍ أو غَيْرِهِ. ومَعْنى الإيمانِ بِهما: إما التصْديقُ بأنهما آلهةٌ، وإشراكُهُما بِالعِبادَةِ مَعَ الله تعالى، وإما طاعَتُهُما وموافقتُهما على ما هُما عَلَيْهِ مِنَ الباطِلِ، وإما القَدْرُ المُشْتَرَكُ بينَ المَعْنَيَيْنِ كالتعْظِيْمِ - مَثَلا. والمُتبادرُ المَعْنى الأولُ، أيْ أنهم يُصَدقونَ بألوهِيةِ هذَيْنِ الباطِلَيْنِ، وَيُشْرِكونَهما في العِبادَةِ مَعَ الإلهِ الحَق، وَيَسْجُدونَ لَهُما.

لبس الحق بالباطل

(الحادية والخمسون): لبس الحَق بِالباطِلِ، وَكِتمانُـه، قَـالَ تعالـى في سـورةِ [آل عِمرانَ: ٧١]: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1]. وفي المُرادِ أقوال: أَحَدُها: أن المُرادَ تحريفُهُم التوراةَ والإنجيلَ. ثانيها: أن المُرادَ إظهارُهُم الإسلامَ، وإبطانُهُم النفاقَ. ثالِثُها: أن المُرادَ الإيمانُ بِموسى وَعيسى، والكُفرُ بِمُحَمدٍ ﷺ. وَرابِعُها: أن المُرادَ ما يَعْلَمونَه في قُلوبِهِم مِن حَقيقةِ رِسالَتِه ﷺ وما

(١) سورة آل عمران آية : ٧١ .

يُظْهرونَه مِن تكْذِيبِه.

الإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه

(الثانية والخمسون): التعصبُ لِلْمَذهَبِ، والإقرارُ بالحَق لِلتوَصل إلى دَفْعِه. قَال تَعَالى في سورةِ [آلِ عِمرانَ: ٧٢-٧٤]: ﴿ وَقَالَت طَّآبِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [1]. قالَ الحسنُ والسدي: تَواطأ اثنا عَشَرَ رَجُلا مِن أحبارِ يَهودِ خَيْبَرَ وقُرى عَرينٍ، وقال بعضُهم لِبَعْضٍ: ادْخلوا في دِينِ مُحَمدٍ أول النهارِ باللسانِ دونَ الاعتقادِ، واكفُروا آخِرَ النهارِ، وقولوا: إنا نَظَرْنا في كُتبِنا، وشاوَرْنا عُلَماءَنا، فَوَجَدْنا مُحَمدا ليس بذاكَ، وظَهَرَ لنا كَذِبُه، وبُطلانُ دِينه، فإذا فَعلْتم ذلك شَك أصحابُه في دِينهم، وقالوا: إنهم أهلُ كِتابٍ، وهُم أعْلَمُ بِه، فيَرجِعونَ عن دِينهم إلى دينكم.

اتخاذ النبيين أربابا

(الثالثة والخمسون): تسْمِيتهم اتباعِ الإسلامِ شِركًا. قَالَ تَعَالى [آل عمران: ٧٩-٨٠]: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2]. أخْرَجَ ابنُ إسحاقَ بِسَنَدِه: حِينَ ﴿ اجْتَمَعَتِ الأحْبارُ مِنَ اليهودِ والنصارى من أهلِ نَجْرانَ عِنْدَ رسول الله ﷺ وَدَعاهُم إلى الإسلامِ، [قالوا]: أتريد يا محمدُ أنْ نَعْبدَكَ كما تَعْبُدُ النصارى

(١) سورة آل عمران آية : ٧٢ - ٧٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٩ - ٨٠ .

عِيسى ابنَ مَرْيَمَ؟ فقالَ رَجُلٌ مِن أهلِ نَجْرانَ نَصْرانِي يُقالُ لَهُ الرئيسُ: أَوَ ذاكَ تريدُ مِنا يا مَحمدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ "معاذَ الله أنْ نَعْبدَ غَيْرَ الله، أوْ نَأمُرَ بِعبادَةِ غيرِه، وما بِذَلِكَ بَعَثَني، وَلا بِذَلِكَ أمَرَني »، فَأنزَلَ الله تعالى هذه الآية.

تحريف الكلم عن مواضعه

(الرابعة والخمسون): تَحْريفُ الكَلِم عَنْ مواضِعِه، وَلَي الألْسِنَةِ بالكِتابِ. قَالَ تعالى في سورةِ [آل عِمران: ٧٨]: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1]. رُويَ أن الآية نَزَلَتْ في اليهودِ والنصارى جَميعا، وَذِلكَ أنهم حَرفوا التوراةَ والإنجيلَ، وَألْحَقوا بِكِتابِ الله تعالى ما لَيسَ مِنْهُ. واخْتَلَفَ الناسُ في أن المحرفَ هَلْ كان يُكْتَبُ في التوراةِ أم لا؟ فَذَهبَ جَمْع إلى أنه لَيس في التوراةِ سِوى كلامِ الله تعالى، وأن تَحْريفَ اليهودِ لم يَكُنْ إلا تَغْييرا وَقْتَ القِراءَةِ، وتأويلا باطِلا للنصوصِ، وأما أنهم يَكْتبون ما يَرومونَ في التوراةِ على تعددِ نُسَخِها فَلا. واحْتَجوا لِذَلِكَ بِما رُويَ أن التوراةَ والإنجيلَ كما أنْزَلهما الله تعالى لم يُغَيرْ منهما حَرْفٌ، وَلَكِنهُم يُضِلونَ بِالتحْريفِ والتّأويلِ وَكُتبٍ كانوا يَكْتبونَها مِن عِندِ أنْفُسِهم، وَيقولونَ: إن ذَلِكَ مِنْ عِندِ الله، وما هو مِنْ عِندِ الله، فأما كُتبُ الله تعالى فإنها مَحْفوظَةٌ لا تحول. وبأن النبي ﷺ كانَ يَقولُ لِليهودِ إلزامًا لهم: ﴿ ائتوا بِالتوراةِ فَاتْلوها إنْ كُنْتُم صادِقينَ ﴾ [2]، وهم يَمْتَنِعونَ عن ذَلِكَ، فَلَو كانَت مُغَيرَةً إلى ما يُوافِقُ مَرامَهُمْ ما امْتنعوا، بَلْ وَمَا كانَ يقولُ لَهم ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ لأنهُ يَعودُ على مَطلَبِه الشريفِ بالإبطالِ. وَذَهَبَ آخَرُونَ إلى أنهم

(١) سورة آل عمران آية : ٧٨ .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٢٨٠) ، مسلم الحدود (١٦٩٩) ، أبو داود الحدود (٤٤٤٦) ، أحمد (٥/٢) ، الدارمي الحدود (٢٣٢١) .

بدلوا، وكتموا ذلك في نفس كتابهم، واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر (١) . ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ؛ لاحتمال التواطؤ، أو فعل ذلك في البعض دون البعض، وكذلك لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك؛ لاحتمال علمه ببقاء بعض ما يفي بغرضه سالما عن التغيير، إما لجهلهم بوجه دلالته، أو لصرف الله تعالى إياهم عن تغييره. وتمام الكلام في تفسير الجد عند الكلام على هذه الآية، وكذا في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام. وكثير من الأمة المحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف، والتأويل، واتباع شهواتهم. وقال تعالى في سورة [النساء: ٤٦]: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢) . والكلام على هذه الآية- أيضا- مستوفى في التفسير.

تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة

(الخامسة والخمسون): تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية. فقد كان أهل الجاهلية يلقبون من خرج عن دينهم بالصابىء، كما كانوا يسمون رسول الله ﷺ بذلك، كما ورد في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيرا للناس عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيرا من هذه الأمة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس. والصابئة أمة قديمة على مذاهب مختلفة، قد تكلم عليها أهل المقالات بما لا مزيد عليه. وأما الحشوية، فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة؛ كالحروف في أوائل السور، وكذا قال بعضهم، وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطا، وكانوا يجلسون في حلقته أمامه: "ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة"، أي: جانبها. وخصوم السلفيين يرمونهم بهذا الاسم؛ تنفيرا للناس عن

(١) ومنها أن السفر المنسوب إلى موسى نفسه مذكور فيه خبر وفاة موسى مكتوبا من بعده ، فكيف يوحى إليه أو يصدر عنه ما كتب بعده ؟ محب الدين الخطيب .

(٢) سورة النساء آية : ٤٦ .

اتباعِهِمْ والأخْذِ بِأقوالِهِمْ، حَيْثُ يَقولونَ في المُتشابِهِ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١) وَقَدْ أخْطَأت أسْتُهُمُ الحُفْرَةَ، فَالسلَفُ لا يَقولونَ بِوُرودِ ما لا مَعْنى لَهُ لا في الكِتابِ ولا في السنةِ، بَلْ يَقولونَ في الاسْتِواءِ مَثَلا: "الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقولٍ، والإقْرارُ بِهِ إيمانٌ، والجُحودُ بِهِ كُفْرٌ. وَقَدْ أطالَ الكَلامَ في هذه المَسْألة شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمية في كَثيرٍ مِنْ كُتبـهِ، وَلخص ذَلِكَ فِي كِتابِهِ (جَوابُ أهْلِ الإيمانِ) في التفاضُلِ بَيْنَ آياتِ القُرْآنِ (٢) .

وَمِنَ الناسِ مَنْ فَرقَ بَيْنَ مَذْهَبِ السلفِ وَمَذْهَبِ الحَشوية، بِأن مَذْهَبَ الحَشْوِيةِ وُرودُ ما يَتَعَذرُ التوصلُ إلى مَعْناهُ المُرادُ مُطْلَقًا، فالاسْتِواءُ- مَثلا- عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنًى يَتوصلُ إلَيْهِ بِمُجَردِ سَماعِهِ كُل مَنْ يَعْرفُ المَوْضوعاتِ اللغَويةَ، إلا أنهُ غَيْرُ مُرادٍ؛ لأنه خِلافُ ما يَقْتضيهِ دَليلُ العَقْلِ والنقْلِ، وَمَعْنًى آخَرُ يَليقُ بِهِ- تَعالى- لا يَعْلَمه إلا هو عز وجل. وكَيْفَ يَكونُ مَذْهَبُ السلَفِ هو مَذْهَب الحَشْوية، وَقَدْ رَأى الحَسَنُ البَصريّ الذي هو مِنْ أكابِرِ السلَفِ سُقوط قَوْلِ الحَشْوية، وَلَمْ يَرْضَ أنْ يَقْعُدَ قائلُهُ تُجاهَهُ؟! والمَقْصودُ أن أهْلَ الباطِلِ مِنْ المُبتدِعَة رَموا أهْلَ السنةِ والحَديثِ بِمِثل هَذا اللقَبِ الخَبيثِ. قال أبو مُحَمدٍ عبدُ اللهِ بنُ قُتَيبَةَ في "تأويلِ مُخْتَلِفِ الأحاديثِ ": "إن أصْحابَ البدَعِ سَموا أهْلَ الحَديثِ بِالحَشوِيّة، والنابِتة، والمُتجَبرِة، والجبرية، وسَموهُم الغثاءَ، وهذه كُلها أنباز لم يأتِ بِها خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ كما أتى في القَدَرية أنهُمْ ﴿ مَجوسُ هَذِهِ الأمةِ، فَإنْ مَرِضوا فَلا تَعودوهُمْ، وإنْ ماتوا فَلا تَشْهَدوا جَنائزَهُمْ ﴾ (٣) . وفي الرافِضَةِ: ﴿ يَكونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزمان يُسَموْنَ الرافِضة، يَرْفُضونَ الإسلامَ وَيَلْفُظونَهُ، فاقتلوهم، فإنهم مشركون ﴾ (٤)

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٢) وقد أعاد طبعه ناشر هذا الكتاب في المطبعة السلفية بعناية وتدقيق .
(٣) أبو داود السنة (٤٦٩١) ، أحمد (٨٦/٢) .
(٤) أحمد (١٠٣/١) .

وفي المرجئة: ﴿ صِنْفانِ مِنْ أُمتي لا تَنالُهُم شَفاعتي، لُعِنوا على لِسانِ سَبْعينَ نَبِيا: المُرْجِئَةُ والقَدَرِيّة ﴾ [(١)] . وفي الخوارج: ﴿ يَمْرُقونَ مِنَ الإسلامِ كَما يَمْرُقُ السهْمُ مِنَ الرمِيّةِ ﴾ [(٢)] ، و ﴿ كِلابُ أَهْلِ النّارِ ﴾ [(٣)] . هذه أسماء مِنْ رسول الله ﷺ وتِلْكَ أسْماءٌ مَصنوعَةٌ انتهى. وفي "الغُنْيَةِ" [(٤)] أن الباطِنيةَ تُسَمي أهلَ الحديثِ "حَشْوية" لِقولهم بالأخبارِ وتَعَلقهم بِالآثار. وفي كِتابِ "حُجة الله البالِغة" [(٥)] "واسْتطالَ هؤلاءِ الخائِضونَ عَلى مَعْشَرِ أهْلِ الحديثِ، وسَموْهُمْ مُجسمَةً، ومُشَبهَةً، وقالوا: هُمُ المُتَستِرونَ بِالبَلْكَفَة [(٦)] وَقَدْ وَضَحَ لَدي وُضوحًا بَينًا أن اسْتِطالَتَهُمْ هَذِهِ ليستْ بِشَيْءٍ، وأنهم مُخْطِئونَ في مَقالِتِهِم رِواية وَدِرايةً، وخاطِئونَ في طَعْنِهِمْ أئمةَ الهُدى انتهى.

وَقَدْ قالَ العَلامَةُ ابنُ القَيمِ في "كافِيَتِهِ الشافِيَةِ": "فَصْلٌ في تَلْقيبِهِم أهلَ السنةِ بِالحَشْوِيّة، وبيان مَنْ أوْلى بِالوصفِ المَذمومِ في هذا اللقَبِ مِنَ الطائفَتَيْنِ، وَذِكْرِ أول مَنْ لقب بِهِ أَهْلَ السنةِ مِنْ أهْلِ البِدَعِ: في هذا اللقَبِ مِنَ الطائفَتَيْنِ، وَذِكْرِ أول مَنْ لقب بِهِ أهْلَ السنةِ مِنْ أهْلِ البِدَعِ:

وَمِنَ العَجائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتدى ... بِالوَحْيِ مِنْ أثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
حَشْوِيـة يَعْنونَ حَشْوًا في الوُجو ... د وفَضْلَةً في أمةِ الإنْسانِ
وَيظُن جاهِلُهُمْ بِأنهُمُ حَشوا ... رَبّ العِبادِ بداخِلِ الأكْوانِ
إذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ العِبادِ وَفي السما ... ءِ الرب ذُو المَلَكوتِ والسلْطـانِ
ظَن الحَمِيْرُ بأن "فِي" لِلظرفِ وال ... رحمنُ مَحْوِيّ بِظَرْفٍ مَكانِ

---

(١) الترمذي القدر (٢١٤٩) ، ابن ماجه المقدمة (٦٢) .
(٢) البخاري المناقب (٣٤١٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٦) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢) ، أبو داود السنة (٤٧٦٧) ، أحمد (٨٨/١) .
(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٠٠) ، ابن ماجه المقدمة (١٧٦) .
(٤) للشيخ عبد القادر الجيلاني .
(٥) لشاه ولي الله الدهلوي .
(٦) من كلمة " بلا كيف " .

وَاللّهِ لمْ يُسْمَعْ بذَا من فرْقَـةٍ قَالَتْهُ في زَمَنٍ مِنَ الأزْمان
لا تَبْهَتوا أهْلَ الحديثِ بِهِ فَما ذَا قوْلهم تَبا لِذي البُهْتانِ
بَلْ قوْلُهُم: إِن السماواتِ العُلا في كَفِّ خالِقِ هَذِهِ الأكْوانِ
حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرى في كَفِّ مُسِكِهـا تَعالى الله ذُو السلْطانِ
أتَرونَهُ المَحْصورَ بَعْدُ أم السّما؟ يا قوْمَنا ارْتَدِعوا عَـنِ العُدْوانِ
كَمْ ذَا مُشَبِهَة وَذا حَشْـوِيـة صرف بلا جحد ولا كتمان
تَدْرونَ مَنْ سَمتْ شُيوخكمُ بِهذا الاسم في الماضي مِنَ الأزْمانِ
سمى بِهِ عمرو لَعبد اللّهِ(١) ذا ك ابـنِ الخَليفـةِ طـارِدِ الشيطـانِ
فوَرِثتم عَمروا كما وَرِثوا لِعَبد الله أنى يَسْتوي الإرْثانِ
تَدْرونَ مَنْ أولى بِهَذَا الاسمِ وَهو مُناسِبٌ أحواله بِوزانِ
مَنْ قَدْ حَشا الأوراقَ والأذْهانَ مِنْ بِدَعٍ تُخالِفُ مقتضى القرآنِ
هَذَا هو الحشوي لا أهلُ الحَديثِ أئمـةُ الإِسْلامِ والإِيمـانِ
ورَدوا عذَاب مَناهل السُّنَنِ التي لَيْسَتْ زبالَةُ هَذِهِ الأذهـانِ
ووَرَدْتُمُ القَلوطَ(٢) مَجْرى كُل ذِي ال أوساخ والأقذارِ والأنْتانِ
وَكسلْتم أنْ تَصْعدوا لِلوِرْدِ من أثرِ الشرائع خَيْبةَ الكَسْلانِ

وحاصِلُ هَذِهِ الأبياتِ أن أعْداءَ الحَق وخُصومَ السنةِ وأضْدادَ الكِتابِ والسنةِ يُلقبونَ سَلَفَ الأمةِ المُتَمَسكينَ بِالكِتابِ والسنةِ بلَقَبِ "الحَشْوِيَة" فالخَواص مِنْهُم يَقْصِدون بَذَا الاسْمِ أن المَسَمى بِهِ حَشْوٌ في الوُجودِ وفَضلَةٌ في الناسِ، لا يُعْبأ بِهِمْ، ولا يُقامُ لَهُمْ وَزْنٌ؛ إذ لَمْ يَتبِعوا آراءَهُمُ الكاسِدَةَ، وأفكارَهُمُ الفاسِدَةَ. وأما العَوام مِنْهم فيَظُنّونَ أن تَسْمِيَةَ

(١) عمرو هو ابن عبيد رأس المعتزلة ، وعبد الله هو ابن أمير المؤمنين عمر . انظر (المنتقى من منهاج الاعتدال) طبع السلفية ص ٩٣ .

(٢) القلوط وتسمية العامة قليط : مجرى ماء في دمشق؛ تنحدر إليه مياه المطابخ والحمامات والمراحيض .

السلفِ بِالحَشْوّية لِقَوْلهِمْ بِالفَوْقِية، وَكَوْن الإلِهِ في السماءِ، بِمَعْنى أنهُمُ اعْتقَدوا-وحاشاهُم- أن الله تعالى حَشْوُ هَذَا الوُجودِ، وأنه داخِلَ الكَوْنِ تعالى الله عَما يَقولُ الظالِمونَ عُلُوّا كبِيرا. وهذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ عَلى أهْلِ الحَدِيْثِ. عَلى أن هذا القولَ لَم يَقُلْ بِهِ أحَد. وأعداءُ الحَق في عَصْرِنا هَذَا عَلى هذا المَسْلَكِ الجاهِلي، فَتراهُمْ يَرْمونَ كُل مَنْ تَمسكَ بِالكِتابِ والسنةِ بِكُل لَقَبٍ مَذْمومٍ بَيْنَ المُسْلِمين، واللّهُ المُسْتعانُ عَلى ما تَصِفونَ.

التكذيب بالحق

(السادسة والخمسون): افْتِراء الكَذِبِ عَلى الله، والتكذيبُ بِالحَق. وَشواهِدُ هَذه المَسألة مِنَ الكتابِ والسنةِ كثيرٌ، وهذا دَأبُ المُخالِفينَ لِلدين المُبِينِ، كاليهودِ والنصارى، يَدعونَ أن ما هُمْ عَلْيِهِ هو الحَق، وأن الله أمَرَهُم بِالتمَسكِ بِهِ، وأن الدينَ المُبينَ ليس بِحَق، وأن الله تعالى أمَرَهُم بِتكْذيبِهِ، كُل ذَلكَ لاتبَاعِ أسْلافِهم، لا يَنظُرونَ إلى الدليلِ، وهكذا أهلُ البدَع والضلالاتِ يَعْتقدونَ بدَعَهُم الحَق، وأن الله أمَرَهُم بِها، وأن ما عَلْيه أهلُ الحَقّ مُفْترىً، لا يُصَدقونَ بِهِ.

وكُل يَدعي وَصلا لليلى وَليلى لا تُقر لَهُمْ بِذاكا

الافتراء على المؤمنين

(السابعة والخمسون): رَمْيُ المُؤمِنينَ بِطَلَبِ العلو في الأرض. قَالَ تعالى في سورةِ [يُونُسَ: ٧٨]: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١). هذا الكلامُ مَسوقٌ لَبيانِ أن موسى عليه السلام ألْقَمَهُمُ الحَجَرَ، فانْقطَعوا عن الإتيانِ بِكلامٍ لَهُ تَعَلقٌ بكلامِهِ عليه السلام فَضلا عَن الجَوابِ الصحيح، واضْطُروا إلى التشَبثِ بِذَيْلِ التقليدِ الذي هو دَأبُ كُل عاجِزٍ مَحْجوج، وَدَيْدَنُ كل معالج لَجوجٍ. على أنه اسْتِئْناف وَقَعَ جَوابا عَما قَبْلَه مِن كلامه عليه السلام

---

(١) سورة يونس آية : ٧٨ .

على طَريقَةِ: قال موسى، كأنه قِيلَ: فَماذا قالوا لِموسى عليه السلام حِينَ قَالَ لَهُم ما قال؟ فِقيلَ: قالوا عاجِزِينَ عن المُحاجةِ: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [1]، أيْ: المُلكُ. كَما رُويَ عَنْ مجاهِدٍ، وَعَنِ الزجاجِ أنه سُميَ المُلْكُ كِبْرِياءَ، لأنه أكبرُ ما يُطلَبُ مِن أمرِ الدّنيا. فَكُل مَن دعا إلى الحَق رَماه مَن كان على المَسْلَكِ الجاهِلي أن قَصْدَه مِنَ الدعْوة طَلَبُ الرئاسَةِ والجاهِ، مِن غَيرِ أنْ يَنظُروا إلى ما دَعا إليه، ومَا قَامَ عَلَيهِ مِنَ البَراهِينِ.

رمي المؤمنين بالفساد في الأرض

(الثامنة والخمسون): رَمْيُ المؤمِنينَ بالفسادِ في الأرضِ. شاهِدُ هَذِهِ المَسْألة آياتٌ كَثيرة، حاصِلُها أن المخالِفينَ لَهُمْ مِنَ المؤمنين مُفْسِدونَ فِي الأرضِ. انظُرْ إلى قَولِهِم في أَوائِلِ سورةِ "البَقَرَةِ" الآية: ١١، كَيفَ ادعوا أنهُم هُم مُصْلِحونَ، وقد رَد الله عليهم بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [2] البقرة: ١٢. وَهَكَذا من هو على شاكِلَةِ أولئكَ، مِنَ الذينَ اسْتَحلوا غَيهُمْ وتَمَكنَتْ بِدَعُهُمْ مِنْ قُلوبِهِمْ:

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُر مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُراً بِهِ الماءَ الزلالا

نسأله تعالى أنْ يُثبتَ قُلوبَنا عَلى دينِهِ القَويمِ، وأقدامَنا على الصراطِ المُستقيم.

رمي المؤمنين بتبديل الدين

(التاسعة والخمسون): رمي المؤمِنينَ بِتَبْديلِ الدين. قال تعالى في سورة [غافر: ٢٦]: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3]. اعتقدوا أن ما هُمْ عَلَيهِ مِنَ الضلالِ هو الدينُ الحق، ومَنْ أراد تَحْويلَهُمْ عَنِ اعْتِقادِهِمُ الكاسِدِ، وصَرْفَهُمْ عَما هُمْ عَلَيهِ مِنَ الغي، [فَقَدْ أرادَ] إخراجهُم من الدينِ، وإفسادًا في الأرْضِ. وَهَكذَا دَيْدَنُ

(١) سورة يونس آية : ٧٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٢ .
(٣) سورة غافر آية : ٢٦ .

أَعْدَاءِ الحَق في كُل عَصْرِ".

اتام أهل الحق بالفساد في الأرض

(الستون): كَونُمْ إذا غُلِبوا بِالحجةِ، فَزِعوا إلى السيفِ والشكْوى إلى المُلوكِ، وَدَعْوى احْتِقارِ السُّلْطانِ، وَتَحْويـلِ الرعِيـةِ عَنْ دِيْنِه. قال تعالى في سورةِ [الأعراف: ١٢٧]: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)] . فانظُرْ إلى شَكْوى آلِ فِرْعونَ وَقَومِهِ إِلَيه، وَتَحْريشِهمْ إياهُ عَلى مُقاتَلَةِ موسى عليه السلام وَتَهييجِه، وَمَا ذُكِرَ في آخِرِ الآية مِن احْتِقارِ ما كانوا عَلَيه.

تناقضُ مَذهبِهمْ لَما تَركوا الحق

(الحادية والستون): تناقضُ مَذهَبِهِمْ لَما تَركوا الحق. قال تعالى في سورةِ [ق: ٤-٥]: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ ﴾ [(٢)] . فَقولُه: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ ﴾ [(٣)] إلخ، إضراب أُتبعَ الإضرابَ الأول للدلالة عَلى أنهم جاءوا بِما هو أفْظَعَ من تَعَجبِهِمْ، وهو التكذيبُ بالحَق، الذي هو النُبوةُ الثابتة بالمُعجِزاتِ، في أول وَهْلَةٍ، مِن غير تَفَكرٍ ولا تَدبرٍ، ﴿ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ ﴾ [(٤)] مُضْطَرِب، وَذَلِكَ بسببِ نَفْيِهِمُ النُبوةَ عنِ البَشرِ بالكُلية تارةً، وَزَعمِهِمْ أن اللائقَ بِها أهلُ الجاه والمالِ كما ينبئ عَنْهُ قولُهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [(٥)] تارةً أُخرى، وَزَعْمِهِمْ أن النُبوةَ سِحْرٌ مرةً أُخرى، وأنها كِهانَةٌ أخرى، حيثُ قالوا في النبي ﷺ مرةً: ساحر، ومَرةً: كاهِنٌ، أوْ هو اخْتِلافُ حالِهم

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .
(٢) سورة ق آية : ٤ - ٥ .
(٣) سورة ق آية : ٥ .
(٤) سورة ق آية : ٥ .
(٥) سورة الزخرف آية : ٣١ .

ما بين تعجبٍ من البعث واستبعاد له، وتكذيبٍ وترددٍ فيه، أو قولهم في القرآن: هو شِعْر تارةً، وهو سحرٌ أخرى. وقال تعالى في سورة [الذاريات: ٧-١١]: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ ﴾ [1] . الْحُبُك: جمع حَبيكة، كطَريقةٍ، أوْ حِباك، كمِثال ومثل، والمرادُ بها إما الطُرُقُ المحسوسةُ التي تسيرُ فيها الكواكبُ، أو المعقولةُ التي تُدْرَكُ بالبصيرة، وهي ما يدل على وَحْدَةِ الصانعِ وقُدْرتِهِ وعِلْمِهِ وحِكمتِه إذا تأملها الناظرُ. وقوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ ﴾ [2] : أي: مُتخالِفٍ، مُتناقِضٍ في أمرِ الله ﷻ حيث تقولون: إنه جل شأنُهُ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، وتقولونَ بصحةِ عبادةِ الأصنامِ مَعَهُ سُبحانَه، وفي أَمْرِ الرسول ﷺ فتقولونَ تارةً: إنه مَجْنونٌ، وأُخْرى: إنه ساحر، ولا يكونُ الساحِرُ إلا عاقلا، وفي أمْرِ الحَشْرِ، فتقولونَ تارةً: لا حشر ولا حياة بَعْدَ الموتِ أصلا، وتَزْعمونَ أُخرى أن أصنامَكم شُفعاؤُكم عِندَ الله تعالى يومَ القيامةِ، إلى غير ذلك من الأقوالِ المتخالفةِ فيما كُلفوا بالإيمانِ به. وقولُهُ: ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ ﴾ [3] : أيْ: يُصْرَفُ عَنِ الإيمانِ بما كلفوا الإيمانَ به. ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝ ﴾ [4] : أيْ: الكذابونَ مِنْ أصحابِ القولِ المُخْتَلِفِ. ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ ﴾ [5] : الغمرةُ: الجهلُ العظيمُ يَغْمُرُهُم وَيشْمَلُهُم شمولَ الماءِ الغامِرِ لما فيه، والسهو: الغَفْلَةُ. وقال تعالى في أواخر سورةِ [الأنعام: ١٥٩]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم

(١) سورة الذاريات آية : ٧ - ١١ .
(٢) سورة الذاريات آية : ٨ .
(٣)سورة الذاريات آية : ٩ .
(٤) سورة الذاريات آية : ١٠ .
(٥) سورة الذاريات آية : ١١ .

بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [1] . هذه الآية استئنافٌ لبيانِ أحوالِ أهلِ الكتابَيْنِ إثْرَ بيانِ حال المشركين، بناءً على ما رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ وقتادةَ: أن الآية نَزَلَت في اليهودِ والنصارى. أيْ: بدلوا دِينَهم، وبعضوه، فتمسكَ بكُلِ بعضٍ منه فرقةٌ منهم. ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ [2] ، أيْ: فِرَقا تُشايِعُ كُل فِرْقة إماما، وتَتْبَعُه، أيْ: تُقويه، وتُظهِرُ أمْرَه. أخرجَ أبو داودَ والترْمِذِي عن أبي هُرَيْرَةَ قال، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ﴿ افْتَرَقَتِ اليهودُ على إحْدى وسَبْعين فِرْقَةً، كُلّهم في الهاوِيَةِ إلا واحدةً، وافْتَرَقَتِ النصارى على ثِنتيْنِ وسَبْعينَ فِرْقَةً، كُلهُم في الهاوِيةِ إلا واحـدةً، وَسَتَفْتَرِقُ أمتي على ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقة، كُلُهم في الهاوِيَةِ إلا واحـدةً ﴾ [3] . واستثناءُ الواحدةِ مِن فِرَقِ كُل مِن أهلِ الكِتابَيْنِ إنما هو بالنظَرِ إلى العَصْرِ الماضي قَبْلَ النسْخِ، وأما بَعْدَهُ؛ فالكُل في الهاوِيَة، وإن اختَلَفَتْ أسبابُ دُخولهم. ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [4] ، أيْ: مِنَ السؤالِ عَنهم، والبَحثِ عَن تفَرقِهِمْ، أو من عِقابِهِمْ، أو أنتَ بَريء مِنْهم. ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [5] : تَعْليلٌ للنفي المذكورِ، أيْ: هو يَتولى وَحْدَهُ أمرَهم: أُولاهُمْ وأُخْراهُمْ، ويُدَبرُه حَسْبما تَقْتَضيهِ الحِكْمَةُ. ومِنَ الناسِ مَنْ قَالَ: المُفَرقونَ: أهْلُ البِدَعِ مِنْ هذه الأمة: فقد أخرج الحَكيمُ الترمِذِي وابنُ جَريرٍ والطَبَراني وغيرُهم عن أبي هُـرَيرةَ عَن النبي ﷺ في قولـه سُبحانَـه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ ﴾ [6] إلخ: ﴿ هُمْ أهْلُ البِدَعِ والأهْواءِ مِن هذِهِ الأمة ﴾ فَيكونُ الكلامُ- حِينَئِذٍ - استِئْنافا لِبيان حال المُبتَدِعينَ، إثْرَ بيانِ حالِ المُشرِكينَ، إشارةً إلى أنهم ليسوا مِنهم بَبعيدٍ.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٣) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢) .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

والمقصودُ أن أهلَ الجاهلية سواء كانوا أُميينَ أَوْ كِتابيينَ قد فَرقوا دينَهم، وَتغايَروا في الاعتقادِ، فكانَ عُبادُ الأصنامِ كُل قَومٍ لَهُم صَنمٌ يَدينونَ لَهُ، وَلَهُمْ شرائعُ مُختَلِفَةٌ في عِبادتِها، وَمِنهم مَنْ كان يَعْبُدُ كَوْكَبا، ومِنهم مَنْ كانَ يَعْبُدُ الشمسَ، ومنهم، ومِنهم، وكذَلِكَ الكِتابِيونَ على ما بَينا. فالافْتِراقُ ناشئ عن الجَهْلِ، وإلا فالشريعةُ الحَقةُ في كُل زمان لا تَعَددَ فيها ولا اخْتِلافَ، ولذلك ترى القُرآنَ يُوحدُ الحَق وَيُعَددُ الباطِلَ: قال تَعالى [البقرة: ٢٥٧]: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ ﴾ [1]. فانظُرْ كَيفَ أَفْرَدَ النورَ الذي هو الحَق، وَجَمَعَ الظلُماتِ التي هِيَ الباطِلُ والزيغُ، فَتفْرِقَةُ الآراءِ، والاخْتِلافُ في الاعتقادِ مِنْ خِصالِ الجاهِلِيةِ وما كان عَلَيهِ أهلُ الباطِلِ، والاتفاقُ على العَقيدةِ الحَقةِ هو مِنْ دَأْبِ أتباعِ الرسُلِ والمُتَمَسكينَ بِما شَرَعَهُ الله تَعالى.

دَعْوَاهُم العَمَلَ بِالْحَق الذي عِنْدهمْ

(الثانية والستون): دَعْوَاهُم العَمَلَ بِالْحَق الذي عِنْدهمْ. كَما قالَ تَعالى في سورةِ [البَقَرةِ: ٩١]: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [2]. أي: نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها، ومُرادُهُم بِضَميرِ المُتكَلِّمِ إما أنبياءُ بني إسرائيلَ- وهو الظاهر، وفيه إيماء إلى أن عَدَمَ إيمانِهم بالقرآنِ كان بَغْيا وَحَسَدا على نُزولِهِ على مَنْ ليس منهم- وإما أَنفُسُهمْ، ومعنى الإِنزال عليهم: تكليفُهُم بِما في المُنزلِ مِنَ الأحكامِ، وَذُموا على هذِهِ المَقالةِ لِما فيها مِنَ الشرعي بشأنِ القرآنِ، ودسائسُ اليهودِ مشهورةٌ، وتمامُ الكَلامِ في التفسير.

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٩١ .

الزيادةُ في العِبادةِ

(الثالثة والستون): الزيادةُ في العِبادةِ، كَفِعْلِهِمْ يَوْمَ عاشوراء.

النقص من العبادة

(الرابعة والستون): النقْص مِنْها، كَتَرْكِهِمْ الوُقوفَ. قال تعالى [البقرة: ١٩٩]، ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [(١)] ، أيْ: مِن عَرَفَةَ، لا مِنْ مُزْدَلِفَةَ. والخطابُ عام، والمقصودُ إبطال ما كان عليه الحُمْسُ مِنَ الوُقوفِ بِجَمعٍ. فَقَدْ أخرجَ الْبخاري ومُسْلِمٌ عَن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ﴿ كانتْ قُرَيشٌ ومَنْ دانَ دِيْنَها يَقفونَ بالْمُزْدَلِفَةِ، وكانوا يُسَمونَ الحُمْسَ، وكانت سائرُ العَرَبِ يَقِفونَ بِعَرَفات، فَلَما جاءَ الإِسلامُ، أمرَ الله نَبِيَهُ ﷺ أنْ يأتيَ عرفات، ثُم يَقفَ بِا، ثُم يُفيضَ مِنها، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبحانه: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [(٢)] ﴾ وَمَعْناها: ثُم أَفِيضوا أيها الحُجاجُ مِنْ مَكانٍ أفاضَ جِنْسُ الناسِ مِنْهُ قَديما وَحَديثا، وَهو عَرَفَةُ، لا مِنْ مُزْدَلِفَةَ.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

تعبدهم بترك الطيبات من الرزق

(الخامسة والستون): تعبدُهُمْ بتركِ أكْلِ الطيباتِ مِنَ الرزْقِ، وَتَرْكِ زِيْنَةِ الله التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ. قال تعالى في سورةِ [الأَعْرافِ: ٣١-٣٢]: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ ﴾ [(١)] . وسببُ النزول- على ما رُوِيَ عن ابنِ عباس - أنه كانَ أُناسٌ مِنَ الأَعْرابِ يَطوفونَ بِالبيتِ عُراةً، حَتى إنْ كانتِ المرأةُ لَتطوفُ بالبيتِ وهي عُريانةٌ، فَتَعَلِّقُ على سفْلِها سُيورا مِثل هذه السيورِ التي تكونُ على وَجْهِ الحُمْرِ من الذبابِ، وهي تقول:

اليومَ يَبدو بعضُه أوْ كُله وما بَدا مِنه فَلا أُحِله

فأنزل الله تَعالى هذه الآية: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [(٢)] إلخ. ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ [(٣)] مِما طابَ لَكُـمْ، قال الكَلْبِي: "كانَ أهلُ الجاهِلية لا يأكلونَ مِنَ الطعامِ إلا قُوتا، وَلا يَأكُلونَ دَسَمًا في أيامِ حَجهِمْ، يُعَظمونَ بِذَلكَ حَجهُمْ، فقال المُسْلمونَ: يا رَسُول الله! نَحْنُ أحق بِذَلِكَ، فأنزلَ الله تَعالى الآية". ومِنْهُ يَظهرُ وَجْهُ ذِكْرِ الأَكْلِ والشرْبِ هُنا ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾ [(٤)] بِتَحْريمِ الحَلال، كَما هو المُناسِبُ لِسَبب النزولِ أوْ بالتَعدي إلى الحَرامِ. ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [(٥)] مِـنَ الثيابِ وكُـل ما يُتجَمـلُ بِهِ ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [(٦)] ، أيْ: مِنَ المُسْتَلَذاتِ، وقيلَ: المُحَللاتُ مِنَ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣١ - ٣٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

المآكِلِ والمشارِبِ، كلَحْمِ الشاةِ وَشحْمِها وَلبنِها. ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١)، أيْ: هِيَ لَهُمْ بِالأصالَةِ لِمَزيدِ كرامَتِهِم على الله تَعالى، وَالكَفَرَةُ- إنْ شارَكوهُمْ فيها- فَبالتبعِ، ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ (٢) لا يُشارِكُهُمْ فِيها غَيْرُهُمْ.

تعبدهم بالمكاء والتصدية

(السادسة والستون): تَعَبدهمْ بِالمُكاءِ وَالتصْدِيَةِ. قال تعالى في سورةِ "الأنفالِ" [٣٥]: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣). تفسيرُ هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (٤)، أيْ: المسجِدِ الحرامِ، الذي صَدوا المسلمينَ عنهُ، والتعبيرُ عنه بِالبيتِ للاختصارِ مَعَ الإشارةِ إلى أنه بيتُ الله، فينبغي أنْ يُعَظـمَ بِالعِبادةِ، وَهُـمْ لمْ يَفعَلـوا. ﴿ إِلَّا مُكَآءً ﴾ (٥)، أيْ: صَـفِيرا. ﴿ وَتَصْدِيَةً ۚ ﴾ (٦)، أيْ: تَصفيقا، وهو ضربُ اليدِ باليدِ بِحَيثُ يُسْمَعُ له صوتٌ. والمرادُ بالصلاةِ: إما الدعاءُ، أو أفعالُ أُخَرُ كانوا يفعلونا، وُيسمونا صلاةً، وحُمِلَ المُكاءُ والتصديةُ عليها بتأويلِ ذلك بأنها لا فائدةَ فيها، ولا معنى لها، كَصَفيرِ الطُيورِ، وتصفيقِ اللعِبِ. وقد يُقالُ: المُرادُ أنهم وَضَعوا المُكاءَ والتَصَدية موضعَ الصلاةِ التي يَليقُ أنْ تَقَعَ عند البيتِ. يُروى أنهم كانوا إذا أرادَ النبي ﷺ أن يُصَليَ، يَخْلِطونَ عليه بالصفيرِ والتصفيق. ويروى أنم يصلون أيْضا. وَيرون أنهم كانوا يَطوفونَ عُراةً: الرجالُ والنساءُ مُشبكينَ بين أصابِعِهم، يُصَفرونَ فيها، وُيصَفقونَ. وباقي الآية معلوم. والمقصودُ

(١) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٥ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٥ .
(٥) سورة الأنفال آية : ٣٥ .
(٦) سورة الأنفال آية : ٣٥ .

أن مِثل هذه الأفعالِ لا تكونُ عِبادةً، بَلْ مِن شعائِرِ الجاهِلية. فما يَفعَلُه اليومَ بعضُ جهلة المسلِمينَ في المساجدِ مِن المُكاءِ والتصدية يَزعُمونَ أنهم يَذكُرون الله، فهو مِن قَبيلِ فِعلِ الجاهِلِيةِ، وما أحْسَنَ ما يقولُ القائلُ فِيْهِم:

أقالَ الله صفـقْ لي وغَن وقلْ كُفْرًا وسَم الكُفْرَ ذِكْـرًا؟

وَقَدْ جَعَـلَ الشارعُ صـوتَ المَلاهي صوتَ الشيطانِ، قال تعالى [الإسراء: ٦٤]:

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [1] .

النفاق في العقيدة

(السابعة والستون): دعْواهُمُ الإيمان عند المؤمنين، فَإذا خَرَجوا خرجوا بِالكُفْرِ الذي دَخَلوا به.

دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم

(الثامنة والستون): دعاؤهُمُ الناسَ إلى الضلالِ بِغيرِ عِلمٍ.

دعاؤهم إلى الكفر مع العلم

(التاسعة والستون): دعاؤهم الناسَ إلى الكفْرِ مَعَ العِلْمِ.

المكر الكبار

(السبعون): المَكْرُ الكُبارُ: كَفِعْلِ قَوْمِ نوحٍ قال تعالى في سورةِ "نوح" عليه السلام [٢٢-٢٤]: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ ﴾ [2] . ومعنى الكُبارِ: الكَبيرُ. والمَكْرُ الكُبارُ: احتيالُهُم في الدين، وَصدهُم لِلناسِ عنه، وإغراؤُهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام. وَهكذا فَعَلَ أخْلافُ هؤلاءِ مِن مَرَدَةِ الدين، وَأتباع الهَوى وَعَبَدَةِ الدْنيا، يَفعلونَ

(١) سورة الإسراء آية : ٦٤ .

(٢) سورة نوح آية : ٢٢ - ٢٤ .

مَعَ دُعاةِ الحَق كما فَعَلَ قَوْمُ نوح عليه السلام معَهُ، قد تَشابَهَتْ قُلوبُهُم، نسألُه تعالى أنْ يُعيذَ رِجالَ الحَق مِن كَيدِ مِثل هؤلاءِ الفَجَرَةِ، وَيَصُونَهُم مِن مَكْرِهِم.

وقَـد جربتهم فرأيت مِنْهُـم خَبـائِـثَ بِـالْهَيِمـنِ نَسْتَجيرُ

حالة علمائهم

(الحادية والسبعون): أئِمَتُهمْ: إما عالم فاجِرٌ، وإما عابِدٌ جاهِل. قال تعالى: [البقرة: ٧٥- ٧٩] ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1].

فَذَكَرَ في الآية أن فَريقا مِن أسْلافِ اليهودِ- وهم الأحبارُ- كانوا يَسْمَعونَ التوراةَ ويُؤولونا تأويلا فاسدا حسبَ أغراضِهم، بلْ كانوا يُحَرفونا بتبديلِ كلامٍ مِن تلقائِهم، كما فَعَلوا ذَلِكَ في نعته ﷺ فإنهُ رويَ أنه مِن صِفاتِهِ فيها أنهُ أبيضُ رَبْعَة، فَغيروهُ بأسْمَرَ طويل، وغَيروا آيةَ الرجمِ بالتسخيمِ وَتَسْويدِ الوجهِ، كما في البخاري. ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ [2] فَريقٌ ﴿ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [3] إلا بالدعاوى الكاذبةِ، والمرادُ بِهم جَهَلَة مُقَلدَةٌ، لا إدراكَ لَهُمْ، وَتمامُ الكلامِ في هذا المَقامِ يُطلَبُ مِنَ التفسيرِ. والمقصودُ أن تَحْريفَ الكَلِمِ، واتباعَ الهَوى، والقولَ على الله مِن غَير عِلْمٍ مِن خِصالِ الجاهِلِيةِ. وَأنت تَعلمُ حالَ أحبارِ السوءِ اليومَ والرهبانِ الذينَ يقولونَ على الله ما لا يَعْلَـمُ قد تَجاوَزوا الحَد في اتباعِ

(١) سورة البقرة آية : ٧٥ - ٧٩ .
(٢) سورة البقرة آية : ٧٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ٧٨ .

الهَوى، وَتأويلِ النصوصِ، وما أشبهَ ذِلكَ، مِما يَسْتَحي منهُ الإسلامُ، والأمرُ لِلهِ.

زعمهم أنم أولياء الله

(الثانية والسبعون): زَعْمُهُمْ أنهم أولياءُ للّهِ مِن دونِ الناسِ. دليلُ هذه المسألةِ قولُه تعالى في سورةِ [الجُمُعَة: ٦- ٨]: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ ﴾ (١) ، أيْ: تَهودوا، أيْ: صاروا يهودا. ﴿ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، أيْ: أحِباءُ له سُبحانه، وَلَمْ يُضِفْ أولياء إلَيهِ تَعالى كما في قوله سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) ليؤذِنَ بالفَرْقِ بَيْنَ مُدعِـي الوِلايةِ وَمَن يَخُصهُ بِها. ﴿ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٤) ، أيْ: مُتَجاوِزينَ عنِ الناسِ ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ (٥) ، أيْ: فَتَمَنوا مِنَ الله أنْ يُميتكُم، وَيَنْقُلكم مِن دار البَلية إلى مَحَل الكَرامة ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ (٦) في زَعْمكُم، واثقينَ بأنه حَق، فَتَمَنوا الموت فإنه مَن أيقَنَ أنه مِن أهلِ الجَنةِ أحَب أنْ يَتَخَلصَ إليها مِن هذه الدارِ التي هي قَرارَةُ الإنكار والأكدار. وأمِر ﷺ أنْ يقول لَهُم ذَلِكَ إظهارًا لِكَذِبِهم، فإنهم كانوا يقولون: ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ (٧) ، وَيَدعونَ أن الآخرةَ لَهُم عند الله خالصةً، ويقولونَ: ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾ (٨) كما أخبرَ تَعالى عن الكتابيين في كتابه، فقال جل شأنه [البقرة: ١١١-١١٢]: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ

---

(١) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٢) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٣) سورة يونس آية : ٦٢ .
(٤) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٥) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٦) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٧) سورة المائدة آية : ١٨ .
(٨) سورة البقرة آية : ١١١ .

أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (١) . وَرويَ أنهُ لما ظَهَرَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ كَتَبتْ يَهودُ المدينةِ ليهودِ خَيْبَرَ: إن اتَبْعتم محمدًا أطَعْناهُ، وإنْ خالفْتموه خالَفْناه، فقالوا: نحنُ أبناءُ خليلِ الرحمنِ، ومنا عزيرٌ ابنُ الله والأنبياءُ، ومتى كانتِ النُبوةُ في العَرَب ؟ نحنُ أحَق بها مِن محمد، وَلا سَبيلَ إلى اتباعِهِ، فَنَزَلَتْ [الجمعة: ٦ - ٧]: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ ﴾ (٢) الآية ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا ﴾ (٣) إخبارٌ بحالِهم المستقبَلِ، وهو عدمُ تمنيهم الموتَ، وذلكَ خاصّ بأولئكَ المخاطَبينَ. وَرويَ أن رسولَ الله ﷺ قال لَهم: ﴿ والذِي نفسي بيدِهِ لا يقولُها أحَد مِنكُم إلا غص بريقِهِ ﴾ ، فَلَمْ يَتَمَنهُ أحدٌ مِنهم، وما ذَلكَ إلا لأنهم كانوا مُوقنينَ بصدقِه ﷺ فَعَلِموا أنهم لو تَمَنوا لَماتوا مِن ساعَتِهم، وَلَحِقَهم الوعيدُ، وهذه إحدى المُعجِزاتِ. ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ (٤) ، أيْ: بسببه، كأنهُ قيلَ: انْتفَى تَمَنيهم بِسببِ ما قَدمتْ، والمُرادُ بِما قَدمتْهُ أيديهِم: الكُفْرُ والمعاصي الموجِبةُ لدخولِ النارِ، وَلَما كانت اليَدُ مِن بين جوارحِ الإِنسانِ مَناطَ عامةِ أفعالِه، عَبرَ بها تارةً عن النفسِ وأخرى عنِ القُدرةِ ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (٥) أيْ: بِهِمْ، وإيثارُ الإظهارِ على الإضمارِ لِذَمِهِمْ، والتسجيل عَلَيْهم بأنهم ظالِمونَ في كُل ما يأتونَ وَيذَرونَ مِنَ الأمورِ التي مِن جُمْلَتها ادعاءُ ما هم عنه بِمَعْزِلٍ، أيْ: واللّهُ عليمٌ بما صَدَرَ منهم من فُنونِ الظلمِ والمعاصي، وَبما سَيكونُ مِنهم،

(١) سورة البقرة آية : ١١١ - ١١٢ .
(٢) سورة الجمعة آية : ٦ .
(٣) سورة الجمعة آية : ٧ .
(٤) سورة الجمعة آية : ٧ .
(٥) سورة الجمعة آية : ٧ .

فيجازيهـم على ذَلِكَ. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ ﴾ [1] وَلا تَجْسُرونَ عَلى أنْ تَمَنوهْ مَخافَةَ أن تُؤخَذوا بِوبال أفْعالِكُـمْ. ﴿ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [2] ألْبتةَ، مِن غير صارفٍ يَلويهِ، وَلا عاطِفٍ يَثْنيهِ. ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [3] الذي لا تَخْفى عَلْيهِ خافيةٌ. ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [4] مِنَ الكُفْرِ وَالمعاصي بِأنْ يُجازِيكـم بِها. وهذا دَيْدَنُ الزائغينَ، وشَأنُ الملحِدينَ، كما قَالَ تعالى عَن اليَهود: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ [5] وَقَدْ وَرِثَ هَذِهِ الخصلةَ كَثيرٌ مِمن يَنْتمي إلى المِلةِ الإسلاميةِ، بَلْ كُلّ مِنَ الفرَقِ يقول: نحنُ أوْلياءُ الله، مَعَ أن النبي ﷺ قالَ في حديثِ الفِرَقِ في بيانِ الفِرْقَةِ الناجِيَةِ: ﴿ وهُمْ ما أنا عليه وأصْحابي ﴾ [6].

دعوى محبة الله مع ترك شرعه

(الثالثة والسبعون): دَعْواهم مَحَبةَ اللهِ مَعَ تركِ شَرعِهِ. فَطالَبهُم سُبحانَه بقولِهِ في سورة [آل عمران: ٣١]: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ [7]. قال الحسن وابنُ جُرَيْجٍ: "زَعَمَ أقوام عَلى عَهدِ رسولِ الله ﷺ أنهم يحبونَ الله، فقالوا: يا مُحَمدُ إنا نُحِب ربنا، فَأنْزَلَ الله تعالى هذه الآية". وَرَوى الضحاكُ عن ابنِ عباس قال: ﴿ وَقفَ النبي ﷺ على قريشٍ في المسجد

(١) سورة الجمعة آية : ٨ .
(٢) سورة الجمعة آية : ٨ .
(٣) سورة الجمعة آية : ٨ .
(٤) سورة الجمعة آية : ٨ .
(٥) سورة المائدة آية : ١٨ .
(٦) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٧) سورة آل عمران آية : ٣١ .

الحرامِ، وقد نَصبوا أصنامَهم، وَعَلقوا عَليها بَيْضَ النعامِ، وَجَعَلوا في آذانِها الشنوف [1] وَهُم يَسجدونَ لها، فقالَ: "يا معشرَ قريشٍ، لقد خالَفْتم مِلةَ أبيكم إبراهيمَ وإسْماعيلَ، وَلَقَدْ كانا على الإسلام"، فَقَالَتْ قُريش: يا محمدُ، إنما نَعبدُ هذه حُبا لِلهِ؛ لِتقربَنا إلى الله زُلْفى، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ [2] إلخ ﴾. وفي رواية أبي صالحٍ أن اليهودَ لَما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزلَ الله هذه الآية، فَلَما نَزَلَت عَرَضها رسولُ الله ﷺ على اليهودِ، فَأَبوا أنْ يَقبلوها. وَرَوى محمدُ بنُ إسحاقَ عن محمدِ بن جَعفرِ بن الزبَيرِ قالَ: "نَزَلَت في نَصارى نَجرانَ، وَذَلِكَ أنم قالوا: إنما نُعَظمُ المسيحَ، نَعْبُدُهُ حُبا لِلهِ، وَتَعْظيمًا لَهُ، فأنزلَ الله تَعالى هَذِهِ الآية رَدا عَلَيهم. وَبِالجُمْلَة إن مَنْ تَلبسَ بالمعاصي لا يَنْبغي لَهُ أنْ يَدعيَ مَحَبّه الله، وَمَا أحْسَنَ قولَ القائلِ:

تَعْصي الإلِه وأنتَ تُظهِرُ حُبَهُ هَذَا لَعَمْري في القِياسِ بَديعُ
لو كـانَ حُبكَ صادقا لأطَعْتَـهُ إن المُحِب لِمَنْ يُحِب مُطيـعُ

تَميهم على الله تَعالى الأماني الكاذبةَ

(الرابعة والسبعون): تَمنيهم على الله تَعالى الأماني الكاذبةَ. قال تعالى في سورةِ [آلِ عمرانَ:٢٣-٢٤]: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾ [3]. أخرج ابنُ إسحاقَ وجماعةٌ عن ابنِ عباسٍ قالَ: « دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بيتَ المِدْراسِ على جماعةٍ من يهودَ، فدعاهم إلى الله تَعالى، فقال النعمانُ بنُ عمرو والحارثُ بنُ زيدٍ: على أي دينٍ أنت يا محمدُ؟ فقال:

(١) الشنف : القرط الأعلى ، أو معلاق في قوف الأذن ، أو ما علق في أعلاها ، جمعه شنوف ، وما علق في أسفل الأذن قرط .
(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٣ - ٢٤ .

"عَلى مِلةِ إبراهِيمَ ودِينِه "، قالا: "فإن إبراهيمَ كان يهوديا"، فقال لهما رسول الله ﷺ "فَهَلُما إلى التوراةِ، فهي بينَنَا وَبينكُمْ، فأبينا عليه "، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ . وَفي البَحْرِ: "زَنى رجلٌ مِنَ اليهودِ بامرأةٍ، ولم يكن بعدُ في دِيننا الرجمُ، فَتحاكَموا إلى رسُول الله ﷺ تَخْفيفًا على الزانِيَيْنِ لِشَرَفِهما، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ إنما أحْكمُ بِكِتابكُم ﴾ ، فَأنكَروا الرجمَ، فَجِيءَ بِالتوراةِ، فَوضَع جرهمُ بنُ صُورْيا يَدَهُ عَلى آية الرّجم، فقال عبد اللّهِ بنُ سَلامٍ: جاوزَها يا رسولَ الله، فَأظْهَرَها، فَرُجِما، فَغضبتِ اليهودُ، فَنَزَلَتْ. وَمَعنى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [1] ، أيْ: المذكورُ مِنَ التوَلي والإِعْراضِ حاصِلٌ لَهُم بِسَبَبِ هَذا القولِ الذِي رسخ اعتقاهم به، وَهَونوا بِهِ الخُطوبَ، وَلَمْ يُبالوا معُه بارْتكابِ المَعاصي والذنوبِ. والمُرادُ بِالأيامِ المعدوداتِ: أيامُ عِبادِتهم العِجْلَ ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] ، أيْ: غَرهُم افِتراؤُهم وكَذِبُهم، أو الذِي كانوا يَفْترونَه مِن قولِهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ [3] ، أوْ مِن قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [4] أوْ مِما يَشْمَلُ ذَلِكَ ونحوه مِن قولِهم: إن آباءَنا الأنبياءَ يَشْفعونَ لَنا، وأن الله تعالى وَعَدَ يَعقوبَ أنْ لا يُعذبَ أبناءَه إلا تَحِلةَ القَسَمِ. فَرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ ﴾ [5] إلخ. رُوِيَ أن أولَ رايةٍ تُرفَعُ لأهلِ المَوقفِ مِن راياتِ الكُفارِ رايةُ اليهودِ، فيفضحُهُمُ الله تعالى على رُؤوسِ الأشهادِ، ثُم يأمُرُ بِهِم إلى النارِ. وهكذا رأينا كثيرا من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات، اعتمادا على الشفاعةِ، أو على عُلُو الحَسَبِ وَشَرَفِ النسَبِ، واللّهُ المُستَعانُ. وَفي سورةِ [البقرةِ:

(١) سورة آل عمران آية : ٢٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٤ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٤ .
(٤) سورة المائدة آية : ١٨ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٢٥ .

٨٠-٨١]: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [1].

اتخاذ قبور الصالحين مساجد

(الخامسة والسبعون): اتخاذُ قُبورِ أنبيائِهم وصالِحيهم مساجِدَ. هذه المسألة من خصال الكتابيين أيام الجاهلية. وفي ذَلِكَ ورد الحديثُ الصحيحُ: ﴿ لَعنَ الله اليهودَ والنَّصَارى اتخَذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجدَ ﴾ [2]، ثم قال: ﴿ فَلا تَتخِذوها مَساجِدَ ﴾ [3]. وَفِي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ﴿ قَاتَلَ الله اليهودَ والنَّصَارى، اتخَذوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ ﴾ [4]. وَفِي لفظٍ لِمُسْلِمٍ: ﴿ لَعَنَ الله اليهودَ والنَّصَارى، اتخَذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ ﴾ [5]. وَفِي الصحيحين عن عائشةَ وابنِ عباسٍ، قالا: ﴿ "لما نزلَ برسُولِ الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال - وهو كَذَلِكَ -: "لَعنَ الله اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مَسَاجِدَ"، يُحَذِرُ ما صَنَعوا". ﴾ [6] وَفِي الصحيحين- أيضا- عن عائشةَ أن أم

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٠ - ٨١ .

(٢) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٣) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(٤) البخاري الصلاة (٤٢٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢/ ٢٨٤) .

(٥) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٦) البخاري الصلاة (٤٢٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/ ٢٧٤) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

سَلَمَةَ وأم حَبيبة ذَكَرَتا لِرَسُول الله ﷺ كَنيسةً رَأَيْنها بأرضِ الحَبَشَةِ يقال لها: "مارِيَة"، وَذَكَرَتا مِن حُسْنِها وَتصاويرَ فيها، فقال رَسُول اللِه ﷺ ﴿ "أولئكَ قومٌ إذا ماتَ فيهم العبدُ الصالحُ أو الرجلُ الصالحُ بَنوا على قبرِه مسجدًا، وَصَوروا فيه تلك الصورَ، أولئكَ شرارُ الخَلْقِ عند الله ﴾ [1] وعن ابنِ عباسٍ قالَ: ﴿ "لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمُتخِذينَ عَليها المساجدَ والسُرُجَ ﴾ [2] ، رواه أهلُ السننِ الأربعة فهذا التحذيرُ منه، واللعنُ عن مُشابهِةِ أهلِ الكتابِ في بناءِ المسجِدِ على قبرِ الرجلِ الصالحِ صريحٌ في النهي عنِ المشابهِةِ. وفي هذا دليل على الحذرِ عن جِنسِ أعمالِهم، حيثُ لا يؤمنُ في سائرِ أعمالِهم أنْ يكونَ من هذا الجنسِ. ثُم من المعلومِ ما قد ابْتُلِيَ به كثيرٌ من هذه الأمةِ من بناءِ القبورِ مساجدَ، واتخاذِ القبورِ مساجدَ بِلا بناءٍ، وَكِلا الَأمرينِ مُحَرم، معلونٌ فاعلُه بالمستفيضِ من السنةِ، وَلَيْسَ هَذَا موضعَ استقصاءِ ما في ذَلِكَ من سائرِ الأحاديثِ والآثارِ، ولهذا كان السلفُ يُبالِغونَ في المنعِ.

اتخاذ آثار الأنبياء مساجد

(السادسة والسبعون): اتخاذُ آثارِ أنبيائِهم مساجِدَ، كَمَا وَرَدَ عَن عمَرَ رضي الله عنه فإن هذه المسألةَ مِن بِدَعِ جاهِلِّيَة الكِتابيينَ، كانوا يَتخِذونَ آثارَ أنبيائِهم مَساجدَ، فَوَرِثَهُمُ الجاهِلونَ مِن هذه الأمة، فَتَراهم يبْنون عَلى موضِعِ اخْتفى بِهِ النبي ﷺ أوْ وَصَلَ قَدَمُهُ المُبارَكُ إليه، أو تَعبدَ فيِه، فَهَذَا لْيس يُحْمَدُ في الشريعةِ؛ لِجَرهِ إلى الغُلُو. وَفِي العِراقِ مواضعُ كثيرة بَنوا عَلْيها مَبانِيَ، كالمقام الذِي زَعَموا أن الشيخ الكَيلاني تَعبدَ فيِه، وَكَأَثَرِ الكَف الذِي زَعَمَ الشيَعَةُ أنهُ أثَرُ كَف الإِمامِ عَلي لَما وَضَعَه على الصخْرِةِ فَأثرَ فِيْهَا، فَبَنوا عَلْيها مَسجدا، وَكَعِدةِ أماكِنَ زَعَموا أن الخَضِرَ رئيَ فيها، ولا أصلَ لَهُ، إلى غيرِ ذَلِكَ مِما لا يَسْتَوْعِبُهُ

(١) البخاري الصلاة (٤٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨) ، النسائي المساجد (٧٠٤) ، أحمد (٦/٥١) .

(٢) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥) ، أحمد (١/٣٣٧) .

المَقامُ. فَينبغي لِمَن يَدعي الإِسلامَ أنْ يَتجَنَبَها، وَيَنْهى عن حُضورِها، وإنْ رُمِيَ بالإِنكارِ، وَعَداوةِ الأَشْرارِ، وَكَيْدِ المارقينَ الفُجارِ. وفي المسألةِ تفصيلٌ لا بأسَ بِذِكْرِهِ: قال شيخُ الإِسلامِ: أما مَقاماتُ الأنبياءِ والصالحينَ- وهي الأمكنةُ التي قاموا فيها أَوْ أقاموا، أَوْ عَبَدوا الله سُبْحانه- لكنهم لَمْ يَتخذوها مساجِدَ- فالذي بَلَغني في ذَلِكَ قَولانِ عن العلماءِ المَشْهورينِ: أَحَدُهُما النهيُ عن ذَلِكَ، وكراهَتُه، وأنه لا يُسْتَحَب قصدُ بُقْعَةٍ لِلعِبادةِ، إلا أن يكونَ قَصْدُها لِلعبادةِ مِما جاءَ به الشرعُ، مِثْلُ أنْ يكونَ النبي ﷺ قَصَدَها لِلعبادةِ كَما قَصدَ الصلاةَ في مَقامِ إبراهيمَ، وكما كان يَتَحَرى الصلاةَ عند الاسطُوانةِ، وكما تُقْصَدُ المساجِدُ لِلصلاةِ، وَيُقْصَدُ الصف الأول، وَنَحْوِ ذَلِكَ. القول الثاني: أنه لا بأسَ باليَسير مِن ذَلِكَ، كَما نُقِلَ عن ابنِ عُمَرَ أنه كان يَتَحَرى قَصْدَ المواضِعِ التي سَلَكَها النبي ﷺ وأن النبي ﷺ سلكها اتفاقًا لا قَصدًا [1] . وَسُئِلَ الإِمامُ أحمدُ عن الرجُلِ يأتي هذه المَشاهِدَ، وَيَذْهَبُ إليها، تَرى ذَلِكَ؟ قالَ: أما على حَديثِ ابنِ أم مَكْتوم أنه سَأَلَ النبي ﷺ أنْ يُصَليَ في بيتِهِ حتى يَتخِذَ ذَلِكَ مُصَلى، وعلى ما كان يَفعَلُه ابنُ عُمَرَ، يتتبعُ مواضعَ النبي ﷺ وأثَرَه، فَلَيْس بِذَلِكَ بأسٌ أنْ يأتيَ الرجُلُ المَشاهِدَ، إلا أن الناسَ قَدْ أفْرَطوا في هذا جِدا، وأكْثَروا فيه [2] . وَكَذَلِكَ نَقَلَ عنه أحمدُ بنُ القاسِمِ أنه سُئِلَ عن الرجُلِ يأتي هذه المَشاهِدَ التي بالمدينةِ وغيرِها يذهبُ إليها؟ فقالَ: أما عَلى حديثِ ابنِ أم مَكْتومٍ أنه سألَ النبي ﷺ أنْ يأتيَه، فيصليَ في بيتِه، حَتى يَتخِذَه مَسجدا، وَعَلى ما كان يَفعَلُ ابنُ عُمَرَ، كان يَتتبعُ مواضعَ سَيْرِ النبي ﷺ حَتى أنه رُئِيَ يَصُب في موضِعٍ ماءً، فَسُئِلَ عن ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿ رأيتُ النبي ﷺ يَصُب ههنا ماءً ﴾ ، قال: أما على هذا فلا بأسَ به. قال: وَرَخصَ فيه، ثُم قال وَلَكِنْ قد أفْرطَ الناسُ جدا، وَأكْثَروا في هذا المعنى. فَذَكَرَ قَبرَ الحُسينِ وما يَفعلُ الناسُ عندَه. رواهما الخَلالُ في كتابِ الأدَبِ. فَقَدْ فَصلَ أبو عبدِ اللّهِ في المَشاهِدِ وهي الأمكنةُ التي فيها آثارُ الأنبياءِ والصالحينَ من غيرِ أنْ تكونَ مساجدَ لهم كمواضعَ بالمدينة

---

(١) وكان أبوه عمر على عكس ذلك كما سيأتي ، وانظر ص ١٠٥ من (التوسل والوسيلة) طبع السلفية .

(٢) فما بالك بما وصل إليه الأمر بعد زمن الإمام أحمد! .

بيَنَ القليلِ الذي لا يَتخِذوَنه عيدا، أو الكثيرِ الذي يَتخذوَنه عيدًا كما تَقدَمَ. وهذا التفصيلُ جَمَعَ فيه بيْنَ الآثارِ وأقوالِ الصحابة: فإنه قد رَوَى الُبخاري في صحيحه عن موسى بنِ عقبةَ قَالَ: "رأيت سالمَ بنَ عبدِ اللّهِ يَتحَرى أماكِنَ مِن الطريقِ، وُيصلي فيها، وُيحَدثُ أن أباه كان ُيصلي فيها، وَأنه رأى النِبي ﷺ ُيصَلي في تلكَ الأْمكِنَة"، فهذا كَما رَخصَ الِإمامُ أحمدُ. وأما كراهَتُه، فَقَدْ رَوى سعيدُ بنُ منصورِ في سُنِنِه قال: حَدثنا أبو ُمعاوية قال: حَدثَنا الأعْمشُ عن الَمعرورِ بنِ سُوَيْدٍ عن عُمَرَ قال: خَرَجْنا مَعَـهُ في حجةٍ حجها، فَقَرَأ بِنا في الفجر بـ ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝ ﴾ [1] ، و ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ ﴾ [2] ، في الثانية، فَلَما رَجعَ مِنْ حَجتِهِ رَأى الناس ابْتَدَروا المَسْجدَ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مَسْجِدٌ صَلى رسولُ اللهِ ﷺ فيه، فقال: "هكذا هَلَكَ أهلُ الكتابِ قَبلَكم، اتخَذوا آثارَ أنبيائِهم بِيَعًا، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ مِنْكُـمُ الصلاةُ فيه فَلْيصَل، ومن لم تعرض له الصلاة فَلْيمْضِ". فقد كَرِهَ عُمرُ اتخاذَ مُصلى النِبي ﷺ عِيدًا، وَبيَن أن أهلَ الكتابِ إنما هَلَكوا بِمثلِ هذا، كانوا يَتبعونَ آثارَ أنبيائِهم، وَيتخِذونا كنائسَ وَبِيَعًا [3] . وَرَوَى محمدُ بنُ وضاح وغيُره: "أن عمرَ بنَ الخطابِ أمَرَ بقطعِ الشجَرَةِ التي ُبويعَ تحتَها النِبي ﷺ لأن الناسَ كانوا يذهبونَ تحتها، فخافَ عمرُ الفتنةَ عليهم. وَمَا ذَكَرَه عُمَرُ هو الحَري بِالقبولِ، وهو مذهبُ جُمهورِ الصحابة، غيرَ - ابنه- وهو الذي يَجبُ العملُ به، وُيعَولُ عَلَيْه.

اتخاذ السرج على القبور

(السابعة والسبعون): اتخاذ السرُجِ على القُبورِ. دَليلُ حُرْمَة ذِلكَ ما وردَ عن رَسُولِ الله ﷺ مِن الحديثِ الذِي سَبَقَ ذِكرُه مِن لَعْنِ من يَفعُلُ ذِلكَ. وَلْيتَكَ رَأْيتَ ما ُيوقَدُ في تُرَبِ أِئمةِ أهلِ البيتِ ونحوِها مِن الشموعِ، ولا سيما في لَيالي رَمَضانَ والليالي المُبارَكةِ، وهم يحسبون أنم يحسنون صنعا.

---

(١) سورة الفيل آية : ١ .

(٢) سورة قريش آية : ١ .

(٣) انظر ص ١٢ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ من (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع السلفية .

اتخاذ القبور أعيادا

(الثامنة والسبعون): اتخاذُها أعْيادًا. اعْلَمْ أن العِيدَ اسمٌ لما يَعودُ من الاجْتماع العام على وَجْهٍ مُعْتادٍ عائدًا ما تعودُ السَنَةُ أوْ يَعودُ الأسبوعُ أو الشهرُ أو نَحْو ذَلكَ (١) فالعيد يَجمعُ أمورا منها: يومٌ عائدٌ، كَيوم الفِطْرِ، وَيومِ الجُمُعَةِ. ومنها اجتماع فيه. ومنها: أعمالٌ تجمع ذَلكَ مِنَ العِباداتِ أو العاداتِ. وَقدْ يَختص العيدُ بمكانٍ بعينه، وَقدْ يكون مُطْلَقًا. هؤلاءِ مُسْلِمو أهل العراقِ، لِكُل تُربة ولي يوم مخصوصٌ يجتمعون فيه للزيارةِ، كزيارةِ الغَديرِ، وَمَرد الرأس. ومنهم من خُص له يومٌ من أيامِ الأسبوعِ، فالجمعةُ لِفلانٍ، والسبت لفلان، والثّلاثاءُ لِفُلانٍ، وهكذا. وَمِن ذَلكَ بعضُ الأيامِ والليالي المُباركة، كَلَيْلَةِ القَدْرِ، وَأيامِ الأعْيادِ، ولَيلة النصْفِ مِن شَعْبانَ، وَغيرِ ذَلكَ، مِما لَمْ يـ لِ الله بِهِ مِن سُلْطانٍ.

الذبح عند القبور

(التاسعة والسبعون): الذَّبْحُ عنــدَ القُبورِ. قال الله تعالى [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٢). أمَرَهُ الله تعالى أنْ يُخْبِرَ المُشركينَ الذين يَعبدونَ غيرَ الله، وَيذبحونَ لَهُ، أي أنه أخلصَ لِلهِ صلاتَه وذبيحتَه؛ لأن المُشركينَ يَعبدونَ الأصنامَ ويذبحونَ لَها، فَأَمَرَهُ الله تعالى بِمُخالَفَتِهم، والانحرافِ عما هُم فيه، والانقيادِ بالقَصْدِ والنّيةِ والعزمِ على الإخلاصِ لِلهِ تعالى، فَمَن تَقَربَ لغيرِ الله تعالى لِيَدفَعَ عنه ضَيرا، أو يَجْلِبَ لَه خَيرا، تعظيما لَهُ، مِن الكُفْرِ الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون. وسببُ مشروعيةِ التّسمَيةِ تخصيصُ مِثلِ هذه الأمورِ العِظامِ بالإلهِ الحَق المعبودِ العلامِ، فإذا قُصِدَ بالذبحِ غيرُه، كان أولى بالمنعِ. وَصَح نَبيُّهُ ﷺ عَمن اسْتأذنَهُ بالذبحِ بِبُوانَةَ، وأنه قد نَذَر ذَلكَ، فقال

---

(١) ويسمى في مصر " مولدا " وإن كان المنسوب إليه مجهول يوم مولده أو سنة مولده .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٢ - ١٦٣ .

له ﷺ ﴿ أكانَ فيها صَنم؟"، قَالَ: "لا"، قال: "فَهَل كان فيها عِيد مِن أعيادِ المُشرِكِين؟ "، قال: " لا"، قال: "فأوْفِ بنذرِكَ ﴾ [1] . أخرج ذلك أبو داودَ في سُنَنِه. وهذا السائلُ مُوحد مُقَربٌ لِلهِ سبحانَه وتعالى وحْدَه، لَكِن المكان الذي فيه معبود غيرُ الله، وَقَدْ عُدِمَ، أو مَحَل لاجْتِماعِهِم يَصْلُحُ مانِعًا، فلما عَلِمَ النبي ﷺ أنْ لَيسْ هناك شَيء مِن ذَلكَ، أجازَه، وَلَو عَلِمَ شَيْئًا مِما سألَ عنه، لَمَنَعَهُ، صِيانَةً لحِمى التوحيدِ، وَقَطْعًا لذَرِيعَةِ الشركِ.

وَصَح- أيضا- عنه ﷺ أنه قَالَ: ﴿ دَخَلَ الجَنة رَجُلٌ في ذُباب، وَدَخَلَ النارَ رَجل في ذُباب "، قالوا: كيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: "مَر رجُلانِ على قوم لهم صَنَمٌ لا يُجاوِزُهُ أحد حتى يُقَربَ لَهُ شَيئا، قالوا لَهُ: قَربْ وَلَوْ ذُبابا، فَقَربَ ذبابا، فَخَلوا سبيلَه، فَدَخَلَ النّارَ، وقالوا للآخرِ: قَربْ، قال: ما كنتُ أقربُ شَيْئًا لأحَدٍ دونَ الله ﷻ فَضَربوا عُنقَهُ، فَدَخَلَ الجَنة ﴾ . ففي هذا الحديثِ من الفوائِدِ: كَونُ المُقَرب دخل النارَ بالسببِ الذي لم يَقْصِدْ، بل فَعَلَه تَخَلصا مِن شَرهِم، وَأنَهُ كان مُسْلِما، وإلا لَمْ يَقُلْ: دخل النارَ. وفيه ما يَنبغي الاهتمامُ بِهِ مِن أعمال القُلوبِ، التي هي المَقصودُ الأعظمُ والركْنُ الأكبرُ. فَتأملْ في ذَلكَ، وانظُرْ إلى فؤادِك في جميعِ ما قالوه، وَألْقِ سَمْعَكَ لِما ذَكروهُ، وانظُر الحَق، فإن الحَق أبْلَجُ والباطِلَ لَجْلج، فَبالنظَرِ التام إلى ما كان عليه المُشرِكون مِن تَقَربِهِم لأوثانِهم؛ لِتُقَرِبَهُمْ إلى الله؛ لِكونِهِم شُفعاءَ لهم عند الله، وشفاعَتِهم بسبب أنهم رُسُلُ الله أو ملائكةُ الله أو أولياءُ الله، يتبينُ لك ما عليه الناسُ الآنَ، واللهُ المستعانُ.

التبرك بآثار المعظمين

(الثمانون): التَبَرّكُ بآثارِ المعظمينَ، كَدارِ الندوَةِ، وافِتخار مَن كانت تحت يدِهِ بِذَلِكَ. كما قيل لحكيمِ بنِ حِزامٍ: بعتَ مَكْرَمَةَ قريشٍ، فقال: "ذهبت المكارِمُ إلا التقوى". هذه الخَصلةُ قدِ امْتدت عروقُ ضَلالِها في أودِية قُلوبِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ، وزادوا في الغُلُو بِها عَلى ما كانَ عَلَيْه جاهِلِيةُ العربِ والكِتابِيينَ. ولا يَدْعَ مِن حكيم بنِ حزامٍ القريشي الأسدي إذا

(١) أبو داود الأيمان والنذور (٣٣١٤) ، ابن ماجه الكفارات (٢١٣١) ، أحمد (٣٦٦/٦) .

ما رد عَلى مَن قال له: بِعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ ؟ وقد باعها مِن مُعاوِيَةَ بمائِةِ ألفِ دِرهَمٍ: "ذهبت المَكارِمُ إلا التقوى". كيفَ لا وقد كان عاقلا سرِّيا، فاضلا تَقيا، سَيدا بِمالِهِ غَنِّيا، أعتَقَ في الجاهِلية مائةَ رَقَبةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مائة بَعيرٍ، وحَج في الإسلامِ ومعه مائةُ بَدَنةٍ قَدْ جَللَها بالحِبَرَةِ، وَكَفها عن أعجازِها، وأهداها، وَوَقَفَ بمائة وَصيفٍ بعرفة في أعناقِهم أطواقُ الفِضةِ مَنقوشٌ فيها: "عتقاءُ الله عن حكيم بنِ حِزامٍ"، وأهْدَى ألفَ شاةٍ، وهو الذِي عاش في الجاهِلية ستينَ سَنَةً، وفي الإسلام ستينَ سَنَةً، وَوُلِدَ في الكَعْبةِ.

الفَخْرِ بالأحْسابِ

(الحادية والثمانون): الفَخْرِ بالأحْسابِ.

الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ

(الثانية والثمانون): الاسْتِسْقاءُ بالأنواءِ.

الطَّعْنُ في الأنسابِ

(الثالثة والثمانون): الطَّعْنُ في الأنسابِ.

النياحَةُ

(الرابعة والثمانون): النياحَةُ. أقولُ: هذه المسائلُ الأربعُ دليلُ بُطلانِها حديثٌ واحدٌ، وهو ما رواه البخاري ومُسْلِمٌ، واللفظُ لِمسلمٍ، بسنده إلى أبي مالكٍ الأشعَري: أن النبِي، ﷺ حدثه قال: ﴿ أربع في أمتي من أمرِ الجاهِلية لا يترُكونَهُن: الفخرُ في الأحسابِ، والطعنُ في الأنساب، والاسْتِسْقاءُ بالنجومِ، والناحيةُ- أو قال: النائحَةُ- إذا لَمْ تَتُبْ قبلَ موتها، تُقامُ يومَ القِيامةِ وعليها سربال مِن قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ مِن جَرَب ﴾ [1].

الفخرُ في الأحسابِ: افتخارُهُم بِمَفاخِرِ الآباءِ. والطَّعْنُ في الأنسابِ: إدخالُهم العيبَ في أنسابِ الناسِ، تَحْقيرا لآبائِهم، وتَفْضيلا لآباء أنفُسِهم على آباء غيرِهم، والاسْتِسْقاءُ بالنجوم: اعْتِقادُهُم نُزول المَطَرِ بِسُقوطِ نَجْمٍ في المغربِ مع الفجرِ، وطلوع آخَرَ يُقابلُه من

(١) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، أحمد (٣٤٤/٥) .

المشرقِ، فقد كانوا يَقولونَ: مُطِرْنا بِنَوءِ كَذا، وقالَ تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [1] وهذا مُفَصلٌ في كُتبِ الأنواءِ بِما لا مَزيدَ عَلَيْهِ. ومَعْنى قوله في النائحَةِ: ﴿ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطرانٍ ﴾ [2] : أن الله تَعالى يُجازيها بِلباسٍ مِن قَطرانٍ لأنها كانت تَلْبَسُ الثياب السودَ. وَقَولُهُ: ﴿ دِرْع مِن جَرَبٍ ﴾ [3] ، يعني: يُسلطُ على أعضائها الجَرَبُ والحكةُ، بحيثُ يُغَطي بَدَنَها تغطيَةَ الدرعْ- وهو القميصُ-؛ لأنها كانت تَجْرَحُ بكلماتِها المُحْرِقَةِ قُلوبَ ذَوي المُصيباتِ. فهذا الحديثُ دَل على بطلانِ ما كان عليه أهلُ الجاهِلِيةِ مِن هذِهِ الخصالِ الرديئَةِ. وورثتهم اليومَ مِن هذهِ الأمة، تَجاوَزوا فيها أسلافَهُم، وزادوا في الطنبورِ نَغَماتٍ، فَتَراهم يَفْتَخِرون بِمَزايا آبائِهم وهُمْ بَمراحِلَ عنهم، فهذا يقول: كان جَدي الشيخَ الفُلاني، وهذا يقولُ: جدي العَالِمُ الرباني، إلى غيرِ ذَلِكَ. وكذلك الطعْنُ في الأنسابِ، فهذا يقولُ: إن آباءَ فلانٍ لم يَكونوا مِن العترةِ الطاهرةِ، وذاك يقول: إن آباء فلان لم يكونوا من ذوي الأحساب الباهرة، وكذلِكَ الاسْتِسْقاءُ بالأنواءِ، ولم يعتقدْ كثير مِنَ الناسِ أن ما كان [إنما هو] من فعلِ رب الأرضِ والسماءِ. وهكذا النوحُ على الأمواتِ، فقد اتخَذهُ كثيرٌ مِن الناسِ مِن أفضلِ الأعمال، وسببِ الوصول إلى مَرضاةِ ذي الجَلالِ، لا سِيما مَن اتخَذَ المآتِمَ الحُسَيْنيةَ في كل عامٍ، فهناك مِنَ البدَعِ ما تكل عن نَقْلِه ألسنةُ الأقلامِ، والويلُ كل الويلِ لِمَن أنكَرَ شَيئا مِن ذَلِكَ، فإنهَم يُورِدونَه مَوارِدَ العَطَبِ والمَهالِكِ، والأمر لِله، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلا باللّهِ.

تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه

(الخامسة والثمانون): تَعْييرُ الرجُلِ بِفِعْلِ غَيرِهِ، لا سيما أبوه وأمّه. فَخالَفَهم ﷺ

---

(١) سورة الواقعة آية : ٨٢ .

(٢) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨١) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

(٣) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

وقال: ﴿ أَعَيْرْتَهُ بأمِهِ؟ إنكَ امرؤ فيكَ جاهِلِيةٌ ﴾ [1] . والحديثُ في صحيح الإمامِ البخاري في بابِ "المعاصي مِن أمرِ الجاهِلية، ولا يَكْفُرُ صاحبُها بارْتكابِها إلا بالشركِ لقول النبي ﷺ ﴿ إنكَ امرؤ فيكَ جاهِلِيّةٌ ﴾ [2] ، وقول الله تعالى في سورة [النساءِ: ٤٨]:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [3] . وهذا البابُ في كتابِ الإيمان من صحيحِه، ثم قال: "حَدثنا سُليمانُ بنُ حَرْب، قالَ: حَدثنا شُعْبةُ عن واصلِ عن المَعْرور، قال: لَقِيتُ أبا ذَر بالرَبذَة، وَعَلَيْهِ حُلة وعلى غلامِهِ حُلة، فسألتُه عن ذلكَ، فقالَ: ﴿ إني سابَبْتُ رَجلا، فَعيرْتُه بأمِهِ، فقالَ لي النبي ﷺ "يا أبا ذر، أعَيرْتَه بأمِهِ؟! إنكَ امرؤ فيكَ جاهِليةٌ، إخوانكُم خولُكُم، جَعَلَهُمُ الله تعالى تحتَ أيديكُم، فمَن كان أخوه تحتَ يدِهِ، فَلْيطعِمْهُ مِما يأكلُ، وليلبِسْهُ مِما يلبسُ، ولا تكلفوهُم ما يغلِبُهم، فإن كلفْتُموهم، فأعينوهم ﴾ [4] . وقد أطْنبَ شُراحُ الحديثِ في شرحِهِ، وليس هذا موضع استْقصائِهِ، والمقصودُ منهُ أن تَعْييرَ الرجُلِ بفعْلِ غيرِه ليس من شأنِ كاملِ الإيمانِ والمعرفةِ، فإن أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبْلَ بُلوغِهِ المَرْتبَةَ القُصْوى مِنَ المعرفةِ تَساب هو وبلال الحَبشي المُؤذنُ، فقالَ لَهُ: "يا ابنَ السوداءِ"، فَلَما شَكا بلال إلى رسول اللهِ ﷺ قال لَهُ: ﴿ شَتَمْتَ بلالا، وعَيرْتَه بسوادِ أمِهِ! "، قال: "نَعَمْ"، قال: "حَسِبْتُ أنهُ بقيَ فيكَ شَيْءٌ مِن كِبر الجاهلية ﴾ ، فَألقى أبو ذر خَدهُ على الترابِ، ثُم قالَ: "لا أرفَعُ خَدي حَتى يطأ بلالٌ خَدي بقَدَمِهِ". والناسُ اليومَ- والأمرُ لِلهِ- قد كَثُرت فيهم خصالُ الجاهِلية، فَتَراهم يُعيرونَ أهلَ البلدِ كلهم بما صَدَر عن واحدٍ مِنهم، فأينَ ذلكَ مِن خصالِ الجاهِلية؟

(١) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .
(٢) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .
(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٤) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، ابن ماجه الأدب (٣٦٩٠) ، أحمد (١٦١/٥) .

الافتخار بولاية البيت

(السادسة والثمانون): الافْتخار بولاَية البيتِ. فَذَمهم الله تعالى بقولِه: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] . وهذه الآية في [سورة المؤمنين: ٦٦- ٦٧] وهي بتمامِها قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [2] . ومَعْنى الآية على ما في التفسير: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [3] تعليلٌ لقوله قبلُ[٦٥]: ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [4] أي: دَعوا الصراخَ، فإنّه لا يمنعكم منا، ولا ينفعُكم عِندنا، فقدِ ارْتكبْتم أمرًا عظيما، وإثما كبيرا، وهو التكذيبُ بالآياتِ، فلا يدفعُه الصراخ، فكنتم عند تلاوتِها: ﴿ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [5] أيْ: مُعرِضونَ عن سماعِها أشد الإعراضِ، فَضْلا عن تصديقِها والعملِ بها، والنكوصُ: الرجوعُ، والأعقابُ: جمعُ عَقِبِ وهو مُؤخرُ الرجْلِ، ورجوعُ الشخصِ على عَقِبِه: رجوعُه في طريق الأول، كما يقال: رَجَعَ عَوْدَه على بَدْئِه. ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ [6] أي: بالبيتِ الحرامِ، والباءُ للسببية وسُوغ بذا الإضمارُ، مَعَ أنه لم يَجْرِ ذِكرُ اشتهار استبكارِهم، وافتخارِهم بأنهم خُدامُ البيتِ وقُوامُه. ﴿ سَـٰمِرًا ﴾ [7] ، أيْ: تسمرونَ بذكرِ القرآنِ والطعنِ فيه، وذلكَ أنهم كانوا يجتمعون حول البيتِ يَسْمُرونَ، وكانت

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٦٦ - ٦٧ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ٦٥ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .
(٦) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .
(٧) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

عامةُ سَمرِهم ذكرَ القرآنِ وتسميتَه سِحْرا أو شعرا ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ [1] من الهجر- فتح فسكون - بمعنى القطع والترك، والجملة في موضع الحالِ، أيْ: تاركِينَ الحَق والقرآنَ أو النبي ﷺ عَلى تقديرِ عودِ الضميرِ (به) له، وجاءَ الهَجْرُ بمعنى الهَذَيانِ، وَجوزَ أنْ يكون المعْنى عليه، أي. تَهْذونَ في شأنِ القرآنِ أو النبي ﷺ أو أصحابه، أو ما يُعم جميعَ ذَلكَ، وَيجوزُ أنْ يكون من الهُجْر- بضم فسكون- وهو الكلامُ القَبيحُ. فأنكرَ الله تَعالى عليهم بقولِهِ [٦٨]: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [2] لِيَعْلَموا- بِما فيه من وُجوه الإِعجازِ- أنه الحَق من ربهم، فَيُؤمنوا به ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [3] ، أي: بَلْ جاءَهُم إلخ. والمقصودُ أن من خصالِ الجاهِلِيةِ التكَبرَ بسببِ الرئاسةِ على المواضعِ المُقَدسَةِ، كما هو- اليومَ- حالُ كثيرٍ ممن يَدعي الشرَفَ بسببِ ذلكَ، فمِنهم مَن ادعى الشرفَ على المُسلِمينَ بسببِ رِئاستِهِ على مكةَ والمدينةِ، ومِنهم مَن ادعاه بسببِ الرئاسة في المَشاهِدِ أو مقاماتِ الصالحينَ، وهؤلاءِ الذين يَدعونَ انتِسابَهم إلى عبد القادرِ الجيلاني في بغدادَ يدعون الشرَفَ بسببِ رياستِهم على قبرِ عبدِ القادر، واستيلائِهم علىَ النذورِ والصدَقاتِ والذبائح والقرابين الشرْكيةِ، التي يَتَعَبدُها با جَهَلَةُ المُسلِمين مِنَ الهُنودِ والأكْرادِ ونحوِهِم، وهُمْ [4] أفْسَقُ خَلْقِ الله، وأدْناهم نَفْسًا، وأرْذَلُ خَلْقِ الله مَسْلَكا، فما يفيدُهم ذلك عند الله شَيْئا، وما ينْجيهم مِنْ مَقْتِ الله وعذابه، وإنْ ظَن بِهمُ العوَام ما ظَنوا، فَهم عند الله وعند عبادِهِ الصالحينَ أحقرُ من الذرّ، وأبعدُهم عن رحمتِهِ يومَ القِيامة.

الافْتِخار بِكَوْنِهم مِنْ ذُريةِ الأنبياءِ

(السابعة والثمانون): الافْتِخار بِكَوْنِهم مِنْ ذُريةِ الأنبياءِ عليهم السلام. فَرَد الله عليهم

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٦٨ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٨ .

(٤) أي سدنة المشاهد والقبور .

بقـولـه: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [1]. هذه الآية في آخِرِ الجُزءِ الأولِ من [سورة البقرة: ١٣٤- ١٤١] وتفسيرُها:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [2]: الإشارةُ إلى إبراهيم ﷺ وأولاده في قولِهِ [١٣٠]: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [3] إلخ. و"الأمة" أَتتْ لِمَعانٍ، والمرادُ بـا- هنا- الجَماعةُ، مِن "أم"، بمعنى قَصَدَ، وَسُمِيَتْ كُل جماعة يَجْمَعُهم أمرٌ ما: إما دِينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكان، بذلك؛ لأنهم يَؤُم بعضُهم بعضا، وَيَقْصِدُهُ. والخُلُو: المُضِي؛ وأصلُه الانفرادُ.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [4]، والمَعْنى: إن اِنتسابَكم إليهم لا يوجِبُ انتفاعَكم بأعمالِهم، وإنما تنتَفِعونَ بموافِقَتِهم واتباعِهم، كما قال ﷺ ﴿ يا مَعْشَرَ قُريشٍ، إن أَوْلى النّاسِ بالنّبي المُتقونَ، فَكونوا بِسَبيلٍ مِن ذَلِكَ فانظُروا أنْ لا يَلقاني النّاسُ يَحْمِلون الأعمالَ، وَتَلْقَوني بالدُنيا، فَأَصُد عنكم بوجْهي ﴾. وهذا الحديثُ بمعنى قوله تَعالى [الحجرات: ١٣]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [5]. وَمَعْنى قوله: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [6] لا تُؤاخَذونَ بِسَيئاتِهم، كما لا تُثابونَ بحسناتِهم. وهذه الخَصلةُ موجودة اليومَ في كثيرٍ مِن المسلمينَ، ورأسُ مالِهم الافتخارُ بالآباءِ، فَمِنهم مَن يقولُ: أنا

(١) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٠ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٣ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٣٤ .

مِن ذُرّية عبدِ القادرِ الجيلاني، ومِنهم مَن يقولُ: أنا مِن ذُرية أحمدَ الرفاعي، ومِنهم مَن يقولُ: أنا بكري، ومنهم من يقول: أنا عُمَريّ، ومنهم من يقول: أنا عَلَويّ أو حَسَني أو حُسَيني، ولا فضيلةَ لهم ولا تقْوى، وكل ذلك لا ينفعُهم ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾ [(١)]، ورسول الله ﷺ يقول لفاطمة: ﴿ يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ، لا أغني عنكِ مِن الله شَيْئًا ﴾ [(٢)] وما قَصَدَ أولَئك المُفْتخِرينَ بآبائِهم- وهم عارونَ عن كُل فضيلةٍ - إلا أكل أموالِ الناسِ بالباطلِ، وفي المثل: "كُنْ عِصاميا، وَلا تكنْ عِظاميا".

إن الفتى مَـن يقولُ ها أنـا ذا لَيسَ الفتى مَنْ يقولُ كانَ أبي

ولِلهِ دَر مَن قال يَرُد على المفتخِرِ بِذَلِكَ:

أقولُ لِمَن غَدا فـي كُـل يومٍ يُباهينا بأسلافٍ عِظامِ

وقال آخَرُ:

وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرميمِ وإنما فخارُ الذي يَبْغي الفَخار بِنَفْسِهِ

الافتخار بالصنائع

(الثامنة والثمانون): الافْتِخارُ بِالصنائِعِ، كَما افْتَخَرَ أهلُ الرحلتينِ على أهلِ الحَرْثِ.
يُريدُ بِالرحلتين: رِحْلَةَ الشتاءِ إلى اليَمنِ، وَرِحْلَةَ الصيْفِ إلى الشامِ، وَهِي عادَةٌ كانتْ لِقُريشٍ، كَما ذُكِرَ في سورةِ الإيلافِ. والمقصودُ أنه لا يَنبغي للتاجر أنْ يَفْتَخِرَ بِتجارته على أهل الحرث، ولا أهلِ كل حِرفةٍ على المُحْترفينَ بِحِرْفَةٍ أخْرى، فإن كُل ذَلِكَ مِنَ المكاسِبِ الدنْيويةِ التي يَوصلُ بها إلى عِبادةِ الله، وطاعتِه، وامتثالِ أوامِره، واجتنابِ نواهِيه، لِيتَوصلَ بِذَلِكَ إلى النجاةِ الأبديةِ، وهي مدارُ الفخرِ. وأما ما سِوَى ذَلِكَ فَكُلُّهُ ظِل زائِلٌ

---

(١) سورة الشعراء آية : ٨٨ - ٨٩ .

(٢) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

وَنعيمٌ غيرُ مُقيمٍ، فلا يَنبغي لِلعاقِلِ أنْ يَفْخَرَ بِزَخارِفِ الدنيا الدنيئَةِ، ولا يَعْلَمُ مَتى يُفارِقُها. نَسأله تَعالى التوفيقَ، والعملَ الصالحَ الذي يُرضِيه.

عظمة الدنيا في قلوبهم

(التاسعة والثمانون): عَظَمَةُ الدنيا في قُلوبِهم. كقَولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ ﴾[1]. أيْ: مِن خِصال الجاهلية مُراعاةُ الدُنيا، وعَظَمَتها في قُلوبِهم، كما حَكى الله عنهم ذلكَ بقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ ﴾[2]. هذه الآية في [الزخرف: ٣٠-٣٢]، ومَوْضِعُ الاسْتِشهادِ فيها قولُه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ ﴾[3]. المُرادُ مِنَ القَريتينِ: مكةُ والطائفُ. قال ابنُ عباسٍ: "الذي مِن مكةَ: الوليدُ بنُ المُغيرةِ المَخزومي، والذي مِن الطائفِ: حَبيب بنُ عمرِو بنِ عُمَيرٍ الثقفي، وكُلٌّ مِنهما كان عَظيما، ذا جاهٍ ومالٍ، وكان الوليدُ بنُ المغيرةِ يُسَمى "رَيْحانةَ قريشٍ"، وكانَ يقولُ: لو كانَ ما يقولُ محمدٌ حقًّا لَنزَلَ عَلي أو على أبي مَسعودٍ، يعني عُروةَ بنَ مسعودٍ، وكان يُكنى بِذَلِكَ. وهذا بابٌ آخَرُ من إنكارِهِم للنُبوةِ، وذَلِكَ أنهم أنكَروا أولا أنْ يكونَ النبي بَشَرا، ثُم لَما بُكتوا بِتكريرِ الحُجَجِ، ولم يَبْقَ عندهم تصورُ رَواجٍ لِذَلِكَ، جاءوا بالإنكارِ مِن وجهٍ آخَرَ، فَحَكَموا على الله سُبحانه أنْ يَكونَ الرسولُ أحَدَ هذينِ. وقولُهم: ﴿ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾[4]: ذِكْرٌ لَهُ على وَجهِ الاسْتِهانة،

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣١ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٣٠ - ٣٢ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٣١ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٣١ .

لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليما، بل إنكارا، كأنه قيل: هذا الكذب الذي يدعيه، لو كان حقًّا، لكان الحقيق به رجلٌ من القريتين عظيم. وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعي عظيمَ النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية، والتحلي بالكمالات والفضائل القدسية، دونَ التزخرف بالزخارف الدنيوية. فأنكر سبحانه عليهم بقوله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (1) ، وفيه تجهيلٌ وتعجيب من تحكمهم بـ ول القرآن العظيم على من أرادوا. ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ (2) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنيةُ على الحِكم والمصالح، ولم نفوض أمرها إليهم، علمًا منا بعجزهم عن تدبيرها بالكليـة. ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (3) في الـرزق وسائـر مبادئ العيـش. ﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ (4) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة، فمن ضعيف وقوي، وغني وفقير، وخـادم ومخـدوم، وحاكم ومحكوم. ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (5) : ليستعملَ بعضهم بعضا في مصالحهم، ويستخدموهم في مهنهم، ويسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا، ويترافدوا، ويصلوا إلى مرافقهم، لا لكمال في الموسع عليه، ولا لنقص في المقتر عليه، ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا، فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم، وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو على طرف الثمام بهذه الحالة، فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم، وفي تدبير أمر الدين، وهو أبعد من مناط العيوق، ومن أين لهم البحث في أمر النبوة، والتخير لها من يصلح لها، ويقوم بأمرها. وفي

(1) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(2) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(3) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(4) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(5) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ [1] إلخ ما يُزَهِّدُ في الانكبابِ على طَلَبِ الدّنيا، ويُعينُ على التوكلِ على الله ﷻ والانقطاع إليهِ جَل جلالُه.

فاعْتبِرْ "نحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ" تلقَهُ حَقّا وبِـالْحَـقِ نَزَلَ

﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] أيْ: النُبوةُ وما يَتْبعُها مِن سَعادةِ الدارَيْنِ خَيْر مِما يَجْمَعونَه مِن حُطامِ الدنيا الدنِّية، فالعظيمُ من رُزِقَ تلكَ الرحْمةَ دونَ ذَلِكَ الحُطامِ الدنِيء الفاني. وأنْتَ تَعْلَمُ أن كثيرا مِنَ الناس اليومَ على ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيةِ في هذِهِ الخَصْلَة، فتَرَاهم لا يَعْتبِرونَ العِلمَ إذا كانَ صاحِبُه فقيرَ الحالِ، ويَنْظُرون إلى الغنِي، وَيَعْتَبرونَ أقوالَه. ولِلهِ در من قال [3]

رب حِلْمٍ أضاعَه عَدَمُ المَا ل وَجَهْلٍ غَطى عَلَيْهِ النعيمُ

ازدراء الفقراء

(التسعون): ازْدِراءُ الفُقَراء. فأنْزَلَ سُبحانَه قولَه: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [4] . أقولُ: هذه الآية في أوائلِ [سورة الأنْعامِ: ٥٢]، وَبيانُ مَعناها يَتعلَقُ بِما قَبْلَها، وهو قوله تَعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [5] [الأنعام: ٥١-٥٢]. فَلَما أُمِرَ النبي ﷺ

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

(٣) هو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي .

(٤) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٥١ - ٥٢ .

بإنذارِ المذكورينَ لَعلهم يَنْتظِمونَ في سِلْكِ المُتقينَ، نُهيَ عَن كونِ ذَلكَ بِحَيثُ يُؤدي إلى طردِهِم. ويُفْهَم مِن بعضِ الرواياتِ أن الآيتينِ نَزَلتا مَعًا، ولا يُفْهَمُ ذَلكَ مِن البعضِ الآخَرِ.

فقد أخرجَ الإمامُ أحمدُ والطَبَراني وغيرُهما عن ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: ﴿ مر المَلأَ مِن قُريش على النبي ﷺ وعنده صُهَيب وعَمارٌ وبِلالٌ وخَبابٌ ونحوُهُم مِن ضُعَفاءِ المُسْلمينَ، فقالوا: يا محمدُ، رَضيتَ هؤلاءِ مِن قومِك، أَهَؤُلَاءِ مَن اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ؟، أَنحن نكونُ تَبَعًا لِهَؤلاءِ؟ اطْرُدْهُم عَنكَ، فلعلَّكَ إنْ طَرَدْتَهـم أنْ نَتبِعَـكَ. فأنزلَ الله تعالى فيهمُ القرآن: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ ﴾ [1] إلى قوله سبحانه: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [2] ﴾.

وَأخْرَجَ ابنُ جَريرٍ وأبو الشيخِ والبَيهَقي في "الدلائِل" وغيرُهُم عن خَباب قال: ﴿ جاءَ الأقرَعُ بنُ حابِسٍ التميمي وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزارِي، فَوَجَدا النبي، ﷺ قاعِدًا مَعَ بِلالٍ وصُهَيبٍ وَعَمارٍ وخَبابٍ في أناسٍ ضُعَفاءَ مِن المؤمنينَ، فَلَما رَأَوْهُم حَوْلَه حَقَروهُم، فَأَتوهُ، فَخَلَوا بِهِ، فقالوا: نُحِب أنْ تَجعلَ لَنا مِنكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لنا العربُ بِهِ فَضْلَنا، فإن وُفودَ العَرَبِ تَأتيكَ، فَنَسْتَحْي أنْ تَرانا قُعودًا مَعَ هؤلاءِ الأَعْبِدِ، فإذا نَحنُ جِئْناكَ، فَأَقِمْهُم عَنا، فإذا نحنُ فَرَغْنا، فاقْعُدْ معهم إنْ شِئتَ، قال: نَعَم. قالوا: فاكْتُبْ لنا عليكَ بِذلِكَ كِتابا، فَدَعا بالصحيفةِ، وَدَعَا عَلِيًا لِيَكْتُـبَ - ونحنُ قُعود في ناحِيةٍ - إذْ نزلَ جِبْريلُ بِهذِه الآية: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ ﴾ [3] إلخ، ثُم دَعانا، فَأَتَيْناهُ وهو يقول: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ﴾ [4] [الأنعام: ٥٤]، فَكُنا نَقْعُدُ مَعَهُ، فإذا أرادَ أنْ يقومَ قامَ وَتَرَكَنا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

(١) سورة الأنعام آية : ٥١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٤ .

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1] [الكهف: ٢٨]، فكان رسولُ الله ﷺ يقعدُ معنا، فإذا بلغَ الساعَةَ التي يقومُ فيها قمنا وَتَرَكْناه حَتّى يقومَ ﴾ . وَأَخْرَجَ ابنُ المُنذِرِ وغيرُه عن عكرمة قالَ: "مَشَى عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنا رَبيعَةَ وَقُرَظَةُ بنُ عبدِ عَمرِو بنِ نَوْفَل، والحارثُ بنُ عامِرِ بن نوفَلَ، وَمُطْعِمُ بنُ عَدِي في أشرافِ الكُفارِ مِن عَبدِ مَنافٍ إلى أبي طالبٍ، فقالوا: لو أن ابنَ أخيكَ طَرَدَ عَنا هؤلاءِ الأَعْبُدَ والحُلَفاءَ، كان أعظمَ له في صُدورِنا، وأطوعَ له عِنْدَنا، وأدنى لاتباعِنا إياه وَتَصْديقه، فَذَكَرَ ذَلِكَ أبو طالبٍ للنبي ﷺ فَقال عُمَرُ بنُ الخطابِ: لَوْ فعلتَ يا رسولَ الله حَتّى ننظُرَ ما يُريدونَ بقولهم، وما يَصيرونَ إليه مِن أمرِهم، فأنزلَ الله سُبحانَه: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾[2] إلى قـولـه سُبحانـه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[3] . وكانوا بِلالا وعَمارَ بنَ ياسِرٍ وسالِمًا مولى حُذَيْفَةَ وَصبيحًا مولى أسيد، والحُلَفاءُ: ابنُ مسعودٍ والمِقدادُ بنُ عمرو وواقدُ بنُ عبدِ اللّهِ الحَنْظَلي وعمرُو بنُ عبدِ عمرٍو وَمَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ وأشباهُهُم، وَنَزلَ في أئِمةِ الكُفرِ مِن قُريشٍ والموالي والحلفاء: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[4] ، فَلَما نَزَلَت أقبلَ عُمَرُ، فاعْتَذَرَ من مَقالِته، فَأَنزَلَ اللّهُ تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾[5] وقولُه ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[6] : جملة مُعترِضَة بين النهي وجوابِه، تقريرا له، وَدَفعا لما عَسى أنْ يتوهمَ كونُه مُسَوغا لطردِ المُتقينَ من أقاويلِ الطاعنينَ في دينهم، كَدأبِ قومِ نوحٍ حيثُ

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٤ .
(٦) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

قالوا: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [1] ، والمعنى: ما عليك شيءٌ ما مِن حساب إيمانِهم وأعمالِهم الباطنةِ، كما يقولُه المشركونَ، حتّى تتصَدى لَه، وتَبني على ذلكَ ما تراه من الأحكامِ، وإنما وظيفتك- حَسْبما هو شأنُ مَنْصِبِ الرسالة- النظَرُ إلى ظواهِرِ الأمورِ، وإجراءُ الأحكامِ على موجَبِها، وتفويضُ البواطنِ وحسابِها إلى اللطيفِ الخبيرِ، وظواهرُ هَؤلاءِ دعاءُ ربهم بالغداةِ والعشي. ورُويَ عن ابنِ زيدٍ أن المعنى ما عليكَ مِن شيْءٍ مِن حسابِ رِزْقهم، أيْ: مِن فقرِهم، والمرادُ لا يَضُركَ فقرُهُم شيْئا لِيَصِح لك الإقدامُ على ما أرادَهُ المشركون مِنكَ فيهم. وقولُهُ: ﴿ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ [2] عطفٌ على ما قبْلَه، وَجِيءَ بِهِ- مَعَ أن الجوابَ قد تَم بِذَلِكَ- مبالغةً في بيانِ كونِ انتفاءِ حسابِهم عليهِ بِنظمِهُ في سِلْكِ ما لا شُبهةَ فيه أصْلا، وهو كون انتفاءِ حسابِه ﷺ عَلْيهم، فهو على طريقةِ قوله سُبحانَه [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١] ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ ﴾ [3]) وهذا في رأي. وقال الزمَخْشَري: "إن الجُملَتينِ في مَعنى جملةٍ واحدةٍ يُؤدي مُؤدى [الأنعام: ١٦٤، الإِسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ [4] كَأنَّهُ قيلَ: لا تُؤاخَذُ أنتَ ولا هُم بِحساب صاحِبِه، وحينئذٍ لا بد مِنَ الجُملَتينِ، وتُعُقبَ بأنهُ غيرُ حَقِيق بجلالةِ التنزيلِ. وقولُهُ: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ ﴾ [5] جَواب للنهْي.

(١) سورة هود آية : ٢٧ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٣) سورة النحل آية : ٦١ .
(٤) سورة الزمر آية : ٧ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

إنكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث

(الحادية والتسعون): عَدمُ الإيمانِ بملائكةِ الله وكُتِبه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ، والكلامُ على ذلكَ مُفَصلٌ في التفسيرِ وكُتبِ الحَديثِ والعقائِدِ. والآياتُ في ذلكَ كثيرة، مِنها قولُه تعالى [التغابن: ٧]: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ [(١)]. وَمِنَ الشعْرِ الجَاهِلي في إنكارِ البَعْثِ والنشورِ:

وماذا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ … مِنَ الشيزى تزَينُ بالسنامِ
وَماذا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ … من القَيْناتِ والشرْبِ الكِرَامِ
تُمَنينـا السلامةَ أمّ بَكْرٍ … فهَلْ لِي بَعْدَ قومي مِنْ سَلامِ
يُحدثُنا الرسُول بأنْ سَنَحْيا … وكيْفَ حَياةُ أصداءٍ وَهامِ

وقال آخرُ:

حياة ثُم موْتٌ ثُم نَشْـرُ … حديثُ خُـرافةٍ يَا أم عَمْرو

وَمِنَ الآيات الدالةِ عَلى ذِلكَ قولُه تعالى [الصافات: ١٦-١٧، والواقعة: ٤٧- ٤٨]: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ ﴾ [(٢)]. وَقَدْ تكَلمْنا عَلى مُعْتقَداتِ الجاهلية وَأدْيانِهم في غَيْرِ هذا الموضعِ.

إيمانهم بالجبت والطاغوت

(الثانية والتسعون): الإيمانُ بالجِبْتِ وَالطاغوتِ، وَتفْضيل دينِ المُشرِكينَ على دينِ المسلمين. قَالَ تَعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١ ﴾ [(٣)] [النساء: ٥١]. وقد تَقدَمَ الكَلامُ على ذلكَ مُفَصلا. والمقصودُ- هُنا- أن جَهَلَةَ الكِتابِيينَ كانوا

---

(١) سورة التغابن آية : ٧ .
(٢) سورة الواقعة آية : ٤٧ - ٤٨ .
(٣) سورة النساء آية : ٥١ .

يقولون للمشركين: أنتم أهدى من المسلمين، وما عندكم خير مما عليه محمد وأصحابه، وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج، يقولون: إن دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من أهل التوحيد وحفاظ السنة.

كتمان الحق مع العلم به

(الثالثة والتسعون): كتمان الحق مع العلم به. كما حكى الله ذلك عن أحبار بني إسرائيل من اليهود والنصارى، فقد كتموا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية، وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم. والكلام على هذا الباب مفصل في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام، فعليك به، فإنه كتاب لم يؤلف مثله.

القول على الله بلا علم

(الرابعة والتسعون): القول على الله بلا علم. وهو أساس كل فساد وأصل الضلال. وأكثر الناس حظًا من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين، فقد تكلموا في الصفات الإلهية بما لم ينزل الله به من سلطان، وأولوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم، كما فعله الرازي في كتابه: "أساس التقديس ". وجزى الله شيخ الإسلام خيرا، فقد رد عليه، ونقض أساسه، وسجل ضلاله وجهله، وضيق أنفاسه، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [1] [البقرة: ٢٥١].

التناقض

(الخامسة والتسعون): التناقض الواضح، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ ﴾ [2] [ق: ٥]. وهكذا أهل البدع من الغلاة وغيرهم يدعون الإسلام، ويعملون أعمالا تناقض ما هم عليه من الدين.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥١ .

(٢) سورة ق آية : ٥ .

الكهانة وما في حكمها

(السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة): العِيافةُ، والطرقُ، والطِّيَرَةُ، والكهانَةُ، والتحاكُمُ إلى الطاغوتِ، ونحو ذَلكَ. وَقَدْ تكلَّمْنا على هذِهِ الأمورِ في كتابِنا "بُلوغُ الأرَبِ في أحوالِ العَرَبِ" بِمَا لا مَزيدَ عَلَيْهِ، وَذَكَرْنا هناكَ أوابِدَهُم وَخُرافاتِهم وسائِرَ ضلالاتِهم، وَكُل ذَلكَ مِن أعمالِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ اليومَ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. وغالِبُ مسائلِ الأصلِ رؤوسِ مسائلَ في كتاب "اقتضاء الصراطِ المُستقيمِ" وَمَنَ أرادَ التَّفصيلَ فَلْيَرْجِعْ إليْهِ. وَهذَا آخِرُ ما أَرَدْنا شَرْحَهُ مِنَ المَسائِلِ التي أَبطَلَها الإسلامُ، والحمدُ للهِ وَلي الإنعامِ، والصلاةُ والسلامُ عَلى خَيْرِ الأنامِ، ومِصباحِ الظلامِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحْسانٍ.

في ٥ ذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس